منشورات
جماعة علم النفس
التكاملي

بإشراف
الدكتور يوسف مراد

جوردون أولبورت
ليوبوستمان

سيكولوچيّة الإشاعة

ترجمة
الدكتور صلاح مخيمر
عبده ميخائيل رزق



دار المعارف بمصر

إهـــــــداء ٢٠٠٧

الأستاذ الدكتور / قدري محمود حفني

جمهورية مصر العربية

سيكولوچيّة الإشاعة

منشورات جماعة علم النفس التكاملى
باشراف الدكتور يوسف مراد

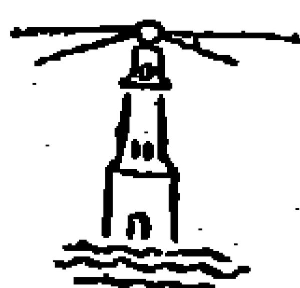
جوردون أولبورت و ليو بوستمان

سيكولوجية الإشاعة

ترجمة

الدكتور صلاح مخيمر
أستاذ علم النفس بكلية المعلمين بالقاهرة

عبده ميخائيل رزق
أستاذ علم النفس بكلية المعلمين بالقاهرة



دار المعارف بمصر
١٩٦٤

THE PSYCHOLOGY OF RUMOR

By

GORDON W. ALLPORT

and

LEO POSTMAN

Henry Holt and Co. New York, 1948

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . ع . م .

« أسرعت الإشاعة مارقة فى مدائن ليبيا
الإشاعة ! وهل من شر يستطيع أن يسبق خطاها ؟
تزداد جبروتاً فى حركتها ، وتبلغ
السطوة كلما أمعنت فى طيرانها .
ضئيلة وجلة فى بدايتها ، وسرعان ما تتعاظم
رافعة إلى السماء قامتها ، متسللة فى البلاد
وناشرة على السحاب ضراوة سحنتها . . .
ما أسرع فى الجرى أقدامها ، وما أشبه بالريح آراءها
المسخ المروع ثوبها ، والضخامة هيكلها
الريش يكسوها ، وفى منبت كل ريشة
تكمن عينان رامقتان ، ويا للغرابة
مع كل عينين لسان طنان ،
وشفتان بالدنس هامستان ، وأذنان لكل شىء تلتقطان . . .
. . . إنها تعلق
بالفريات الخسيسة والخطايا الخبيثة
أو تمزج بكلمات الفضيحة شيئاً من الأنباء الصحيحة . »

(التاسوعات ، الكتاب الرابع ، عن الترجمة الإنجليزية لتيودور وليامز) .

مقدمة الترجمة

الإشاعة قديمة قدم البشرية ، وينتظر لها أن تعيش ما عاشت البشرية . ذلك أن أرض الجماهير لا تكاد تتلبد فوقها سحب « الغموض » ، وتنتشر فيها بذور « الاهتمامات » ، حتى تستحيل تربة خصبة تزدهر فيها نبتات الشائعات. ولن تلبث هذه الشائعات حتى تصاعد فى سرعة إلى عنان السماء ، فتحجب عن الرائى ، أو تكاد ، آفاق الرؤية الواضحة ، وتسد أمام ناظريه السبيل ، فلا يرى جبال الحقائق الموضوعية الراسخة ، هذه التى إنما تتحدد قممها فى سماء صافية من المنطق .

ولكن إذا كانت حياة البشر فى عالمنا هذا لا تكاد تخلو من الحاجات والمشكلات التى تثير اهتماماتهم ، والتى يستغلق عليهم مع ذلك سبيل المعرفة الحقة إليها ، فقد كان ولا بد من أن تكون الإشاعة بعداً من أبعاد الحياة البشرية .

وليس مما يهم أن تكون الإشاعة « وردية » متفائلة ، أو « سوداء » متشائمة ، بل وليس يهم أن تكون مسايرة لهوى النفس وآمالها ، أو مثيرة لقلقها ومخاوفها ، فهى فى كل هذه الحالات تضطلع بوظائف نفسية جد هامة . فهى إذ تتيح « معرفة بديلة » تسد الثغرة وتعوض النقص فى موضوع من الموضوعات « الهامة » ، إنما تفتح الباب على مصراعيه أمام خفايا النفس وأعماقها العميقة . عندها تنظر الجماهير فترى المشكلات من خلال نفسها وعبر مخاوفها وأمانيها ، فتسبغ على الأحداث من ذاتها دلالات غريبة عنها . ومن هنا تعد الإشاعة وليدة مجتمعها ، وتعبيراً عميقاً عن نفسيته ، بل ومفتاحاً ذهبيًّا يتأدى بالدارس الفطن إلى مجاهل نفسية هذا المجتمع وأغواره السحيقة .

فالشائعة سلوك من المسالك العديدة للجماعة ، شأنه فى ذلك شأن كل سلوك ، لابد وأن يصدر عن توتر دافع ، يستهدف هدفاً بعينه ، ويسلك سبلا تحمل الطابع المميز للجماعة فى لحظة من لحظات حياتها . وإذا كان ذلك كذلك ، فإن فهم نفسية جماعة من الجماعات يمكّن الراغبين ولا شك من أن يتبينوا مدى

ما عليه التربة من صلاحية بالنسبة إلى هذا النوع أو ذاك من بذور « الاهتمامات » ، ومن ثم يتيح لهم أن يغطوا أرض الجماهير بورود الإشاعات أو بأشواكها وحسكها. وكل هذا إنما يدخل ولا شك ضمن نطاق « الحرب النفسية » ، أو قل ضمن نطاق الحياة . فليست الحياة غير سلسلة من الصراعات المتلاحقة ، سواء فى داخل المجتمع الواحد أو فيما بين المجتمعات المختلفة .

إن الحياة ليست غير صراع وحرب ، ومحاولة لفض هذا الصراع ، فالصراع الذى يليه ، وهكذا دواليك . ذلك هو ما يعبر عنه مفهوم الدينامية فى الصراعات النفسية وخاصة عند فرويد ، وما يتضح بصورة جلية فى الفلسفة الوجودية من نيتشه حتى سارتر ، وما يبرز خاصة فى المنطق الجدلى عند هجل وصورته المادية عند ماركس .

والحرب كما قال كلاوزفتش إنما هى « استخدام مختلف الوسائل لإرغام العدو على أن يعمل تبعاً لرغباتنا » . وسواء أكان العدوفرداً أو جماعة أو قيماً معنوية ، فثمة صراع ما بين رغبتنا وبين شىء آخر نريده أن ينثنى ويطاوع ، فيفسح الطريق أمام رغبتنا .

وقد تختلف الوسائل التى نلجأ إليها فى الحرب ، فتكون مادية فيزيائية ، أو نفسية معنوية ، ومن ثم تكون الحرب ساخنة أو باردة . فالحرب الباردة هى ما يعرف بالحرب النفسية ، أو الحرب السياسية ، أو حرب الأعصاب ،أو حرب الدعاية،أو الحرب المعنوية، أوحرب القرائح ، أو حرب الإيديولوجيات . وكل هذه التسميات لا تشير إلى وسائل نوعية فى مقابل وسائل الحرب التقليدية بقدر ما ترسم المنحنى الذى تسلكه البشرية فى تطورها ، وخاصة فى القرن الأخير .

فقد كانت الحرب النفسية قديماً محدودة المجال والوسائل ، إذ كان القتال يتم بين جيوش محترفة من المرتزقة ، يحارب الواحد فيها للرزق مدافعاً عن سمعته وشهرته المهنية ، ومن ثم كان يهمه أن يتقن الحرب كما يهم الراقصة أن تتقن الرقص . ومع ذلك فقد رأينا استخدامات موفقة للوسائل النفسية عامة ، وللإشاعات خاصة . فقد كان جنكيزخان مبرزاً فى نشر الإشاعات المروعة عن جيشه ؛ فكانت قوافل

التجار تشيع بين أعدائه وصفاً أسطوريًّا لجيشه ، مؤكدة أن جنوده يغتذون بالثعالب والكلاب . كذلك نجح الفرنجة بقيادة « شارل مارتل » فى نشر إشاعة من « داقة الأسافين » بين جيش المسلمين المتقدم بقيادة عبد الرحمن الغافقى عند نهر اللوار بفرنسا ، مؤداها أن الغنائم التى جمعها القواد المسلمون فى خيامهم تتعرض للسلب ، فأسرع القواد إلى خيامهم تاركين المعركة التى كانت فى صالح المسلمين ، فأحدق بهم العدو وخسروا المعركة .

ولكن الوسائل النفسية قد دخلت بمعنى الكلمة إلى مسرح الحرب مع ظهور القوميات وما يتصل بها من سيادة شعبية ورأى عام ، مما حول البشرية إلى « حرب الشعوب » ينافح كل شعب فيها عن ايديولوجيته الخاصة وكيانه القومى المتميز . ولقد برز هذا التطور فى الحرب العالمية الأولى ، وبلغ قمته فى الحرب العالمية الثانية . (ولن يعجب القارئ حين يجد أن الغالبية العظمى من الدراسات فى هذا الكتاب إنما تنتسب إلى الحرب العالمية الثانية) .

فعند قيام الثورة الهندية ، عام ١٨٥٧ ، انتشر بين الجنود الهنود — من المسلمين والهندوس — أن دانات المدافع مغلفة بورق مشحم بدهن الخنازير والبقر ، مما أدى إلى إحجامهم عن استخدام هذه الدانات ، رغم تأكيدات الضباط الإنجليز . وفى معركتنا القومية لإجلاء المستعمر عن أرض القنال لأول مرة ، لعبت الإشاعات دوراً فعالا فى إحراز النصر . فلقد استخدمت المقاومة الشعبية المصرية إشاعة الهجوم على منطقة بعينها لصرف الانتباه عن الموضع الحقيقى للهجوم ، مما كبد العدو خسارة فادحة . كذلك استخدمت إشاعة نجاح المفاوضات فتراخت الحراسة البريطانية ، وتم ليلتها هجوم هائل من الفدائيين . وكان المتعهدون والموظفون والعمال المصريون فى المعسكرات هم وسائل نشر هذه الإشاعات وحملة هذا السلاح . ولقد أعانتنا الإشاعة مرة أخرى حين استهدفت القيادة البريطانية الترفيه عن جنودها ليلة رأس السنة : كانت تلك القيادة قد قررت إرسال العديد من جنودها إلى القاهرة والأقصر فى رأس السنة ، فألقيت إشاعة تؤكد تنظيم الفدائيين لهجوم عام فى تلك الليلة ، مما أرغم القيادة البريطانية ليس فحسب على أن تستبقى جنودها فى الحراسة ، بل وعلى أن تستدعى قوات إضافية .

وليس من شك فى أن تطور الصراعات البشرية يرتسم فى منحنى يمعن به أكثر فأكثر ضمن نطاق الوسائل النفسية ، وينأى به أكثر فأكثر عن الوسائل المادية الغليظة . إن مفهوم الحرب يعانى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تغيراً جذرياً فى مضمونه ، وذلك بقدر ما يرتفع فى أفق الإنسانية رأى عام عالمى . إن الحرب التقليدية لم تكن غير « استمرار للحرب السياسية بوسائل أخرى » . لقد كانت دليلا على إفلاس الإنسان فى مجال الصراع بالوسائل الإنسانية ، ومن ثم كان التجاؤه إلى القوة المادية الغاشمة . ولعل هذا هو ما دفع « بيلو » إلى أن يدعو إلى « الحرب الإنسانية » ، بمعنى أن تكون الحرب حرب سياسة ودبلوماسية ودعاية . فما دامت الدولة تستطيع بغير المعارك والدماء أن تشيع التخاذل فى الخصم وتحمله على التسليم بما تريده ، فليست هنالك من حاجة إلى حرب الجيوش بمعاركها الصاخبة : وهكذا تغدو حرب الإنسان « إنسانية » ، تستخدم القرائح ، وهى ما يميز الإنسان ، مبتعدة عن الوسائل الحيوانية الوحشية السافرة . فإن كان ولابد للحرب من أن تستمر ، فلا أقل من أن تتخذ صورة بشرية تباعد ما بين الإنسان المتحضر وهمجية البدائى .

وهكذا نرى أن سيكولوجية الإشاعة إنما تمثل جانباً هاماً من جوانب عالمنا المعاصر . ولعل هذا هو السر الذى كتب لهذا الكتاب الشهرة الواسعة التى يستمتع بها فى جميع بلدان الأرض . ذلك أن أولبورت وبوستمان لم يتمخضا فى دراستهما لظاهرة الإشاعة عن تفسير جديد كل الجدة ، أو عن نظرية تستوقفك بأصالتها . وإنما ينحصر فضلهما الأكبر فى اختيارهما لهذا الموضوع ، وفى استشعارهما لأهميته ، ونجاحهما فى تنسيق كل ما وصلت إليه الدراسات النفسية فى المدارس المختلفة لاستكناه طبيعة « الإشاعة » والشروط التى تحكمها . وحين يمضى القارئ فى صفحات هذا الكتاب ، فإنه لن يستطيع أن يكتم إعجابه أمام هذا النسق الرائع من النظريات والمناهج . فالتحليل النفسى يضطلع باستجلاء الدوافع العميقة وراء « الإشاعة » ؛ ونظرية الجشطلت تتبع « الإشاعة » فى مجالى الإدراك والذاكرة ، وتستقصى شروطها الحاكمة ؛ والمنهج التجريبى من وراء هذا كله يخضع التفسيرات للموضوعية العلمية والأبحاث المعملية . كل هذا فى بساطة رائعة وإبراز للأثر المروع

الذى يمكن أن ينطوى عليه هذا السلاح النفسى المعاصر .

ولما كانت الأمة العربية تتعرض فى هذه الآونة من حياتها لألوان عديدة من هذا السلاح الفتاك ، فقد رأينا أن ننقل هذا الكتاب القيم إلى العربية حتى نتيح لأمتنا أن تتجنب أشراره بتبين أسراره .

صلاح مخيمر — عبده ميخائيل رزق

القاهرة فى ٥ من إبريل ١٩٦٤

مقدمة المؤلفين

إن جانباً كبيراً من أحاديثنا الاجتماعية العادية تنطوى على تداول مبتذل للإشاعة . فنحن فى « دردشاتنا » اليومية مع الأصدقاء نأخذ ملء الرئتين شهيقاً ونخرج ملء الرئتين زفيراً من الإشاعات ـــ وأحياناً ما تكون هذه الإشاعات خاملة ، وأحياناً ما لا تكون . فالإشاعات الخاملة إنما هى نمط من الحديث العارض الذى لم يتبين صدقه ، والذى لا غرض له اللهم إلا قطع الوقت مع صديق . وعندما ننقل طرفاً من الأقاويل فقد لا نعنى شيئاً أكثر مما نعنيه بتحيتنا البريئة : « صباح الخير . يوم جميل . أليس كذلك » .

ولكن الأحاديث الاجتماعية التى لا تعبر عن شىء بعينه فيما عدا مشاعر الود الفضفاضة بإزاء محدثنا ، وفيما عدا ما تتيحه من تجنب لحرج الصمت المطبق ، تلك الأحاديث ليست غير صورة من الصور التى تتخذها الإشاعة . فغالبية الإشاعات ، وغالبية التقولات أيضاً بعيدة عن الخمول . فهى هادفة بصورة عميقة وتخدم غايات انفعالية هامة . أما عن ماهية هذه الغايات فذلك ما لا يستطيع المتحدث ولا السامع فى العادة أن يتبينه . إن ما يعرفانه هو أن القصة تبدو هامة بالنسبة إليهما ، وأن الإشاعة فيما يبدو تخفف بطريقة مستسرة من حيرتهما العقلية ومن قلقهما الشخصى .

ومع أن انتشار الإشاعة هو فى كل وقت مشكلة اجتماعية وسيكولوجية عظيمة الأهمية ، فإنه لكذلك بصفة خاصة وقت الأزمات . فحيثما يوجد ضغط اجتماعى ، تتزايد التقولات الزائفة بصورة فتاكة . فى وقت الحرب تقوض الإشاعات المعنوية وتهدد الأمن القومى ، بنشرها نذر أخطار وهمية ، وببعثها لآمال متطرفة . إنها تهدد سلامة المعلومات العسكرية ، وأخطر هذا كله ، أنها تبذر بذور العداوة والكراهية ضد الجماعات الموالية المندرجة ضمن الأمة . وفى سنوات التوتر عقب الحرب لا يقل الأثر المدمر للإشاعة إلا بصورة طفيفة .

لقد كانت مشكلة إشاعات وقت الحرب هى ما حدا بنا فى البداية إلى القيام

بالأبحاث التجريبية الواردة فى هذا الكتاب . ولكننا عندما شرعنا فى تأويل نتائج نجاربنا بالنسبة إلى انتشار الأقاصيص فى وقت الحرب وفى وقت السلم ، أذهلنا ما تبيناه من عدم وجود دراسة منهجية للموضوع ضمن مؤلفات علم النفس الاجتماعى . فحتى الآن ليس ثمة أحد فيما يبدو قد حاول أن يستعرض بصورة متماسكة وموحدة الظواهر الأساسية للإشاعة . ومن ثم فقد ألفينا أنفسنا مضطرين إلى أن نجمع معاً فى صورة كتاب مرجع جميع المعلومات المتصلة بهذا الموضوع الهام .

ولا يجوز أن ننظر إلى الإشاعة فى أية حالة من الحالات على أنها مجرد شذوذ وعلى أنها انحراف غير مألوف وهين فى السلوك الاجتماعى للناس ، هذا الذى يبدو فيما عدا ذلك معقولا . فالأمر على نقيض ذلك تماماً ، إذ أن مبدأ الإشاعة يتكشف عن قابلية فسيحة للتطبيق . فمجرى اللَّوى المميز للإشاعة فى التذكر والنسيان والتخيل والتبرير إنما هو على وجه الدقة نفس مجرى اللوى الذى نجده فى معظم أشكال التواصل البشرى . ولنأخذ على سبيل المثال الأساطير . فالأساطير هى أقاصيص طويلة العمر عن أعمال بطولية أو أحداث تعمل عمل البؤرة بالنسبة إلى الكبرياء الثقافى والتقاليد عند العائلة أو القبيلة أو الأمة . والدوافع التى تسند الأساطير ، ومجرى التغير الذى تسلكه عبر السنين ، هما فى الصميم نفس الدوافع ونفس المجرى لانتشار الإشاعة العابرة . وفى شهادات قاعة المحكمة ، وفى رواية التجارب الماضية على مسامع الأصدقاء ، وفى الملح والنكات ، وفى الرسوم الذاتية للحياة ، وفى الأمثال والأقوال المأثورة ، وفى تواريخ الحياة ، بل وحتى فى كتابات التاريخ وفى إبداعات الفنان فإننا نجد نفس المبدأ الأساسى يعمل عمله على نحو ما يعمل فى اللوى الخاص بالإشاعة . والميل إلى « التسوية » وإلى « الإبراز » وإلى « الإساغة » بالنسبة إلى السياقات الشخصية والثقافية كلها توجد فعالة فى جميع أشكال التواصل البشرى والتى لا تقيدها فى جمود معايير الصدق الموضوعية والغير الشخصية .

ومع أننا نحاول فى الفصول التالية أن نشير إلى التطبيقات الفسيحة لمبدأ الإشاعة ، فإننا نركز اهتمامنا فى الجانب الأكبر منها على تلك العبارات التى لم يتبين صدقها ، والمقدمة للتصديق ، والتى عادة ما تسمى إشاعات . ونحن إذ نحصر

ذهن القارئ فى هذا المدى الأضيق من الأمثلة ، فإننا لنأمل أنه سيصبح من الإحاطة بالقواعد المتضمنة فيها بحيث يستطيع فى يسر أن يطبق هذه القواعد على جميع أشكال التواصل البشرى المماثلة .

ومصطلح « الإشاعة » ، كما سنستخدمه ، يعنى « كل قضية » أو عبارة نوعية (أو موضعية) مقدمة للتصديق ، تتناقل من شخص إلى شخص ، عادة بالكلمة المنطوقة ، وذلك دون أن تكون هنالك معايير أكيدة للصدق .

والشيء الذى تتضمنه دائماً كل إشاعة هو أنها تنقل شيئاً من الحقيقة . ويصدق ذلك حتى حين يصدر الراوى « مضغته » محذراً : « إنها مجرد إشاعة ، ولكنى سمعت . . . »

وأداة النقل هى فى العادة الكلمة المنطوقة . حقاً إن الإشاعات أحياناً ما تظهر فى الصحف أو المجلات أو تجد طريقها إلى موجات الإذاعة . ومع ذلك فإن الناشرين المسئولين والمذيعين يتعلمون مع الوقت التحرز من الإدلاءات التقولية وهم بذلك غالباً ما يتجنبون نشر الإشاعة . ومن ناحية أخرى فإن المنشورات المنطوية على الافتراء ، والقطاعات التى لا تقدر المسئولية من الصحافة إنما هى فى العادة حاملة الأقاصيص الضارة .

وتعريفنا يوجه الاهتمام إلى الحقيقة التى مؤداها أن الإشاعة فى العادة نوعية وموضعية ، وهى لهذا السبب عادة ما تكون ذات أهمية وقتية . تجيء الإشاعات وتذهب ، وأحياناً ما تعاود نفس الإشاعات الظهور . ولكنها تكاد تدور دائماً حول أحداث أو حول شخصيات . وبطل الإشاعة عادة ما تتحدد هويته : حرم « س » ، ممثل سينمائى ، الروس ، الرجل الغريب الذى دخل الباب المجاور ، هيئة فيدرالية — هذه كلها أهداف نمطية للإشاعة . وتوجد أقاصيص قليلة لا تنطوى على ضحايا من الشخصيات المحددة الهوية . وتوجد أقاصيص قليلة تخلو من تخصيص واضح لطبيعة العمل أو الفعل الذى يزودها بلون خاص . فالإدلاءات التقولية عن الأحداث وعن الأقاويل ، وعن الافتراءات ، وعن النبوءات الباسمة أو البشعة فيما يتصل بالأحداث المقبلة ، إنما هى من بين الأشكال العيانية التى تتخذها الإشاعة .

والسمة المركزية فى تعريفنا تنحصر فى إلحاحه على أن الإشاعة تزدهر فحسب فى غيبة « المعايير الأكيدة للصدق » . فهذا المحك يعزل ما بين الإشاعة والخبر ، ويميز « حكايات الحدات » عن العلم ، ويفصل الغفلة عن المعرفة . حقاً إننا لا نستطيع أن نجزم فى سهولة متى تكون هذه المعايير الأكيدة للصدق متوفرة . ولهذا السبب فإننا لا نستطيع دائماً أن نتبين ما إن كنا نستمع إلى واقعة أو إلى أخيولة . فالخبر المشمول بتاريخه ، والذى هو فى متناول جميع القراء لجريدة مشهورة يمكن فى العادة أن يتخذ كمعيار أكيد للصدق . ولكننى عندما أروى هذا الخبر لصديق ، فأبتعد عن صيغة الخبر كما نشرته الجريدة ، فثمة إشاعة بدأت. أما إذا كان إدلائى الشفوى يساير عن كثب الخبر المطبوع فليست هنالك إشاعة ـ اللهم بالطبع إلا إن كان الخبر الأصلى قد ابتعد هو نفسه عن المعايير الأكيدة للصدق فكان هو نفسه إشاعة .

وهكذا فكيما نقطع إن كنا نستمع إلى معلومات أو إلى إشاعة ، فإن علينا أن نتبين مدى الاقتراب أو الابتعاد عن دليل الصدق الذى يستند إليه الإدلاء . ففى الإشاعة قد غدا دليل الصدق معتماً . وغالباً ما ينخفض إلى ما لا يزيد فى جوهره على : « يقولون . . . » وعلى وجه الخصوص حين ينحصر معيار الصدق فى ضمير الغائب (دون ما تحديد لما يعود عليه) فاحذر إشاعة . وكذلك أيضاً فى حالات أخرى حيث يكون معيار الصدق مائعاً لا يمكن الإمساك به ، كما هو الشأن فى الصيغة الشهيرة : « علمت من مصدر ثقة . . . » .

وحيث أن معايير الصدق توجد أحياناً فى ذهن القائم بالإدلاء نفسه ، فكثيراً ما نجدنا مضطرين إلى الحكم عما إن كان هذا المتحدث يعلم حقاً عما يتحدث به . ونستطيع أن نكون على ثقة تماماً من أن العالم الذى يتحدث فى مجال اختصاصه لا يطلق إشاعة . وطبيبنا أقل تهيؤاً من أصدقائنا غير المتخصصين لتصديق أو رواية إشاعات تدور حول معجزات شفاء ، أو حول أوبئة غير معقولة . والمحارب القديم فى أوكيناوا هو أقل تهيؤاً من غيره لتصديق أو نقل حكايات وهمية عن معارك تلك الجزيرة ، ولو أن المحاربين القدماء أنفسهم يميلون إلى التعويل على الخيال فى حديثهم عن المعارك . وجميع الأفراد يملكون داخل أنفسهم معايير

أكيدة ، أو شبه أكيدة ، للصدق فيما يتصل بالأمور التى خبروها . ولكنه يصعب فى الغالب على الشخص الغريب أن يتبين مدى ما هم عليه من خبرة وبعد عن التحيز .

ونحن بالنسبة إلى غالبية الأمور تنقصنا الخبرة ، وبنفس هذا القدر نكون مهيئين للإشاعة . وليس لدينا من الوقت ولا من الصبر ما يسمح لنا بمراجعة ما نسمعه على معايير الصدق الخارجية ، وذلك حين تتوفر هذه المعايير وتكون متاحة لنا . وما دام ذلك كذلك ، فإن وسيلتنا الوحيدة التى يمكن التعويل عليها فى الدفاع تنحصر فى الشك المعمم على جميع الإدلاءات التقولية . وقدر سوى من هذا الشك فيما نأمل سوف يتوفر لقراء هذا الكتاب .

جوردون أولبورت ليوبوستمان

جامعة هارفارد

ديسمبر ١٩٤٦

الفصل الأول

الإشاعة فى وقت الحرب

لقد غدت الإشاعة مشكلة تستأثر باهتمام قومى شديد خلال العامين المتأزمين ، عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٣ . فى ذلك الوقت قدمت شخصية رسمية كبيرة فى « مكتب الإعلام الحربى » تعليلا للإشاعة ، و « وصفة » للهيمنة عليها ، كانا بصورة جزئية — وبصورة جزئية لاغير — صحيحين . قال : « تنتشر الإشاعة فى غيبة الأخبار . وعليه يتحتم علينا أن نقدم للشعب الأخبار فى أدق صورة ممكنة ، فى التو وبصورة كاملة » .

صحيح إن الإشاعة تزدهر بالعوز إلى الأخبار . ويرجع الانعدام الشبه تام للإشاعات « المنبعثة عن الخوف » فى بريطانيا فى أحلك أيام الحرب الخاطفة إلى اقتناع الشعب بأن الحكومة كانت تنشر أخباراً كاملة ودقيقة عن الدمار وإلى اقتناعه من ثم بأنه يعلم أسوأ ما فى الأمر . فعندما يثق الناس بأنهم يعلمون أسوأ ما فى الأمر فليس من المحتمل أن يعمدوا إلى الزيادة من قتامة الصورة بابتداع لفتات لا داعى لها كيما يفسروا بها لأنفسهم مشاعر قلقهم .

وفى نفس الوقت ليس من العسير مع ذلك أن ندلل على أن الإشاعة تنتشر فى أغزر صورها عندما تكون الأخبار فى أقصى وفرتها . فلقد كانت الإشاعات قليلة حول خسائرنا الفادحة فى بيرل هاربور Pearl Harbor حتى نشرت الصحف نفسها بلاغاً رسمياً عن الكارثة . وعلى الرغم من ظهور إشاعات متناثرة عن موت هتلر قبل أن تنشر الصحف محاولة اغتياله فى صيف عام ١٩٤٤ ، فلقد ظهر منها بعد ذلك مباشرة ما هو أكثر بكثير . وتساوى طوفان إشاعات السلم فى أواخر أبريل وأوائل مايو من عام ١٩٤٥ مع المناقشة المفتوحة فى الصحف حول الانهيار الوشيك لألمانيا . كذلك اجتاح البلاد فيضان من الإشاعات خلال الساعات الأخيرة قبيل يوم النصر على اليابان V.J. Day . وانتشرت الروايات الفجة عن نهاية الحرب بأسرع من أن يستطاع تكذيبها رسمياً .

ومن بين الأحداث العجيبة فى تاريخ الإشاعات انتشار القصص عن موت كثير من الشخصيات الشهيرة ، من بينها الجنرال مارشال ، وبنج كروسبى ، والمحافظ لاجوارديا ، وذلك خلال ساعات قليلة من إطلاق خبر الوفاة المفاجئة للرئيس روزفلت فى ١٢ أبريل عام ١٩٤٥ . وعندما تكون الأحداث العامة لا تستحق أن تكون أخباراً ، فليس من المحتمل أن تفرخ إشاعات ؛ وفى بعض الظروف ، وبقدر ما تولى الصحافة من إبراز للخبر — وخاصة الخبر الخطير — تزداد ويعظم خطر التحريفات التى يعانيها هذا الخبر .

ولقد أخطأت الشخصية الرسمية بمكتب الإعلام الحربى OWI فى افتراضها أن الإشاعات إنما هى مسألة فكرية بحتة ، مجرد شىء — خير من لا شىء — يأخذ مكان الخبر الأكيد . إنه أغفل هذه الحقيقة ، وهى أنه عندما تقع أحداث عظيمة الأهمية فإن الفرد لا يقف أبداً عند مجرد تقبل الحادث . إن حياته تتأثر بالحادث بصورة عميقة . فالرنات الطاغية الانفعالية للحادث تنسج فى ذهنه مختلف الأخاييل . يبحث عن تفسيرات ويتخيل نتائج بعيدة .

ومع ذلك فالشخصية الرسمية قد قررت جانباً من المعادلة الخاصة بانتشار الإشاعة والهيمنة عليها ، وإن كان ذلك فى صورة غير دقيقة وفى بساطة مسرفة . إن الإشاعة تسرى عندما تكون الأحداث ذات أهمية فى حياة الأفراد ، وعندما تكون الأخبار عنها إما ناقصة ، وإما — من وجهة نظر الفرد — غامضة . والغموض يمكن أن ينشأ إما لأن الخبر لم يمحص بوضوح ، وإما لأن صيغاً متضاربة للخبر قد وصلت إلى الفرد ، وإما لعجز الفرد عن أن يفهم الخبر الذى سمعه . ففى صيف عام ١٩٤٥ كانت القنبلة الذرية موضوع إشاعات عديدة ، وخاصة بين المتعلمين . أشيع أن إشعاعات فتاكة تحوم خلال فترة طويلة فوق المنطقة التى يقع فيها الانفجار الذرى ، مما يجعل أى شكل من أشكال الحياة فيها مستحيلا . وكشف استقصاء للرأى العام عن اعتقاد ربع السكان فى أن هذا الاختراع قد يترتب عليه تفجر الكرة الأرضية فى أحد الانفجارات الذرية الهائلة . وعانى العلماء مشقة هائلة لتكذيب هذه الأقاصيص . وكانت هنالك أيضاً كثرة من الإشاعات الحالمة عن تحسينات هائلة فى مستوى المعيشة كنتيجة مباشرة لاستئناس الطاقة الذرية .

باختصار ، لم يكن الناس بقادرين على تقييم الأخبار التي جاءتهم عن نجازاكى وهيروشيما .

وأهم من هذا كله ، وخاصة فى وقت الحرب ، أن الإشاعة تركض ركضاً حين يرتاب الأفراد فى الأخبار التى تبلغهم .

إشاعات بيرل هاربور

فى يناير وفبراير من عام ١٩٤٢ اجتاحت إشاعات الخوف أمريكا . كان مضمونها دائماً هو بعينه : خسائرنا فى غارة بيرل هاربور أعظم بكثير مما صرحت به السلطات . ذهبت بعض الروايات إلى أن « أسطول المحيط الهادى » قد أغرق بأكمله فى بيرل هاربور فى السابع من ديسمبر ، وذهب بعضها الآخر إلى أن ألف طائرة دمرت على الأرض فى نفس اليوم . ومن المعلوم الآن أن الإحصاء الكامل للخسائر التى تكبدناها فى بيرل هاربور لم يذع فى البلاغات الرسمية الأولى ، ربما لأسباب تتعلق بالأمن العسكرى . وقد نبتت الروايات من الشك فى أن الأمر كان كذلك . فالجمهور ، مرتاباً فى الأخبار ، لم يكن يملك أية معايير أكيدة للصدق يراجع بها ويضبط خياله الهلع . كانت الأقاصيص من عظم الانتشار والإزعاج بحيث أحس الرئيس روزفلت ضرورة تخصيص جانب من « حديث المدفأة » الذى أذيع فى ٢٣ فبراير عام ١٩٤٢ لدحض هذه الإشاعات المروعة . وحتى فى هذا الحديث لم يكن فى وسع الرئيس أن يقول كل شىء . ولكنه عمل كل ما فى وسعه لتسكين مخاوف الشعب بكشفه عن الحقيقة أكثر ما يستطيع ، فى غير تعريض الأمن القومى للخطر . أما عن تأثير توكيداته فهذا ما سنوضحه بعد قليل .

أولا ، لنطبق معادلتنا الخاصة بالإشاعة على أقاصيص بيرل هاربور . نجد — كما هو الشأن فى جميع الإشاعات — أنه على الرغم من أن الحدث كان ذا أهمية بالغة فى حياة الشعب ، فإن الأخبار المتعلقة به كانت — من وجهة نظر الأفراد — غامضة . وفى هذه الحالة بالذات نشأ الغموض من ثلاثة عوامل فعالة فى نفس الوقت :

١ — كان كثير من الناس مزعزعى الثقة فى جهاز الحكومة بواشنطون ،

لايثقون فى التحسينات التى أجريت عليه ، ولا يرتاحون إلى نزعته التدخلية المسرفة ، وأقسامه الألف بائية ، وخبرائه العتيقين [١] .

٢ ــ كان الناس على وجه الجملة فى شك من حقيقة السياسة التى تتبعها الحكومة بإزاء الأخبار فى وقت الحرب . وحتى الأشخاص الذين لم يكونوا من المعارضين للجهاز الحكومى ، لم يكونوا يثقون تمام الثقة فى معالجة الجهات الرسمية للأخبار . وفى الأيام الباكرة من الحرب ، كان للارتياب بعض ما يبرره [٢] .

٣ ــ وأهم من هذا كله فإن حياة الناس قد اضطربت أشد الاضطراب بمقدم الحرب ؛ تمزقت الأسر ، وتبدلت خطط الحياة ، وخيم على الرءوس مستقبل قاتم ومريب .

وعلى التخصيص ، كان قدر كبير من المخاوف ينتاب المواطنين الذين لم يكونوا على ثقة من قدرتنا على صد غارات القاذفات ، أو حتى على صد محاولة للغزو . و « لتفسير هذه المخاوف » كان لابد من العثور على سبب مقبول . وكان أقرب الأسباب ، وأكثرها بروزاً ، وأكثرها معقولية هو الافتراض بأن قواتنا الدفاعية قد دمرت بالفعل كلها تقريباً . كنا فى الواقع بغير دفاع . وحيث أنه لم تحدث اشتباكات فيما عدا بيرل هاربور ، فلابد وأن بيرل هاربور هى التى أحالتنا عجزى . لقد كان من الأيسر للاعتقاد أن يتجه إلى أسباب حديثة بارزة تراجيدية ، من أن يتجه إلى السبب الأكثر بعداً والأقل وضوحاً ، ونعنى فشلنا فى تهيئة الدفاع القومى . وهكذا فإن الانفعال الشديد ، يصحبه « السعى وراء معنى » ، يدحض

---

(١) فيما يتعلق بإشاعات سوء السيرة فى الحرب ، فقد كانت فى الواقع تحظى بتصديق المواطنين المعارضين لحكم روزفلت أكثر مما تحظى بتصديق الموالين له . تلك حقيقة أثبتها بحث أجراه ف . هـ . أولبورت F.H. Allport و م . لبكين M. Lepkin عام ١٩٤٥ .

(٢) فيما يتعلق بوجود شك قوى فى نشرات الأخبار الرسمية طوال الحرب ، فذلك ما كشفت عنه سلسلة من استقصاءات الرأى العام التى توجه هذا السؤال : « هل تعتقد أن الحكومة تقدم للجمهور من أخبار عن الحرب بالقدر الواجب عليها ؟ » فعقب حادث بيرل هاربور بثلاثة أيام فقط كان ٦٨٪ من الناس على استعداد للإجابة « بنعم » على هذا السؤال . وقد تأرجحت نسبة المجيبين « بنعم » خلال الحرب ، فلم ترتفع قط على ٧٠٪ ، وبلغت فى انخفاض إلى ٥١٪ فى مارس عام ١٩٤٤ . (معلومات مستمدة من « مكتب أبحاث الرأى العام » بجامعة برنستون) .

مثل هذا الخبر عند تلقيه [1].

كانت الحاجة إلى تبرير مخاوف بيرل هاربور اللاحقة من القوة عند كثير من الناس بحيث صمدت فى وجه التوكيدات الرسمية للقائد العام. وتهيأت بصورة غير منتظرة فرصة تجريبية بفضل « حديث المدفأة » فى حلقته التى أذاعها فى ٢٣ فبراير عام ١٩٤٢ .

فقد حدث فى ٢٠ فبراير أن وجه إلى فئة قوامها ٢٠٠ من طلاب الجامعة هذا السؤال: « هل تعتقد أن خسائرنا فى بيرل هاربور كانت « أكثر » أو « أكثر جداً » أو « مساوية » أو « أقل » أو « أقل جداً » مما أعلن رسمياً ؟ » وكانت خلاصة النتائج :

« أكثر » أو « أكثر جداً »	٦٩ ٪
« مساوية » أو « أقل »	٣١٪

ثم كان حديث الرئيس الذى استمعت إليه الأغلبية من الأمريكيين .

وفى ٢٥ فبراير ، وجه إلى فئة معادلة من ٢٠٠ طالب (إذ لم تكن الفئة الأولى فى المتناول) نفس السؤال بنصه ، كما سئلوا عما إذا كانوا قد سمعوا أو قرأوا خطاب الرئيس . فبين الذين لم يكونوا على علم بما قاله الرئيس « لم يحدث تغير » فى النسب المئوية ، للإجابات . أما بين الذين قرأوا أو سمعوا توكيداته فقد كانت النتائج :

« أكثر » أو « أكثر جداً »	٤٦٪
« مساوية » أو « أقل »	٥٤٪

كانت تلك فرصة نادرة لقياس فاعلية صوت السلطة المهيب يتحدث من خلال الراديو ، ذلك الوسيط القوى ، فى وقت المحنة . فإذا نظرنا إلى التجربة باعتبارها تصدق على الوطن كله (وليس هنالك من سبب يبرر النظر إلى طلاب الكليات بوصفهم « لانمطيين » فى هذا المجال) ، أمكننا القول إن الرئيس ، بكلمات قليلة مطمئنة ، نجح فى تغيير اعتقاد ٢٣٪ من المواطنين . ويعد هذا ، من زاوية بعينها ، إنجازاً هائلا . فتهدئة الشكوك ، وإزالة المخاوف ، ودحض الاعتقادات الانهزامية بين نحو ٢٠ مليوناً من المواطنين فى مثل هذه الفترة الوجيزة

---

(١) إن عاملا من أهم العوامل السيكولوجية فى انتشار الإشاعة هو رغبة الناس فى فهم وتبسيط الأحداث المعقدة الكثيرة والتطورات المتعاقبة فى سرعة محيرة . فالإشاعات تعمل على جعل الأشياء أبسط مما هى عليه فى الواقع . وهذا الجهد فى سبيل التبسيط والفهم سنسميه « السعى وراء معنى » .

إنما هو نتاج « للمكانة الممتازة » للرئيس ، ولفاعلية الراديو كوسيط .

وفى نفس الوقت ، فإن غالبية المعتقدين فى الإشاعات الوبيلة قد استمروا على اعتقادهم فيها ، وذلك على الرغم مما بذله الرئيس من قصارى جهده . وبالنسبة لهؤلاء الأفراد . ينبغى أن نفترض أن ما يستشعرونه من قلق ذاتى كان من الشدة ، أو أن ما يغلب عليهم من عدم ثقة بالمستر روزفلت كان من القوة إلى حد أن الأخبار ، حتى حين تصدر عن أعلى صوت مسئول ، لا تستطيع أن تزعزع من سلطان الإشاعة عليهم .

الإشاعات والمعنوية القومية

وإشاعات بيرل هاربور ، شأنها شأن سائر الإشاعات الأخرى المتعلقة بالخسائر الفادحة ، يمكن تصنيفها على أنها إشاعات خوف (أو إشاعات «مروعة»).

وتنتمى إلى هذا الصنف قصة سرت فى نيوانجلند عام ١٩٤٢ : ولب الأمر أن ناقلة فحم غرقت نتيجة حادث قرب رأس « كود كانال » . ولكن قلق الجمهور فى نيوانجلند كان من الشدة بحيث استحال هذا الحادث حكاية أخيولية تدور حول سفينة أمريكية ضربت بالطوربيد مما أودى بآلاف من الممرضات كن على ظهرها . وكان للقصة صيغ أخرى لا تقل بشاعة [١] .

وتنتسب إلى إشاعات الخوف أيضاً قصص « السلال » . قيل إن سيدة تلقت إخطاراً من إدارة الحرب بأن تنتظر زوجها الجندى العائد فى محطة السكة الحديدية بالمدينة . ولقد فعلت ؛ وتمضى القصة لتروى أن الزوج قد سلم لها فى سلة مبتور الذراعين ، مبتور الرجلين .

هذه القصة البشعة ، التى نسجت من خيوط خيال مقابرى ، قد انتشرت فى نطاق واسع عام ١٩٤٤ . وخلال الحرب كلها لم تكن هنالك غير حالة واحدة من بتر الأطراف الأربعة جميعاً . وكان الواقع فى هذه الحالة الوحيدة يختلف تماماً عن العجز الذى ألصقه الوهم بالضحية ، والغلطة التى ألصقها الوهم بإدارة الحرب . وقد روت الأسوشيتد برس الوقائع الصحيحة فى ١٢ أغسطس عام ١٩٤٥ .

---

(١) انظر ر . هـ . ناب (١٩٤٤) .

« ضحية حرب ، مبتور الذراعين مبتور الرجلين يتسلم ٦٠,٠٠٠ دولار نقداً »

« الرقيب أول (الباشجاويش) فردريك هنزل ، وهو الجندى الوحيد الذى فقد ذراعيه ورجليه فى القتال ، تسلم هو وزوجته جويل ما قيمته ٦٠,٠٠٠ دولار كهدية اليوم ، بمناسبة احتفالهما بعيد زواجهما الثالث فى مستشفى برسى جونز العسكرى .

« ولقد استحوذ هنزل على إعجاب الجماهير عند وصوله من أوكيناوا منذ خمسة أسابيع ، إذ أعلن تصميمه على إقامة مزرعة للدواجن، على الرغم من إعاقاته التى تبدو وكأنها تستحيل على القهر .

« وتقديراً لشجاعته شرع الناس من جميع أنحاء البلاد يرسلون إليه التبرعات لمساعدته . ولقد قدم للزوجين هنزل ما ينيف على ٢٦,٩٢٠ دولاراً تلقتها مؤسسة فرى برس بدترويت ، و ٢٥,٠٠٠ دولار تلقتها مؤسسة الشيكاجو هرالد ، والأمريكان هرالد . وصرح آل جرينبرج ، بلويزفيل ، وهو من رجال الأعمال ، بأنه جمع ما يقرب من ٤٠٠٠ دولار ، فضلا عن إعانات مباشرة للزوجين هنزل تربو فى مجموعها على ٤٠٠٠ دولار . »

وهذه الصورة لم تعرض للأطراف الصناعية الطبية ولا للمعونة المالية الحكومية لتأهيل هذا الشجاع (الذى ما أبعده عن العجز) من ضحايا الحرب .

ولقد كانت الإشاعات المروعة ، وخاصة فى الأيام الباكرة من الحرب ، أكثر رواجاً من إشاعات الأمانى (الإشاعات الحالمة) . فهذه الأخيرة اتخذت فى العادة صور التنبؤ بقرب نهاية الحرب . كان لويدز فى لندن ، على ما قيل ، يراهن عشرة إلى واحد بأن الحرب ستنتهى قبل عيد الميلاد من عام ١٩٤٢ . وثمة أقصوصة غريبة راجت فى أنحاء البلاد ومؤداها أن عرافة قد تنبأت بأن « هتلر » سيموت خلال ستة أشهر . وتبعاً للأقصوصة ، فإن الرجل الذى أخبرته العرافة بهذه النبوءة ، قد أظهر تشككه . ولكن العرافة أصرت على قولها وأردفت : « نعم سيموت هتلر فى خلال ستة أشهر ، وهذا صحيح بدليل أنك ستجد فى القريب جثة فى

سيارتك » . وتمضى الأقصوصة ، فتذكر أنه لم يمض وقت طويل حتى كان السيد المتشكك يقود سيارته خارج المدينة ، فاعترضه رجل مصاب فأخذه فى سيارته لينقله إلى المستشفى ، ولكن السيد عندما وصل إلى المستشفى وجد أن الرجل قد مات فى السيارة .

ويبدو من المدهش حقاً أن تلقى مثل هذه الخرافة السخيفة من الترحيب ما يتيح لها هذا الانتشار الواسع . ويكمن جانب من التفسير فيما لموت هتلر المحتمل من أهمية عند ناشرى الإشاعة ، وجانب آخر من التفسير فى رغبتهم فى الاعتقاد بقرب نهايته ، وجانب ثالث فى الغموض الذاتى الذى يحيط بيوم وفاة أى شخص ، ويكمن جانب أخير فى الحاجة إلى « تعقيل » — إلى إظهار معقولية وإمكانية — الرغبة ذاتها . وتستند الإمكانية والمعقولية إلى منطق زائغ مؤداه أنه إذا أصابت العرافة فى نبوءتها المتعلقة بالجثة ، فمن المفروض أن تكون نبوءتها عن موت هتلر جديرة بالتصديق .

وعلى وجه الجملة ، فإن « الإشاعات الراغبة » ، بألوانها المتفائلة المميزة ، كانت قليلة نسبياً قبل أن يغدو انهيار ألمانيا أمراً وشيكاً . ففى خلال شهر أبريل من عام ١٩٤٥ انهالت إشاعات موت هتلر وإشاعات تسليم ألمانيا بلا قيد ولا شرط فى فيض زاخر ، وعززتها — قرب النهاية — الصحافة والإذاعة المثيرة والتى أطلقت حممها قبل النهاية الفعلية بيومين أو ثلاثة .

ونحن فى حالة هذا الضرب من « إشاعات حلول السلم » إنما نعالج ظاهرة خاصة من ظواهر الإشاعة يمكن تسميتها « بالأثر المتزايد للاقتراب من الهدف » أو بجذب الهدف (انظر نهاية الفصل الثانى) . وعلى الرغم من أن إشاعات السلم هذه كانت تجد ما يسندها وما يعجل من إيقاعها فى « الرغبة » وفى « غموض الأخبار » ، فإنها كانت إلى حدما نتاجاً لمجرد التوقع . فنحن حين نتوقع نوعاً من الخبر فإنه يكون من السهل علينا أن نصدق أنه حدث بالفعل . فكم من الناس من « يعتقد » أنه سمع رنين التليفون حين يكون فى حالة من التوقع لمكالمة ؟

ويتضح « الأثر المتزايد للاقتراب من الهدف » والناشئ من التوقع من المقال الافتتاحى التالى ، من صحيفة « جلوب » ببوسطن ، الصادر فى ٦ سبتمبر ١٩٤٤ .

والمقال يوجه انتباهنا أيضاً إلى الحقيقة التى مؤداها أن الإشاعات يمكن أن تنطوى على « نواة من الحقيقة » . ففى الحالة التى أمامنا استسلم ٩٠٠٠ من الألمان فى مونز Mons — ولكن الجيش الألمانى كله لم يستسلم .

فجر كاذب

« أثارت إشاعة أطلقها راديو بروكسل نشوة كاذبة عند كثير من الناس بالأمس ، وذلك بإعلانه أن الألمان قد استسلموا . وبعد ذلك بساعتين صدر تكذيب قاطع من « مركز القيادة العليا » ، واعتذار من المحطة التى أطلقت النبأ . وكان الأصل الواضح لهذه الإشاعة هو استسلام ٩٠٠٠ من الألمان فى مونز .

« وستتوالى بلاغات أخرى مؤداها أن الألمان قد استسلموا ، ولكن من الممكن أن يمضى وقت غير قصير قبل أن يحين إعلان الاستسلام الحقيقى بلاقيد ولا شرط على العالم الذى يعيش فى حالة من التوقع . ومن المحتمل جداً أن تبرز إشاعات واهية الأساس بحيث تستند إلى ما هو أوهى مما استندت إليه إشاعة الأمس . إن الألمان تتوالى عليهم الضربات ، ولكن ليس من أحد يستطيع أن يعرف طول الفترة التى ستظل فيها القوة الرئيسية تقاوم وتستمر فى القتال .

« وفى نفس الوقت فإن علينا ، سيان كنا مدنيين أو عسكريين ، أن نمضى فى الاضطلاع بواجباتنا ، دون أن نلقى بالا إلى الأقاصيص التى تدور حولنا ، مهما تكن سارة » .

وإشاعات الخوف ، كالإشاعات الراغية ، قد كان لها أثر بالغ على معنوية « الجبهة الداخلية » أثناء الحرب . فإشاعات الخوف ، بما تنطوى عليه من إنذار بالخطر ، كانت تميل إلى الكف من ثقة الشخص فى النهاية المظفرة لمجهوداته الحربية . فهى إذ كانت تولد قلقاً لا لزوم له ، كانت أحياناً ما تؤدى إلى نظرة انهزامية .

والإشاعات الراغية ، من ناحية أخرى ، بما تنطوى عليه من تفاؤل جد ساذج . قد أدت أحياناً إلى الرضى عن الحال بما يوهن العزائم . ويتبدى استعداد الناس

« للاستنامة » عند تلقيهم للأخبار السارة من هبوط تبرعات الدم إثر أخبار الانتصارات الهامة للحلفاء . فكلما اعتقد الناس فى إشاعات النصر الوشيك أو النهاية القريبة للحرب كانوا يميلون إلى التلكؤ فى الجهود التى يبذلونها وإلى التقليل من التضحيات التى يقدمونها .

ومهما تكن من أهمية إشاعات الخوف والإشاعات الراغبة من حيث ما يترتب عليها من آثار فى المعنوية القومية ، فإنها ضئيلة الشأن بالقياس إلى النتائج المترتبة على الفئة الثالثة من إشاعات الحرب ، وهى أوسع الفئات انتشاراً ، ونعنى الأقاصيص المعبرة عن الكراهية والعدائية — « داقة الأسافين » .

ويقدم الجدول رقم (١) الذى أعده ناب Knapp عام ١٩٤٤ توزيعاً مئوياً لألف إشاعة جمعت من أنحاء الولايات المتحدة كلها ، وذلك خلال صيف ١٩٤٢ [1].

ويكشف تحليل ناب عن أن ما يقرب من ثلثى الإشاعات الدائرة فى عام عام ١٩٤٢ كانت عدائية من حيث القصد ، مفرقة من حيث الآثار المترتبة عليها . فنحو ٩,٣ ٪ منها كانت مناهضة لليهود ، ونحو ٣,١ ٪ منها كانت مناهضة للزنوج ، ونحو ٢١,٤ ٪ منها كانت مناهضة للإدارة الحكومية ، ونحو ١٩,٦ ٪ منها كانت مناهضة للجيش أو البحرية . كانت التذمرات والاتهامات تتجه فى سيل متدفق ضد جماعات من المواطنين الأمريكيين ، ممن كانوا جميعاً فى الحقيقة يبذلون التضحيات لكسب حرب مشتركة . وإن أثر مثل هذه الإشاعات لا يمكن إلا أن يكون ضاراً بالوحدة القومية فى فترة محنة . غلبت مشاعر المرارة على ضحايا هذه الإشاعات ، وعم الارتياب والاتهام فى هذا الوقت بالذات الذى لا يحتمل إلا أقل ما يمكن من سماح بهما .

---

(١) يستند هذا الجدول إلى تقارير من جميع الولايات جاءت كإجابة على سؤال يذيل قصة فى مجلة « المختار » ، عدد سبتمبر ١٩٤٢ ، تحت عنوان « بوسطن تشن الحرب على الإشاعة » . والجدول ننشره هنا بتصرف من « مجلة الرأى العام » الربع سنوية .

جدول رقم (١)

تصنيف ١٠٠٠ إشاعة جمعت من جميع أنحاء البلاد خلال صيف عام ١٩٤٢

(كل صنف أفقى فى الجدول يمثل النسبة المئوية التى حصل عليها نمط بعينه من الإشاعة بالقياس إلى جملة العينة الإقليمية)

	الولايات المتحدة	نيوانجلند	سواحل الاطلنطى	الجنوب	الغرب الأوسط	الغرب الأقصى
الاشاعات داقة الأسافين (الجملة)	٦٥٫٩	٦٣٫٢	٦٢	٦١٫٦	٧٢٫٥	٦٧٫٨
(ا) مناهضة لليهود						
التهرب من الخدمة	٣٫٦	٧٫٢	٦٫٦	٫٩	٣٫٢	١٫١
الأنواع الأخرى	٥٫٧	٦٫٤	٧	٤٫٢	٤٫٦	٦٫٩
الجملة	٩٫٣	١٣٫٦	١٣٫٥	٥٫٢	٧٫٧	٨
(ب) مناهضة للبريطانيين	٧٫٣	٩٫٦	٩٫٤	٥٫٢	٧	٥٫٨
(ج) مناهضة للإدارة الحكومية						
— روزفلت شخصياً	٣٫١	٢٫٤	٢	٣٫٣	٦٫٣	١٠٠
— المرتجعات والتعيينات	٦٫١	٤	٣٫٥	٨٫٩	٦٫٧	٦٫٩
— سندات الحرب والإدخارات غير مأمونة	٣٫٧	١٫٦	٢٫٧	١٫٤	٦	٥٫٨
— الاسلحة الممتازة: الجور وإساءة السلطة	٢٫٢	٢٫٤	٫٨	١٫٨	٤٫٢	١٫٦
— استغلال النفوذ والحوادث والتبذير وعدم الكفاية	٤٫٤	٣٫٢	٢	٤٫٧	٥٫٣	٦٫٩
الجملة	٢١٫٤	١٣٫٦	١٠٫٩	٢٠٫٢	٢٨٫٤	٢٫٣
(د) مناهضة للزنوج	٣٫١	٫٨	٢٫٣	٨٫٥	٢٫١	١٫١
(هـ) مناهضة للجيش والبحرية						
— عدم كفاية القادة والحكوميين	٣٫١	١٫٦	٢	٢٫٣	٤٫٢	٤٫٨
— إساءات من الجنود والبحارة	٦٫٧	٨٫٨	٩٫٨	٥٫٦	٥٫٦	٤٫٢
— السكر وسوء الخلق	٢٫٦	١٫٦	٢٫٧	٢٫٨	١٫٨	٤٫٢
— الإمدادات والمعدات: رديئة أو ناقصة	٦	٤	٤٫١	٧٫٥	٧	٥٫٣
— الإمدادات والمهمات: تبذير أو سوء استعمال	٢٫١	٢٫٤	١٫٢	٢٫٨	١٫٨	٣٫٢
الجملة	١٩٫٦	١٧٫٦	٢٠٫٧	٢١٫٢	٢٠٫٣	٢٠٫٧

	الولايات المتحدة	نيوانجلند	سواحل الاطلنطى	الجنوب	الغرب الأوسط	الغرب الأقصى
(و) مناهضة الصليب الأحمر	٢٫٢	٤٫٨	٢٫٣	٫٥	٢٫٨	١٫٦
(ز) مناهضة للعمال	١٫٦	٫٨	٫٤	٫٥	١٫٨	٤٫٨
(ح) مناهضة لرجال الأعمال	٢٫٣	١٫٦	٢٫٣	٫٥	٢٫٥	٤٫٨
إشاعات الخوف (الجملة)	٢٥٫٤	٢٨٫٢	٢٦٫٩	٣٣٫٨	٢٠٫٣	١٩٫٦
(أ) فى القوات المسلحة						
– حالات انتحار	٫٦		١٫٢		١٫١	
– حالات جنون	١		٫٨	١٫٤	١٫٨	٫٥
– طاعون وأوبئة	١٫٢					
– إصابات خطيرة	٥٫١	٩٫٦	٩٫٩	٧٫٧	١٫٤	
الجملة	٨	٩٫٦	١٢٫٩	٦٫٦	٨٫٢	٢٫١
(ب) أعمال الطابور الخامس						
– قصة « الخبر والغواصة »	٢	١٫٦	١٫٦	٦٫١	٫٤	٫٥
– تزويد العدو	٫٧	٢٫٤	٫٤	١٫٤		٫٥
– أعمال الجاسوسية والتخريب	٤٫٢	٦٫٤	٢	٨٫٥	٣٫٥	٢٫١
الجملة	٦٫٩	١٠٫٤	٣٫٩	١٦	٣٫٩	٣٫٢
(ج) الفظائع						
– قصة « اللسان وطابع البريد »	٣٫٧		١٫٦	٣٫٨	٦	٥٫٨
– غير ذلك	١	١٫٦	٫٨	٫٩	١٫١	١٫٦
الجملة	٤٫٨	١٫٦	٢٫٣	٤٫٧	٧	٧٫٤
(د) أعمال غير معلنة للعدو						
– أسلحة سرية أو خطط	١٫٢	٫٨	٫٨	١٫٤	١٫٤	١٫٦
– خسائر السفن	١	٫٨	١٫٢	٢٫٨		١٫١
– نشاط غير معلن للعدو	٣٫٣	٥٫٦	٥٫٩	١٫٣	٫٤	٤٫٢
الجملة	٥٫٧	٧٫٢	٧٫٨	٦٫٦	١٫٨	٦٫٩
الإشاعات الحالمة (الجملة)	٢	٢٫٤	٣٫٧	١٫٤	٫٧	١٫٦
– إشاعات السلم	٫٦	٫٨	٢			
– « الجثة فى السيارة »	٫٤		٫٨		٫٧	
– غواصات العدو كسحناها أو دمرناها	٫٦	٫٨	٫٤	٫٩		١٫١
– إشاعات النصر	٫٥	٫٨	٫٨	٫٥		٫٥
إشاعات مختلفة (الجملة)	٦٫٧	٥٫٦	٧٫٨	٣٫٨	٦	١١٫٦

— البحرية (لأسباب غير واضحة) أغرقت ثلاث حمولات من البن فى ميناء نيويورك .

— الجيش يلقى الأطراف برمتها من لحم البقر .

— الروس يأخذون معظم زبدنا ولا يستخدمونه إلا فى تشحيم بنادقهم .

— الرئيس يهودى .

— الصليب الأحمر يثقل الأولاد فى أيسلندة بأسعار فاحشة فى مقابل « السترة الصوفية » المصنوعة فى بيوتنا .

— اليهود يهربون الأموال .

— الزنوج ينشئون « أندية إليانور » ويكدسون فيها الأسلحة ومعاول الثلج للهجوم على « الكابيتول » .

تلك قلة من البشائع التى سرت فى بداية الحرب . ولقد استمرت تتردد فى صور متباينة طوال الحرب كلها ، بل ما تزال أفراخها تتردد فى الأسماع حتى اليوم .

ولكن هل تستوعب حقاً أقاصيص الخوف والرغبة والحقد جعبة الإشاعة فى وقت الحرب على نحو ما يتبين من مناقشتنا ومن جدولنا رقم (١) ؟ ليس تماماً . فهنالك بالإضافة إلى ذلك فئة صغيرة من الإشاعات تستحيل على التصنيف . وهذه الإشاعات فى جملتها صور متباينة من الأخبار المنتحلة . ومن الممكن تسمية أكثرها « بإشاعات الفضول » . وهاك عينات منها :

— أبحرت « الكوين مارى » أمس تحمل ٧٠٠٠ من القوات .

— يقال إن المدارس قد تغلق أبوابها ليساعد الأطفال فى عملية الحصاد .

— سمعت أنهم ينتوون إقامة معسكر حربى كبير هنالك قرب مدلتون .

ومن المحتمل أن الإشاعات من هذا الصنف الأخير كانت أكثر شيوعاً مما يكشف عنه جدول (١) . ومن المحتمل أن مسجلى الإشاعات لم يروا فيها من « الحرارة » ما يستحق التسجيل . كما أنها لا تشتمل على دلالة خاصة بالنسبة إلى المعنوية اللهم — بالطبع — إلا حين تنطوى على انتهاك لسرية الأخبار (انظر الفقرة التالية) .

الدفاع ضد الإشاعة

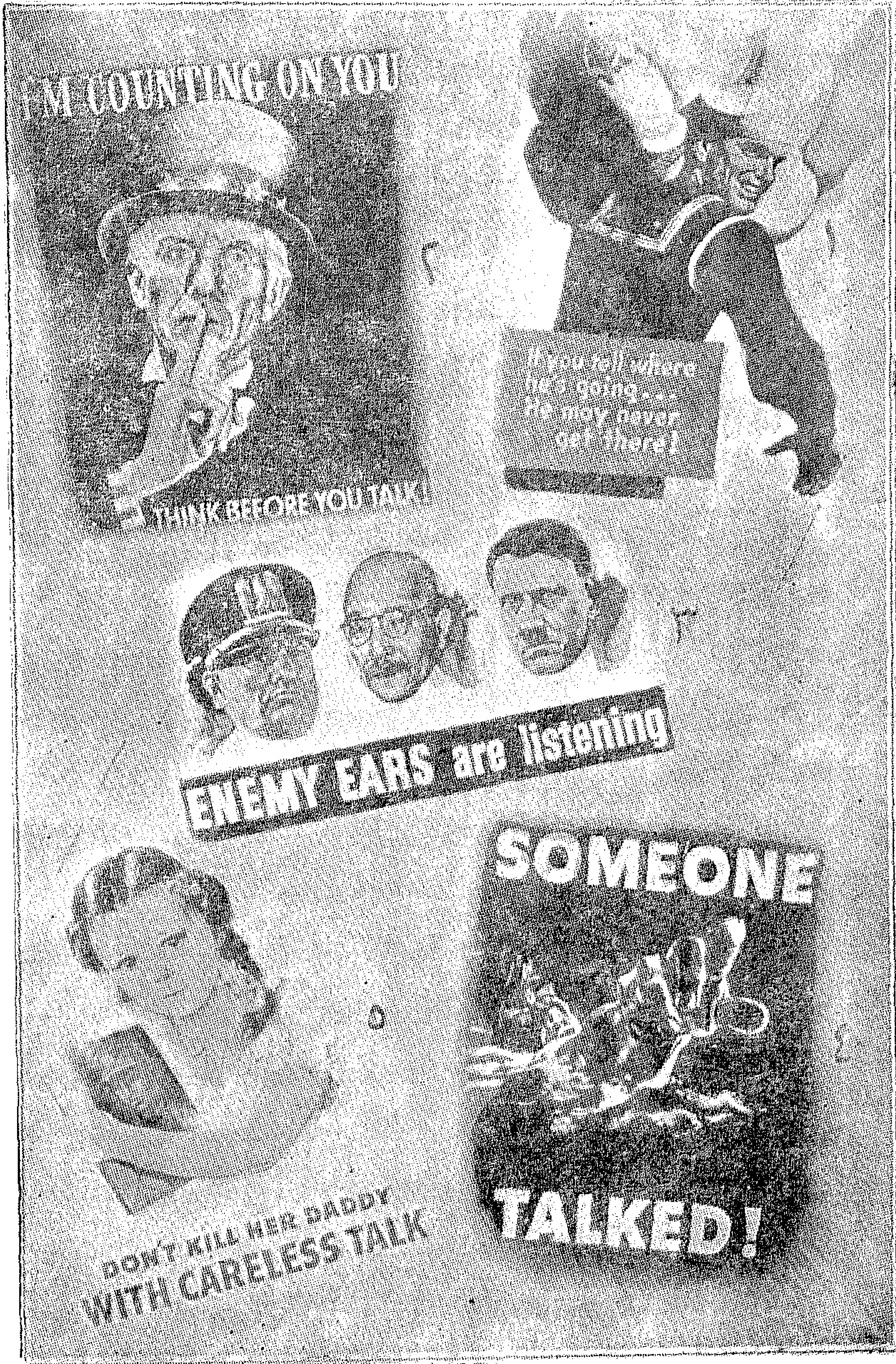
ليس مما يثير العجب أن الشخصيات الرسمية والمواطنين المخلصين قد راعهم ما تنطوى عليه الإشاعة من خطر جسيم على معنوية الجبهة الداخلية . وعلى الرغم من اعتقادهم بأن افتحاش الإشاعة أو تداولها المبتذل كان على نحو ما عرضاً طبيعياً ، لا يمكن تجنبه ، من بين أعراض العصبية المسرفة لوقت الحرب ، فإنهم لم يكونوا ليطمئنوا إلى المدى الذى يمكن أن توغل به فى توليد « الانهزامية » أو بلادة الإحساس أو التمزق الداخلى فى الأمة .

ومن بين الدراسات التى أجريت وقت الحرب عن انتشار وتقبل الإشاعة ، وهى التى اضطلع بها رتش Ruch وينج Young (١٩٤٢). أذيعت بعض عبارات إذاعات المحور من قبيل : « هرب حديثاً أكثر من ٣٠٠٠ من الجنود المكلفين وذلك من فورت دكس بنيوجرسى » . وقد أعد « جدول انتشار » إحصائى لكل إشاعة من إشاعات المحور . فى نيويورك يكشف الجدول عن أن النسبة المئوية للأشخاص الذين سمعوا الإشاعة من بين الذين أجريت معهم المقابلة كانت ٨٪ ، بينما كانت فى بوسطون ٥٠٪ وما يقرب من ٢٣٪ من جملة العينة قد سمعوا واحدة على الأقل من الإشاعات . ولكن هل صدقوها ؟ لقد أعد « جدول تقبل » إحصائى وذلك بسؤال الشخص عما إن كان قد اعتبر الإشاعة صحيحة (وعما إن كان قد سمعها ، من قبل أو لم يسمعها) . كان معدل « التقبل » فى مدينة نيويورك ٩,٤٪ ، وكان فى بوسطن ٣,٨٪ . ولقد تبين أن « انتشار الإشاعات » و « تقبلها » هما بين الفقراء أكثر منهما بين من هم فى بسطة من العيش ، وهما بين من تخطوا الخامسة والأربعين أكثر منهما بين من هم دون ذلك ، وهما بين اليهود أكثر منهما بين غير اليهود . وإقبال اليهود على الإشاعات فى هذا البحث يمكن تفسيره بهذه الحقيقة ، وهى أن الإشاعات كانت فى جملتها من نوع « الإشاعات » المروعة ، مما ينتمى فى يسر إلى مشاعر الخوف و انعدام الأمن التى هيمنت عند الكثيرين من اليهود فى الأيام الباكرة للحرب .

كانت الإدارات الحكومية ، بما لها من شبكة منافذ واسعة الانتشار تطل منها على الرأى العام فى مختلف أرجاء البلاد ، متنبهة إلى رواج الإشاعات الهدامة ؛

أما ما ينبغى فعله فتلك كانت مشكلة محيرة لهم . ولقد سبق فى إحدى الحالات أن رأينا كيف أن « الرئيس » نفسه قد عمد إلى الراديو ليدحض إشاعة معينة . ومرة أخرى ، بعدما تقدمت الحرب ، رأيناه يشير فى صراحة إلى الإشاعات المعبرة عن الأحقاد الأجناسية والدينية محاولا أن يحد من انتشارها . فسلسلة « فرق تسد » وغيرها من مطبوعات « مكتب الحقائق والأرقام » ، وهو مكتب لم يستمر طويلا ، كانت ترياقاً ضد الإشاعات . ولقد خصص « مكتب الإعلام الحربى » إحدى وحداته خلال فترة وجيزة لمكافحة الإشاعة تحت رئاسة ليو روستن L. Rosten .

ولقد كانت فلسفة هذه الإدارة تختلف بعض الشىء عن تلك الفلسفة التى تستند إليها « عيادات الإشاعة » ، التى كانت أهلية فى تنظيمها ، والتى سنعرض قصتها بعد قليل . فقد كانت تلك « العيادات » تحصر جهودها فى دحض الأقاصيص الزائفة . أما « مكتب الإعلام الحربى » فكان إيمانه يتلخص فى هذه الصيغة : « تسرى الإشاعة عند انعدام الأخبار » ، ومن ثم فقد حصر جهوده فى الارتفاع بطبيعة الأخبار التى يصرح بها ، وفى الزيادة من ثقة الجمهور بها . وعلى الرغم من أن « مكتب الإعلام الحربى » قد عبر عن تشككه فى حكمة تكرار الإشاعات بغية دحضها ، فإنه قد امتنع عن التدخل فى عمل « عيادات الإشاعة » فى الصحافة الشعبية . وتذهب فلسفة « مكتب الإعلام الحربى » إلى أن إخماد الإشاعة بالوقائع خير من « تمييزها » بتناولها على حدة للتدليل على خطئها ، وذلك خشية أن تتمخض العملية عن الزيادة من ترويجها . أما فلسفة « عيادة الإشاعة » فقد اتخذت وجهة مضادة . فالناس لا يتبينون الوقائع على صحتها ما لم نعنهم على ذلك .اذكر الإشاعة ، واضربها بغير هوادة ، تلك هى الخطة . ولعل الجهازين قد جانبا الصواب بإسرافهما فى الثقة بالوقائع والمنطق . إن الإعلام والحجج نادراً ما تكفى لدحض الإشاعات التى تغتذى على المخاوف والأحقاد . فعندما يدعى أحد المناهضين للسامية أن اليهود يتهربون من الخدمة العسكرية ثم نواجهه بعد ذلك بحقائق لا تقبل الشك تثبت أن عدد اليهود فى القوات المسلحة يتناسب بالدقة مع عددهم الكلى بالنسبة إلى مجموع السكان ، فماذا يفعل ؟ يحور إشاعته (لا عدائيته) ويقول : « نعم ، ولكنهم يستأثرون بجميع المناصب المريحة فى الجيش » . وحيث



شكل (١) ملصقات نمطية لحماية « سرية المعلومات » (إدارة الإعلام الحربى)
(١) لو بحت بالمكان الذى سيذهب إليه . . . فقد لا يصل إليه أبداً
(٢) إننى أثق فيك . . . فكر قبل أن تتكلم (٣) آذان العدو صاغية
(٤) لا بد أن أحداً . . . قد تكلم ! (٥) بابى ، لا تقتلها بعدم الحذر فى الحديث

إنه يستحيل تحديد الأشخاص الذين يتولون المناصب « المريحة » ، والأشخاص الذين يتولون المناصب « المجهدة » فى الجيش ، فإن عملية الدحض بالتفنيد تغدو عندئذ مستحيلة ، حتى لو كان من الممكن أن تكون مجدية . إن الأمر ليقتضى ما هو أكثر من الإعلام الصحيح ومن المنطق القويم لإخراس لسان ناشر إشاعة تحركه دوافع داخلية . ولكن الأجهزة جميعها ، حكومية كانت أم أهلية ، يتحتم عليها فى الدولة الديمقراطية (بخلاف ما عليه الحال فى الدول التسلطية) أن تتجه بأقصى ما تستطيع إلى القدرات العقلية لجميع المواطنين .

لقد استخدمت الإدارات الحكومية للإعلام ، بالفعل وعلى نطاق واسع ، المهاجمة غير المباشرة فيما يتصل بمشكلة الإشاعة . نشرت الوقائع الصحيحة ، ونافحت عن قضية الوحدة القومية فى الملصقات والنشرات . ولقد قامت « الأبحاث المستترة » ، التى باشرها « المكتب الفيدرالى للأبحاث » وإدارات المخابرات بالجيش والبحرية ، بتقفى أثر الإشاعات السامة بصفة خاصة .

وإن أكثر الجهود التى بذلها مكتب الإعلام الحربى فى مجال الإشاعة كانت منصبة على جانب جد خاص من المشكلة ألا وهو « سرية المعلومات » . وكثير من الملصقات المستلفتة ، من قبيل ما يظهر فى شكل (١) ، قد أعدت ووزعت . وتحقق التعاون ما بين الصحافة والراديو . وابتدعت الشعارات الفصيحة ، ولعل من أبرزها « الزم شفتيك السكينة تنقذ سفينة » . ولقد تضاءلت الأقوال الفالتة .

أبدى كثير من المراقبين دهشتهم من الطريقة التى تعلم بها شعب غير عسكرى النزعة فى صميمه كيف يصون أسراره الحربية . إن قدرتنا على أن نفعل ذلك قد غدت موضع فخار قومى ، كما تدل على ذلك هذه القصة الإنبائية فى البوسطن جلوب عدد ٩ أغسطس ١٩٤٥ :

كيف تحقق أحسن كتمان لسر حربى

يقول بايرون برايس B. Price مدير الرقابة إن العمل الطويل الأمد فى القنبلة الذرية كان السر الحربى الفريد الذى تحقق له أحسن كتمان . وفيما يتعلق بكتمان هذا السر فإنه يثنى ثناء خاصًّا على الصحف ومذيعى الراديو وعلى المجلات وناشرى الكتب . يقول برايس : « إن ثمرات السرية التى تحققت على يدى الصحف والمذيعين يمكن أن تكون إجابة مقنعة لمن يتوهم أن الرقابة التطوعية لا يمكن أن تكون ذات فعالية . »

فقد قبلت هذه الهيئات منذ بداية الحرب ، متطوعة ، عرفاً للرقابة . لقد وافقت على ألا تنشر أو تذيع أى شىء يمكن أن يضر بالمجهود الحربى . كانت كل رقابة أثناء الحرب ، وتحت إدارة برايس ، تقوم على هذا الأساس التطوعى . وما يزال الأمر يسير على هذا النحو :

إن نحو ٢٠,٠٠٠ منفذ للأخبار و ١١,٠٠٠ جريدة أسبوعية و ٢٠٠٠ جريدة يومية ، وآلاف من محطات الراديو ، والمجلات ، والهيئات الدينية ، والنشرات التجارية ، والصحف المدرسية ، وناشرى الكتب — قد طلب إليهم : ألا ينشروا أو يذيعوا أى شىء عن « التجارب .. الخاصة بالأسلحة الحربية ، جديدة أو سرية » .

ولقد تحقق هذا المطلب . وتمخض ذلك عن صمت مطلق فيما يتصل بعدد من التجارب من قبيل الرادار وخاصة فيما يتصل بالتجارب الذرية ، ولو أنه فى ذلك الوقت لم تكن كثرة من الناس قد عرفت شيئاً عن ذلك .

ثم كان أن تقرر بناء مصانع كبيرة — اثنان فى تنسى ، وواحد فى ولاية واشنطون — وذلك لتنفيذ الاختراعات التى يصممها العلماء . وكان معنى هذا تشغيل ١٥,٠٠٠ عامل مصنع ، ومقاولين ومساعدى مقاولين من أنحاء البلاد لا عدد لهم ، فضلا عن معاونة بعض الجامعات .

ومن ثم فقد بعث مكتب برايس فى يونية ١٩٤٣ بمذكرة سرية إلى جميع

عناصر القائمة التى لديه ، قائمة العشرين ألف منفذ للأخبار ، كانت المذكرة تقول :

« عليك ألا تنشر أو تذيع أية بيانات كائنة ما كانت تتعلق بتجارب الأسلحة الحربية بما فى ذلك :

« إنتاج أو استخدام التحطيم الذرى ، أو الطاقة الذرية ، أو الانقسام الذرى ، أو الانفلاق الذرى ، أو أى شىء من هذا القبيل .

« كذلك استخدام الراديوم ، أو المواد المشعة أو الماء الثقيل ، أو إطلاق الشحنات الكهربية العالية الجهد ، أو المعدات ، أو السيكلوترونات فى أغراض حربية .

« وكذلك العناصر التالية ومركباتها : البولونيوم ، واليورانيوم ، والايتاريوم ، والهافينوم ، والبرتاكتنيوم ، والراديوم ، والرينيوم ، والثوريوم ، والديوتريوم » .

وبإحاطة اليورانيوم — وهو لب التجارب الذرية — بهذه العناصر الأخرى ، تلك العناصر الحقيقية على الرغم من غرابة جرسها ، فقد أمكن تجنب الاهتمام المباشر باليورانيوم .

وتلقت ما يقرب من ٢٥٠ صحيفة ومحطة إذاعة — فى المنطقة المحيطة بالمؤسسات التجريبية فى تنسى وواشنطون والمحيطة بأرض التجارب فى نيومكسيكو — تعليمات خاصة من مكتب برايس بتجنب أية إشارة إلى الأعمال التى تجرى هناك .

وهكذا فى أنحاء البلاد كلها — على الرغم من أن آلافاً من الناس تساءلت عما يجرى ، وعلى الرغم من أن البعض الآخر من الممكن أن يكون قد بلغ إلى حدسه — قد تم كتمان السر .

وعلى الرغم من أن الحملة الخاصة بسرية الأخبار كانت موفقة بلاشك ، فقد تبين أنه ليس من السهل تصميم الوسائل لمحاربة هذه الأنماط من الإشاعات الأقل تحدداً والأقصى تسللا ، والتى هى « ناعمة » فى إثارتها للفرقة ، ومثيرة للأعصاب فى طابعها .

وخير محاولة فى هذا السبيل إنما كانت « عيادة الإشاعة » . ويرجع فضل المبادأة بهذا السلاح الصحفى من أسلحة الدفاع إلى جافين W.G. Gavin المحرر فى الهيرالد ترافلر ، ببوسطون Boston Herald Traveller ، والذى قام فيما بين مارس وديسمبر ١٩٤٣ بتحرير ركن أسبوعى مستعيناً بأخصائيين نفسيين فى المنطقة وببعض المواطنين من المتشبعين بمشاعر الجماهير . ونجحت الفكرة فاقتبستها أكثر من أربعين صحيفة فضلا عن عدد من المجلات ، وذلك فى الولايات المتحدة وكندا . وكانت الإشاعات المدروسة فى جملتها بسيطة فى نمطها ، موجزة فى تفصيلاتها . ومن حين إلى حين كان الأخصائى النفسى ، كما يتضح من العينات التالية ، يحرر الركن ، محاولاً تبسيط بعض عناصر معارفه المهنية الضرورية لفهم الإشاعات الأكثر تعقداً والتفافاً . والمثل الأول نورده فى شىء من الإيجاز نقلا عن سيراكيوز بوستستاندارد Syracuse Post-Standard .

عيادة الإشاعة

شهامة تجاه فتيات الأسطول !

(عيادة اليوم تحت إشراف أستاذ علم النفس السياسى بجامعة سيراكيوز)

قل من التقولات الهدامة ما أفزع « عيادتكم للإشاعة » بأكثر مما فعلته هذه الإشاعة الكاذبة السارية الآن حول فتيات الأسطول . وإليك أمثلة منها :

الإشاعة : « إن ما يزيد على ٥٠٠ من فتيات الأسطول قد طردن من الخدمة بسبب حملهن سفاحاً . »

الإشاعة : « إن ٥٠٠ من فتيات الأسطول قد أعدن حبليات من شمال إفريقية » .

الإشاعة : « إن الجنرال أيزنهاور يقول إن فتيات الأسطول هن مصدر إزعاجه الأكبر وأنهن عديمات النفع فى نظره . » وليس هنالك بالطبع — ولو أوهى « نسالة » من دليل تسند مثل هذه الأقاصيص .

فالإشاعة المتعلقة بفتيات الأسطول فى شمال إفريقية كاذبة لسبب واحد ،

هو أنها مستحيلة حسابياً . فالتعداد الكلى لفتيات الأسطول المعينات فى هذا المسرح الحربى هو أقل بكثير من ٥٠٠ (وعددهن الصحيح سر حربى) . أما عما قاله الجنرال أيزنهاور بالفعل ، فلدينا تسجيله بأنه يعتبر فتيات الأسطول منظمة جد رفيعة المستوى ، وبوده لو كان لديه منهن عدد أكبر فى شمال إفريقية .

فإذا سمعت مرة أخرى مثل هذه الإشاعات ، فلتسأل الشخص الذى يخبرك بها كم حالة من انحراف فتيات الأسطول يعرفها معرفة مباشرة أكيدة . ثم سله بعد ذلك كم من فتيات الأسطول يعرف بالفعل . وستقتنع بفضل هذه التحريات بأن هذه الإشاعات ، التى تشين منظمة بأكملها من منظمات الخدمة العسكرية ، إنما هى مجرد وهم جديد من أوهام الخيال ، أو من القيل والقال ، أو من التسرع فى الحكم .

إن الإشاعات المنصبة على سوء خلق فتيات الأسطول بالجملة لهى بادية السخف من الوهلة الأولى ، تدحضها الوقائع كما يدحضها خلوها من المنطق . ومع ذلك فمن الغريب حقاً أنها واسعة الانتشار ومتزايدة الإصرار . فلابد وأن يكون هنالك — ما أغفلنا الحديث عن الذكاء — خلل عميق فى معاييرنا الأمريكية للشهامة .

لم تجد معها الوقائع

وإشاعة فتيات الأسطول هذه ، بخلاف كثير من الإشاعات الأخرى ، لا تتوقف بالعرض المنطقى للوقائع ، فالمشكلة أعمق من ذلك . إنها ترجع إلى انفعالاتنا الداخلية العميقة ، وتستند إلى أمور تثقل الغالبية منا فى روحاته وغدواته دون أن يتنبه إليها . والدليل الموضوعى ليس بشاف . فلابد لنا من « الاستبصار » بدخائل أنفسنا .

إننا نحن معشر الكائنات البشرية مخلوقات معقدة . وما أكثر الوقت الذى نقضيه مضطربين ، ولكننا لا نعرف على وجه الدقة ما يبعث فينا الاضطراب .

ونحن وإن أمعنا فى الرشد فما نزال من بعض الأوجه أشبه ما نكون بصغار الأطفال ، الذين يهلعون ، ويتضايقون ، ويتألمون ، ويقلقون ، ولكنهم لا يدرون عن سر ذلك شيئاً .

وعلى أية حال فهنالك سبب خاص يفسر العلة فى أننا نحن الراشدين لا نستطيع دائماً أن نتبين فى وضوح أمر مشاعرنا الدفينة . « فالمجتمع » يفرض مطالبه علينا . ونحن نريد لأنفسنا مكانة عالية فى تقدير الآخرين ، وفى نظر أنفسنا . وكثير من المشاعر التى نعيشها ، والتى هى طبيعية تماماً نخجل من التعرف عليها أو حتى من مصارحة أنفسنا بها .

وهذا الاتجاه (الذى يعرف « بالكبت ») يجعلنا نميل إلى أن نتوهم وجود ، أو نبالغ فى وجود نفس هذه المشاعر عند الآخرين . فنحن نعتقد أن الاضطراب يكمن فى الآخرين — لا فينا . فإننا لا نحب مثلا أن نصارح أنفسنا بأننا خائفون ، بل إننا أحياناً ما نأتى بتصرفات عنيفة ونطلق الاتهامات الجارفة لتغطية مخاوفنا . تشهد بذلك الفظائع التى يرتكبها الطغاة من القادة ، والتى « يبررونها » حين يقفون موقف الدفاع .

ونحن لا نحب أن نسلم بأننا نتسم بضيق الأفق أو التعصب أو الأنانية . وعليه فإننا حين نستطيع أن نلقى باللوم إلى الخارج على جماعة من الجماعات التى نستشعر العدائية تجاهها ، فيما يتصل بالتصرفات الأنانية المزعومة ، فإننا نستطيع بذلك أن نحول الانتباه بعيداً عن تعصبنا الدفين ضد هذه الجماعة ، ونستطيع فى نفس الوقت أن نتعامى عن الأنانية التى تستقر فى أعماقنا . إننا لا نحب أن نعترف بما فينا من نقائص ودونية . وهكذا فإننا حين نستطيع أن نبرز معايب الآخرين ، فإن ذلك يسند تقديرنا لذواتنا . وكثيرون منا هم من يخجلون أو يخافون من دوافعهم الخاصة ، ومن المحتمل أن يتمخض ذلك عن اتهامات للآخرين بالاعوجاج .

اكتشاف السبب الحقيقى

وبدلا من التسليم بوجود هذه الخصال البشرية الطبيعية فينا ، يميل الكثيرون منا إلى حبسها فى أغوار العقل البعيدة المنال . ومن ثم فإننا ندعى — مجرد ادعاء — بأن لا وجود لهذه الخصال فينا . إننا نحتفظ « بالردهة الأمامية » من العقل مفتوحة لاستخدامنا « الشعورى » . ولكن لنا « مخدع الردهة الخلفية » السرى الذى لا نحب أن ندخل إليه . إننا نستقبل زوارنا المبجلين عند الدرج الأمامى . أما السلالم الخلفية فمحتجزة تؤدى إلى المخدع المحرم .

فهاهنا بالذات نجد التفسير الحقيقى للكثير من إشاعات الحقد والتعصب الكاذبة ، وللكثير من الإشاعات المناهضة التى تدق الأسافين بيننا وبين إخواننا المواطنين . إنها ليست الوقائع الحقيقية الخارجية هى التى تدفعنا إلى أن نتهم ونلوث بعض الجماعات من إخواننا المواطنين ، ولكنها تلك المشاعر التى حبسناها فى مخادع الردهة الخلفية من عقولنا . فمن السلالم الخلفية تنطلق إشاعات نقائص الآخرين ورذائلهم . فهذه الإشاعات « تلعب » على مخاوفنا وعلى ما نستشعره من انعدام الأمن . ولكنا نحتجز المشهد كله خارج الردهة الأمامية .

ودون أن نتنبه إلى الأمر ، فنحن نأبى أن نصدق بأن لدينا شيئاً من هذا النقص . ونحن نصدق بدلا من ذلك ما يدعيه ناقل الإشاعة عن الآخرين . إننا « نسقط » على ضحية بريئة نسبياً الخصال التى نكرهها من أنفسنا . وحتى نحقق لأنفسنا المزيد من مشاعر الأمن ، فإننا نصرخ مع الصارخين فى وجه الضحية . ومن ثم ننقل الإشاعة ، بل وأحياناً ما ندخل عليها التجميل .

بل وثمة شىء هنا يبدو أكثر غرابة ، ولكنه لا يقل صدقاً . فلو كان لدينا من الرغبات ما نعتقد أنه سيئ أو خطر ، ومن ثم نحتبسها فى مخدعنا الخلفى ، فإننا لا نقضى بذلك على الرغبة . لقد أغلقنا فى وجهها الردهة الأمامية . ولكن هذا لا يعنى أن الرغبة لن تلقى التسامح أو الإشباع . بل على العكس فإن كل فتيتة « غضة » من الأقاويل نسمعها تعمل على « تغذيتها » .

دوافعنا هى المسئولة

وباختصار فإننا نستطيع أن ننعم بهذه اللذات المحرمة ، على الأقل فى الخيال ، وذلك طالما نحتبسها خارج الردهة الأمامية . والحق هو أن إغلاق باب المخدع يتيح لنا فرصة أفضل للتنعم بها . ويصدق هذا ما بقينا غير متنبهين تمام التنبه للدافع الذى نتسامح بإزائه على هذا النحو . ولو تحتّم علينا أن ننتبه إليه فجأة ، فأغلب الظن أننا سنرتاع . ومن هنا فالمحتمل هو أن نعثر على « كبش فداء » « نسقط» عليه هذا الدافع ، فنصبح بذلك « محقين » فى سخطنا على هذا الآخر .

هكذا نستطيع نحن القول إن البريطانيين أو الروس أو اليهود أو جماعات أخرى إنما يحصلون سرًّا على ما يبتغونه من الحرب — أما نحن فليس لنا من مشاعر تجاهها غير أنبل صور الوطنية . ونستطيع أن نقول : « يالفتيات الأسطول من فظيعات مرذولات ! ما أبعدهن عن وقار واتزان الناس من أمثالنا ممن لا يهيمن الجنس على فكرهم ! » . ولكننا إذا كنا قد احتبسنا حياتنا الجنسية فى مخدع الردهة الخلفية ، فالاحتمال هو ١٠ : ١ أن نستشعر لذة دفينة فى تأملنا لهذه « الممارسات الفظيعة » من جانب فتيات الأسطول — وفى تصديقنا لها ، وفى تحدثنا عنها .

الحاجة إلى الفهم

إن الإشاعات « الافترائية » التى تعمل على تفرقة صفوف الأمريكيين ، هذه الإشاعات ليست نتاجاً للأحداث العارضة وحدها ، ولا للأقوال الزائفة أو « السائبة » ، لا ولا هى من فعل عملاء « المحور » . فهذه الإشاعات هى جزء من النسيج الداخلى عند أولئك الذين ينصتون لها . فإذا ما بلغنا إلى « معرفة أنفسنا » فلن نتذوق بعد ذلك مثل هذه التقولات ، تقولات « السلالم الخلفية » ، ولن نرتاع منها ، ولن ننقلها إلى الآخرين بحسبانها شيئاً « متبلا » أو « دراميًّا » . فما دمنا قد تعرفنا على مصدرها داخل نفوس الذين يرددونها ، فإننا لن نصدقها .

وفى وسع كل أمريكى ، عن طريق « معرفته لنفسه » ، أن يضطلع بهذا

الدور فيوقف هذه الإشاعات الخطرة ، « داقة الأسافين » ، ويستطيع كل واحد منا أن يسهم فى الذود عن شرف وكرامة فتيات أسطولنا (الفيلق النسائى) ، فى الذود عن هؤلاء الوفيات من الفتيات الأمريكيات ، ضد « شهوات الردهة الخلفية » من العقل البشرى . فهل ستضطلع بدورك هذا ؟

والمثل الثانى نورده نقــلا عن « الصنداى هيرالد » ببوسطن الصادرة فى ١٨ يولية ١٩٤٣ .

عيادة الإشاعة

سنتناول اليوم إشاعة أمريكية . لاشك فى أنك قد سمعت جانباً منها .

الإشاعة : إن بعض جماعات الأقلية (الزنوج أو اليهود أو الكاثوليك أو غيرهم) ليست مخلصة لأمريكا ، فهى تدبر حركة ، وتتآمر للاستيلاء على الحكم ، وتهرب من الخدمة العسكرية .

الوقائع : ليست هنالك أية نسالة من دليل قد ظهرت يمكن أن تسند أى واحد من هذه الافتراءات ضد الجماعات الخاصة من إخواننا المواطنين . فمثل هذه الإشاعات إنما هى أكاذيب تعصب وخيانة .

التحليل : على الرغم من أن هذه الأقاصيص الهدامة للمعنوية هى مجردة تماماً من أى دليل يسندها ، فإنها من الشيوع بحيث يتحتم أن يكون هنالك ميكانيزمات عقلية تفسر انتشارها . ولقد طلبنا إلى أخصائى نفسانى أن يفسر لنا العلة فى أننا نجد اليوم ، وفى الوقت الذى يحتاج فيه الأمريكيون بالذات أعظم قدر من التكاتف ، أن الكثيرين منهم ينهمكون على الضد فى نشر إشاعات الكراهية ضد إخوانهم من المواطنين . ولقد أجاب أستاذ قسم علم النفس بجامعة هارفارد على بعض أسئلة هامة . وتكشف إجاباته عن طبيعة الموقف الكريه الذى يجعلنا فريسة للافتراءات الأجناسية والدينية .

س : هل الإشاعات الأجناسية خطرة حقـًّا ؟

ج : من بين جميع الإشاعات السارية الآن فى أمريكا ، فإن الإشاعات الأجناسية أعظمها خطراً . فالشخص الذى ينشر إشاعة أجناسية يمكن أن يحدث

من الأضرار أكثر مما يحدثه مخرب ينسف مصنعاً . فناشرو الافتراءات فى دترويت مثلا ، لم يقتصروا فحسب على إضاعة ساعات من العمل لا حصر لها على الصناعات الحربية ، وإنما أثاروا الجماهير التى تصرفت بأشد ما تكون عليه حيوانية النازيين . وأفظع من هذا كله أنهم أغرقوا بالمرارة حياة العشر من السكان عندنا ، مزعزعين من إيمانهم بالديمقراطية الأمريكية ، والعدالة الأمريكية . ولو تكررت وتعددت مثل هذه الأحداث فمن المحتمل أن نخسر الحرب (وعندها نكون أيضاً جديرين بالهزيمة) . وأمل هتلر الوحيد الآن هو تفكيك الوحدة الوطنية فى الولايات المتحدة .

س : لماذا نجد عند بعض الناس كراهيات أجناسية وانغماساً فى الافتراءات الأجناسية ؟

ج : ليست الإجابة بالبسيطة . ومن المحتمل أن يكون السبب الأساسى هو أن الشخص الذى يمارس التقولات الأجناسية إنما يشعر بانعدام الأمن فى عمله ، أو يشعر بالحرمان من مباهج الحياة . ومن ثم يستشعر غضباً عميق الجذور . ومن الغريب حقاً أنه لا يستطيع أن يحدد على وجه الدقة علة غضبه ، ولا المسئول الذى يستحق اللوم . ومن هنا فإنه يلتقط من بين النظارة شخصاً بريئاً بدرجة أو أخرى فيفرغ فيه مشاعره . من الممكن أن يلتقط زوجته أو أولاده ، أو حتى قطة الأسرة . وحقاد الأجناس هم أولئك الناس الذين تنعدم عندهم مشاعر الأمن ، فيلتقطون جماعة من الجماعات التى تبدو غريبة المظهر ، والتى تبرز واضحة متميزة بالدين أو اللون .

إنهم يفرغون عدائيتهم فى وجه هذه الضحايا البريئة التى شاء لها الحظ العاثر أن تكون جد متميزة للرؤيا . وعلى سبيل المثال يمكن أن نقول فى ثقة ان الزنوج نادراً ما يكونون — إن كانوا على الإطلاق — سبباً « لكراهية الزنوج » . فإن السبب يكمن فى مشكلات الحاقد نفسه ، مشكلاته الاقتصادية والعائلية والشخصية .

س : لماذا تزدهر الإشاعات الأجناسية فى وقت الحرب ؟

ج : السبب الرئيسى فى ذلك هو أننا فى وقت الحرب نعانى قدراً أعظم من الإثارة والاضطراب . وبدلا من أن نلقى بمسئولية اضطراب أعصابنا على مصدرها

الحقيقى – وهو العدو – فإننا نلتقط ضحية قريبة فى متناول أيدينا . تبدو الأشياء لنا غريبة ومحيرة ، ومن هنا فإن عقليتنا المنمطة تصور لنا الجماعة « الغريبة الضعيفة » والتى « تعيش على الجانب الآخر من الطريق » على أنها هى الجديرة باللوم .

س : هل جميع من ينشرون الإشاعات الأجناسية يعانون شعورياً أو لاشعورياً انعدام الأمن أو مشاعر الإثم ؟

ج : ليس الجميع . فزعماء الحلبة يعانونها ولا شك ، وشخصيات بعضهم تتسم ، فى المحل الأول ، بالبارانويا . ولكن الأناس الآخرين يكونون بمثابة القطيع الذى يتبع . إنهم يميلون إلى المجاراة ، ويحصلون على شعور زائف بالأمن بمسايرتهم للقائمين بالاضطهاد . إن ذواتهم لتنتفخ عندما يربطونها بالجماعة الأكثر « بياضاً » فى بشرتها ، والأكثر « اتباعاً » فى عقيدتها ، والأعلى فى « مكانتها » ، وهم بذلك يتصلفون إذ ينظرون إلى أنفسهم على أنهم أفضل من إخوانهم الآخرين ، وجبناء إذ يهاجمون جماعة أصغر وأقل حولا .

س : كيف تكون فى رأيك إمكانية الهيمنة على ظاهرة « كبش الفداء » هذه فى بلادنا ؟

ج : هنالك وسائل متعددة . وأولها أن يتعلم الأطفال والراشدون جميعاً الحقائق المتصلة بالاختلافات بين الأجناس (وهى اختلافات قليلة ويمكن إهمالها) ، كما ينبغى أن يتعلموا السيكولوجية المبسطة لظاهرة « كبش الفداء » ، هذه الذى حاولت إبرازها . ثم يتحتم علينا بعد ذلك أن نتعرف على الخلال الحميدة لجيراننا « على الجانب الآخر من الطريق » . إن « قائمة الخسائر » تعد رداً كافياً على السؤال القائل : من هو الأمريكى المخلص ؟ وعلى أية حال فإن العلاج الحاسم إنما يتطلب إتاحة وفرة من الفرص الاقتصادية والتربوية لجميع الأمريكيين ، حتى لا تشعر جماعة من الجماعات بالرغبة فى أن تلقى بلوم إحباطاتها أو متاعبها على جماعة أخرى . وأخيراً يتحتم علينا أن نطالب بتشريعات تحمى حقوق الأقليات ، وبتشريعات تعاقب الافتراءات الأجناسية ، وبيقظة بوليسية فى فرض هذه القوانين . فى هذه

الأيام العصيبة بالذات يتحتم على رجال البوليس أن يلزموا اليقظة والبعد عن التمييز وإقرار الطمأنينة فى تعاملهم مع هذا الخليط المتباين من سكاننا .

لقد اضطلعت المجلات الواسعة الانتشار بالزيادة من الإعلان عن أهداف عيادات الإشاعة ، وساعدت خلال القصص المجسمة على أن تجعل الجمهور بصورة مؤقتة « متنبهاً للإشاعات » من حيث هى إشاعات . وعيادات الإشاعة تتطلب مصادر للتغذية المتصلة . فمعظم العيادات كانت تهيب بقرائها أن يكونوا « مراسلى إشاعات » . ولقد أصبح المهتمون من القراء المصدر الرئيسى لتغذية هذه العيادات . وفى بعض المناطق أنشئ « قسم تحليل الدعاية » ، أو مكتب مماثل ليعمل تحت إشراف « لجنة الأمن العام » فى المنطقة أو الولاية . وفى بعض المناطق كان ضباط الوقاية من الغارات الجوية أو غيرهم يعينون « حراس إشاعات » وكان عليهم مرة فى كل شهر أن يقوموا بالتبليغ عن محصول الأقاصيص التى سمعوها تتردد فى المناطق المجاورة لهم . ولقد تبين أن خدم البارات وسائقى التاكسى والحلاقين هم من خيرة المبلغين عن الإشاعات .

لقد اتضحت مع ذلك معايب خطيرة فى استخدام مواطنين غير مدربين كحراس للإشاعات أو كمبلغين عنها . فمن بين الأسباب ، نفور الكثيرين من الناس من « التلصص » فى أية صورة من صوره . وعلى الرغم من أن هذا النفور — الذى هو حميد — لا ينطبق إلا بالكاد فى حالة التبليغ التى لا يطلب فيها اسم ناشر الإشاعة ، فإن التوجس من « حمل الإشاعة » يظل مع ذلك قائماً بصورة ما ، ومن هنا يجد الكثيرون فى تكليفهم بالتبليغ ما لا يبعث على الارتياح . وأخطر من هذا ما تبين من أن قلة قليلة من غير المدربين هى التى تقتدر على « التعرف على » الإشاعة و « تدوينها » و « نقلها » عندما يسمعونها . وبصفة خاصة — عندما يعتقد الناس فى « صحة » ما يسمعونه فإنهم لا يميلون إلى اعتباره إشاعة . وعلى الضد من ذلك ، فإن بعض الحقائق المدعمة بالأسانيد ، قد توصم — بغير ما تدبر — على أنها إشاعة أو دعاية ، وذلك حين تكون تلك الحقائق من النوع الذى لا يستسيغه المستمع . وأخيراً ، فإن الشخص يحتاج إلى الكثير من المبادأة والسيطرة على الذات حتى يستطيع أن يسهم بصورة مستمرة فى مكافحة الإشاعات

بعد أن تكون ومضة الجدة قد انطفأت . ولكن على الرغم من هذه الصعاب ، فإن الكثيرين ممن أسهموا فى عملية مكافحة الإشاعات ، لم يقتصر الأمر على استشعارهم الرضا بإسهامهم فى تدعيم الروح المعنوية ، وإنما تعلموا هم أنفسهم تجنب التقولات الجزافية .

ولقد تعلم السيكولوجيون من خلال تجربتهم فى عيادات الإشاعة كيف يتعرفون على المزالق . «فالركن» حين يكون سيئ الصياغة يمكن أن يتسبب فى الضرر أكثر من النفع . ومن ثم أصبح من الضرورى ابتداع معايير لإقامة مثل هذه العيادات والسير بها . وفى ملحق هذا الكتاب صورة للمعايير التى اتبعت والتى نشرتها على نطاق واسع عيادة الإشاعة لصحيفة الهرالد ترافلر ببوسطون وهيئتها المعاونة « لجنة تحليل الدعاية التابعة للجنة ماسا شوستس للأمن العام » . وهذه المعايير ، هى بصورة أساسية من عمل ر. هـ. ناب R.H. Knapp الذى كان فى ذلك الوقت رئيساً « للجنة تحليل الدعاية » .

وثمة أسئلة أربعة تبرز فى العادة فيما يتصل بعمل هذه العيادات :

١ — أفليس من المحتمل أن تتعرض هذه العيادات لخطر إذاعة الأقاصيص الكاذبة؟

٢ — هل منعت هذه العيادات بالفعل انتشار الإشاعات ؟

٣ — لماذا تضاءل عددها بسرعة بعد عام ١٩٤٣ ؟

٤ — هل أمكن إرجاع الإشاعات التى تم التبليغ عنها إلى مصدر ينتسب إلى عملاء المحور ؟

١ — هل نشرت هذه العيادات — عن غير وعى منها — الإشاعات وهى تضطلع بفضحها ؟

فيما يتصل بالأعمدة المطبوعة ، فإنه يبدو من غير المحتمل أن يكون القارئ قد اقتدر على الإفلات من تأثير الإطار الساخن المفعم بالإنكار والسخف والعار الذى كانت توضع ضمنه كل إشاعة . كانت هذه الأعمدة تقرؤها الشريحة الأعلى ثقافة فى الأمة ، وكانت — فى الصميم — تقرؤها بدافع من الوطنية ؛ كانت تقرؤها بعقلية نقادة للدعاية متنبهة ، شريطة أن تقدم إليهم ما يعينهم على ذلك . كانت الأعمدة تربوية فى قصدها وصياغتها . لم تكن تعرض أى إشاعة إلا ضمن

سياق من الاستنكار ودفع التهمة . كانت كل إشاعة تعنون بوضوح : « فرية » ، « شرك » ، « مضغة للمفترين » .

وكان هنالك دائماً أبداً تحليل موضوعى للإشاعة ، أو دحض لها بالوقائع يستلفت النظر . وباختصار فى حالة ما تتبع المعايير اللازمة فى تناول الإشاعة ، يمكن أن نقول فى اطمئنان إنه قلما ينتج ما نخشاه من سهولة فى التصديق . والاحتياطات المطلوبة ، كما هو موضح فى الملحق ، تتضمن ليس فحسب سياقاً ساخناً من الإنكار والتكذيب الحازم ، وإنما أيضاً الاهتمام بالأسلوب وبنط الحروف . فمن المستحسن ، مثلا ، ألا تطبع الإشاعة بصورة ملفتة ، بل وأهم من هذا أن نحطم النظم الإيقاعى ، و « طابع الشعارات » فى بعض النكات والقفشات المسرفة البذاءة .

أما فيما يتصل بعيادة الإشاعة فى برامج الإذاعة ، فالموقف جد مختلف . فثمة مصدر للخطر يكمن فيما يتسم به الجمهور الأمريكى من ولع « بإدارة مفتاح الراديو » فى غير انقطاع . فمن المحتمل أن يبدأ المستمع الاستماع فى فقرة أخيرة من فقرات التقديم ثم لا يلبث حتى ينتقل إلى برنامج آخر قبل أن يستمع إلى التكذيب . وعلى الرغم من توفر الإمكانيات المادية لرعاية « عيادات الإشاعة » اللاسلكية ، فإن الجهات المسئولة ، والإخصائيين النفسانيين ، والمسئولين بمكتب الإعلام الحربى قد نصحوا جميعاً على السواء بالعدول عنها .

ولقد كشفت تجربة أجريت تحت إشراف مكتب الإعلام الحربى عن سلامة هذا الاتجاه المعارض . قدمت برامج الإشاعة التجريبية لعينة ممثلة من المستمعين من الجنسين . وكشف تحليل الاستجابات عن بعض الاتجاهات التى لا تبعث على الرضى . فمن ذلك أن المستمعين لم يكونوا موفقين تماماً فى تذكر ماهية التكذيبات التى سمعوها من الراديو . وحتى بالنسبة إلى الإشاعات التى لم يصدقوها منذ البداية ، فإنهم لم يتذكروا غير حجة من بين كل ثلاث حجج للتكذيب . ومن بين الإشاعات المذاعة فى هذه التجربة ، لم يسمع الأفراد الذين أجريت عليهم التجربة عن ٧٠٪ منها من قبل ، أو أنهم سمعوا بها ورفضوها بوصفها زائفة . أما عن الـ ٣٠ ٪ الأخرى (التى سمعت من قبل ولقيت التصديق) فإن ١٤٪

ظلت محل تصديق أو محتملة الصدق حتى بعد نقدها عن طريق الراديو . (وجدير بالملاحظة مع ذلك أن نصف الإشاعات التى سبق تصديقها قد أمكن النيل منها بنجاح) .

وبصورة إجمالية فقد انتهى القائمون بالتجربة إلى حكم غير موات « لعيادات الإشاعة » اللاسلكية . فقد انغرس من الإشاعات بواسطتها أكثر مما اقتلع بمعنى الكلمة . ولا يمكن — بغير ما مزيد من التجريب — أن نسحب هذه النتيجة لتصدق على الأعمدة « المطبوعة » للإشاعة . وذلك لأننا نعلم أن الموضوعات العسيرة والمختصم عليها إنما تفهم بطريقة أفضل حين تقدم لقارئ مما لو قدمت لسامع ، (كانتريل وأولبورت ١٩٣٤ فصل ٩) . ولكن بقدر ما يتعلق الأمر « بعيادات الإشاعة » اللاسلكية يبدو أن النتائج التى تمخضت عنها التجربة تعزز وجهة النظر القائمة على الإحساس العام من حيث إن هذه العيادات لا تتفق مع الحكمة .

وهذه النتيجة لا تعنى أن الراديو لا يستطيع أن يؤدى دوره فى محاربة الإشاعة . فما أبعد ذلك عن الحقيقة . فالبرامج العامة عن الإشاعة يمكن أن تكون فى نفس الوقت مصدر تسلية وتنوير . ومسرحية قصيرة من قبيل « كيف انتشرت الحكاية؟» قد تم إخراجها التمثيلى بنجاح فى الراديو ، كما استخدمت تمثيليات أخرى مختلفة حول نفس الموضوع للتأثير على المعنوية العامة لجمهور المستمعين للإذاعة . وما ينبغى استبعاده فحسب من الإذاعة إنما هو هذه الإشاعات النوعية السارية المدمرة .

٢ — هل نجحت أعمدة عيادة الإشاعة فى وقف سريان الإشاعات ؟ يميل القائمون عليها إلى الاعتقاد بذلك ؛ ولكن من العسير أن نحصل على أدلة قاطعة . فمشكلة تقييم أية حملة تربوية أو دعائية إنما هى مشكلة عويصة . هل دراسة اللغة اللاتينية مفيدة ؟ هل تتمخض الخدمة الاجتماعية عن أية فائدة ؟ هل أحدثت الدعاية النازية آثاراً عميقة فى هذه البلاد ؟ هل أعانت عيادات الإشاعة على تقليل الإشاعات ؟ مثل هذه الأسئلة تصعب الإجابة عليها بصورة قاطعة .

ثمة خطان من الأدلة لا غير فى متناولنا ، وبالقدر الذى يمضيان به يبدوان معززين لعيادات الإشاعة . ففى المدن التى ازدهرت فيها هذه « الأعمدة » كان

من الجلى أن الجمهور قد أصبح « واعياً » بإزاء الإشاعات . كانت أحاديث الناس غالباً ما تشتمل على إشارات مناصرة لهذه العملية . فلحظة سماع إشاعة ، قد يقول السامع : « إشاعة ممتازة ؛ ينبغى أن أبعث بها إلى عيادة الإشاعة » . وتدل أحداث لا حصر لها من هذا القبيل على أن نوعاً من المناعة العامة كان نتاجاً لجهود هذه العيادات .

وهنالك محاولة تجريبية واحدة أجريت لقياس مناعة قراء عيادة الإشاعات . (أولبورت ولبكن ١٩٤٥) . ففى مدينة سيراكيوز أجريت مقابلة شخصية مع عينة ممثلة للسكان ، وذلك فيما يتعلق بتصديق بعض الأقاصيص الشائعة حول التبذير والامتيازات الخاصة مما ينسب إلى بعض الشخصيات الرسمية المحلية فى مكتب إدارة التسعيرة . ولقد تبين من خلال البحث أن تصديق القراء المنتظمين لعيادة « البوست ستاندارد » هو أقل من تصديق غير القراء ، بالنسبة لهذه الإشاعات ، بما يعدل ٦,٥ ٪ .

وتبين من الجمع بين القراء المنتظمين وغير المنتظمين ازدياد فى المناعة بمقدار ٤,٤٪ . وعلى الرغم من أن الاختلاف ليس كبيراً (ومن المحتمل أنه يخضع لتأثير المستوى التعليمى) ، فإن هذا الاختلاف تتبدى دلالته مع ذلك عندما نضع فى اعتبارنا أن ٢٧ ٪ من السكان ، ليس غير ، هم الذين تقبلوا الإشاعات للوهلة الأولى . وعليه فإن الاختلاف الفعلى فى « درجة التصديق » بين القراء المنتظمين هو ٢٥٪ بمقارنتهم مع غير القراء .

وعلى فرض أن العيادات قد ولدت قدراً ما من المناعة العامة ، فهل من المحتمل أن تكون قد أوغلت فى تأثيرها فولدت اتجاهاً من التشكك بإزاء « جميع » الأخبار ؟ ونحن نذكر أن شيئاً من هذا القبيل قد حدث فيما يبدو فى أعقاب الحرب العالمية الأولى . فقد غدت الجمهرة « واعية » للدعاية إلى حد أنها كانت تتوهم وجود « داعية » وراء كل شجيرة وتحت كل سرير . ولقد امتدت هذه المقاومة إلى الحرب العالمية الثانية ، وذلك إلى حد أن أعظم التقارير صدقاً عن « معسكرات الاعتقال » وغيرها من فظائع النازى قد رفضها الكثيرون على أنها من ابتكارات الدعاية . وليس هنالك من دليل على أن عيادات الإشاعة قد تمخضت عن مثل

هذا التأثير . فالتكتيك الأساسى لهذه العيادات كان ينحصر فى معارضة الإشاعة بالخبر ، وحك الأقاصيص الجزافية بالوقائع . لقد أعين الجمهور على أن يعى تماماً هذا التمييز . وحتى فى الحالات القليلة التى تضخم فيها بعض الشيء الوعى بالإشاعة ، فإن التشكك المتولد إنما كان أخف ضررين ، إذا ما قورن بالآثار الضارة للسهولة المسرفة للتصديق .

٣ — لماذا أخذت عيادات الإشاعة فى الأفول بعد عام ١٩٤٣ ؟ لم يكن هنالك تآزر بين مختلف « الأعمدة » . كان كل واحد منها قائماً برأسه يخدم الحاجات المحلية ويتبع الخط الخاص باتجاه الصحيفة . وفى بعض الحالات وجد المحررون أن هذا الركن ينطوى على التعقيد ويستلزم من الوقت ما يحتم الاستغناء عنه . وفى حالات أخرى فقد المحررون مع الوقت الاهتمام بالأمر ، أو وجدوا أن عدد المبلغين عن الإشاعات قد هوى . وتتفق الغالبية على أن محصول الإشاعات قد تناقص بعد عام ١٩٤٣ . وبالنظر لأن خطر الهزيمة أخذ يتوارى ، فقد أخذت مظاهر اضطراب الأعصاب تتلاشى . وبقدر ما انغمس الناس فى مهام الحرب ، ضعف استعدادهم للاهتمام بالإشاعات . فإنه فى أوقات الأزمات والبلبلة فحسب إنما ترتفع درجة « الأهمية » و « الغموض » . ومع تباشير نجاح الجهد الحربى ، ومع انمحاق البلبلة ، أخذت الإشاعة فى الانحسار .

٤ — هل كانت بعض الإشاعات البالغة التدمير من غرس عملاء المحور ؟ من العسير دائماً بل ومن المستحيل فى العادة الرجوع بالإشاعة إلى مصدرها . إن المخبرين المدنيين يغرقون فى المتاعب ؛ فهم إذ يحاولون تقفى حلقات الإشاعة يصطدمون فى كل خطوة بمقاومات صامدة من جانب الأشخاص . ولقد نجح « المكتب الفيدرالى للأبحاث » فى إرجاع بعض الأقاصيص الضارة العارضة إلى مصدرها ، ولكن غالباً ما تكشفت براءة المصدر بدرجة كافية ؛ ذلك أن الأقصوصة الأصلية كانت فى الغالب هادئة ، بل وأحياناً صادقة إذا قورنت بما انتابها من تشويهات وإضافات لاحقة .

وليس من المحتمل أنه كان هنالك للمحور « مصنع إشاعات » فى بلادنا . ومع ذلك فإن « نغمة » إذاعة الموجة القصيرة للمحور وطبيعية الإشاعات الرائجة

كانتا شديدتى التماثل . فالتلميحات القائمة عن سلامة عقل « الرئيس » قد ترددت أصداؤها عندنا (فى أمريكا) تقريباً فى نفس الوقت الذى كان فيه جوبلز يذيع نفس الوهم على موجات الأثير . وليس بواضح ما إن كانت مثل هذه الأقاصيص قد نبتت فى برلين ، فالتقطها ونشرها فى هذه البلاد بعض المتعاطفين مع المحور ، أو ما إن كانت برلين قد بلغت إلى علمها التذمرات والريب السائدة فى هذه البلاد ، فشرعت فى استغلال نفس الموضوعات . وتبقى مع ذلك هذه الحقيقة، ألا وهى أن الإشاعات الأمريكية فى وقت الحرب إنما كانت تبدو فى الغالب وكأنها مرآة للوجهة السائدة فى دعاية المحور .

المهاجمة بالإشاعة

فى الحروب المعاصرة تجد مكافحة الإشاعة فى الجبهة الداخلية جانبها المقابل فى مهاجمة العدو بالإشاعة . فالحرب النفسية التى شنتها النازية كانت تتسم على الأخص باستراتيجية « فرق تسد » ، وباستراتيجية « الرعب » . وكانت الإشاعة تكتيكاً بارزاً فى المجالين . وفى كتابه « استراتيجية الرعب » (١٩٤٠)، أوضح إدموند تيلور E. Taylor كيف أن الألمان فى تهيئتهم للحرب الخاطفة قد أغرقوا ضحاياهم بأقاصيص الرعب والانهزامية . وعن طريق الراديو تلاحقت الإشاعات واحدة بعد أخرى متجهة إلى بولندة وفرنسا والبلاد المنخفضة . كانت الأقاصيص تلوح فى نفس الوقت بالغزو المسلط ، وبمفاوضات السلم الوشيكة . كانت البلبلة هدفهم — البلبلة وتثبيط المعنوية . ألقوا الشك حول إخلاص حكومات الحلفاء ، وحول مقدرة هذه الحكومات على إسعاف البلاد فى المحنة . وفى نفس الوقت أذاعوا أخباراً زائفة تصور الانتصارات البولندية أو الفرنسية الهائلة ، مما تمخض عن رفع الآمال عند الحلفاء ، لتهوى بعد ذلك إلى اليأس والرعب . وفى أيام الثقة القاطعة للانتصارات الألمانية الباكرة كانت الدعاية الإذاعية النازية على درجة عالية من التنظيم . بمعنى أنها كانت تتباين صورها تبعاً للبلد الذى تتجه إليه ، بل وفى كل بلد تبعاً للجماعة التى تسعى إلى اجتذابها . (برونر ١٩٤١) . وعلى الرغم من أن هذه الدعاية لم تكن مصممة لغرس الإشاعات فحسب ، إلا أنها تمخضت فى

جانبها الأعظم عن هذه النتيجة ؛ ذلك أن الإشاعات فى وقت الحرب ليست فى الغالب غير قصص الدعاية وقد بلغت فى تنقلها إلى الفم الثانى أو الثالث أو الرابع. كانت الدعاوى فى العادة محكمة وموجزة، يسهل ترديدها، بحيث تنتقل سريعة فى جو العماء الذى ينشره الغزو المسلّط : الخوف، فالبلبلة، فتضارب الأهداف، ثم الانسحاب فى غير نظام.

واستراتيجية «فرق تسد»، بالقياس إلى «استراتيجية الرعب»، تحتاج إلى قدر أكبر من الاحتيال، ومن المحاصرة، ومن التكرار. والإشاعات إنما تثار هنا بحيث تلهب الأحقاد داخل الأمة حتى يكون من الممكن تحقيق انهيارها بصورة أيسر. ولقد تفاخر هتلر فى وقت ما بأن دمار أمريكا يمكن تحقيقه «من الداخل». ولكن عليه أن يتعلم أن الإشاعات «المفرّقة» لا تكفى.

أما الحرب النفسية التى اضطلعت بها أمريكا فكانت تعتمد بصورة أقل بكثير على إطلاق الإشاعات. فلقد جاء تطوير هذا التكتيك متأخراً ولم يضطلع إلا بدور ضئيل ضمن الاستراتيجية الإجمالية مما أصبح يعرف باسم «الدعاية السوداء». وقد كان استخدامنا لاستراتيجية «اللكم تحت الحزام» هذه جد ضئيل بالتالى، إذا ما قورن باعتمادنا على الوسائل المباشرة الصريحة، تلك الوسائل المدعمة قبل كل شىء بمنطق الواقع، والإنجازات التى لا يمكن أن تنكر[1].

الإشاعة فى القوات المسلحة

يذكر كل واحد من المحاربين القدماء هذه السيول الجارفة من الإشاعات منذ يوم التحاقه بالخدمة حتى يوم تسريحه. وبينما كان المدنيون تبللهم الإشاعات الحالمة، والمروعة، وداقة الأسافين، كان رجال القوات المسلحة غارقين فيها. والسبب فى ذلك بسيط. كان فيض الأحداث الذى يدفعهم عظيم الأهمية بالنسبة إليهم ؛ ولكن وجهة تيار الأحداث كانت خافية عليهم. كانت «أهمية» الأفكار وكان «غموض» الأحداث فى الذروة.

---

(١) للحصول على عرض شيق للفروق الأساسية ما بين دعاية الدول التسلطية ودعاية الدول الديمقراطية انظر بارتلت F.C. Bartlett (١٩٤٠).

وبصفة خاصة فى الأماكن النائية ، والمعزولة عن المصادر المألوفة للأخبار ، كانت الإشاعة هى المصدر الوحيد «للإعلام» . فالضباط على ظهر السفينة يمكن أن يكونوا على علم بمجريات الأمور ؛ أما البحار – مجرد بحار – فيعيش تحت رحمة أقاويل القاع . والقوات التى تنتظر إشارة الرحيل (إلى أين)؟ ، إنما يغذون مصائرهم من أخيلتهم المسرفة فى الحساسية . والطيارون القلقون فى انتظار التعليمات ، يطلقون العنان لمخاوفهم فى صورة أقاصيص عن الأهداف الخطرة التى تنتظرهم ، وفى صورة إشاعات حول عدم كفاية معداتهم ، أو حول تهديدات الوسائل الجديدة للعدو فى الدفاع ضد الغارات الجوية .

وكثير من القادة العسكريين أقلقهم ما يتهدد الروح المعنوية . ولقد حاول البعض فى حكمة عن طريق الأحاديث والبيانات ، وعن طريق اتباع سياسة من إباحة الأخبار الوفيرة ، أن يحققوا الوقاية ضد الإشاعات . وأنشئت «لجان الإشاعة» فى بعض المعسكرات ، وفى بعض السفن . كان يعلن محصول الصباح من الإشاعات. وفى ضوء النهار الأبلج كانت تتبدى سخافتها . وفى بعض الوحدات أنشئت عيادات الإشاعة . فعندما كانت تحسن إدارتها فإنها كانت تسبغ على رتابة الحياة اليومية ، غير قليل من الترويح والوعى .

وفى أحد معسكرات الاعتقال فى ألمانيا مثلا ، كانت عيادة الإشاعة جزءاً من برامج الترفيه المنتظمة ، فكانت معيناً للمعنوية يعلو على التقدير(١) . كان الأسرى فى هذا المعسكر على علم متصل بمجريات الأحداث ، ولم يفسح – قبل أوانه – المجال لآمال زائفة عن إفراج وشيك .

---

(١) كان ذلك فى ستالاج ٩ ب فى وجشيد ، قرب باداورب فى ألمانيا . كانت مهمة الترفيه فى المعسكر تحت إشراف برايان باترسون .

الفصل الثانى

لِمَ تسرى الإشاعات ؟

بيّنا فى الفصل السابق الشرطين الأساسيين للإشاعة : فالشرط الأول ينحصر فى أن موضوع الإشاعة ينبغى أن ينطوى على شىء من الأهمية بالنسبة للمتحدث وللمستمع ؛ أما الشرط الثانى فينحصر فى أن الوقائع الحقيقية ينبغى أن تتسم بشئ من الغموض . وهذا الغموض — كما سبق أن قلنا — يمكن أن ينشأ عن انعدام الأخبار أو اقتضابها ، أو عن تضارب الأخبار ، أو عدم الثقة بها ، أو عن بعض التوترات الانفعالية التى تجعل الفرد غير قادر أو غير متهيئ لتقبل الوقائع التى تقدمها الأخبار إليه .

والحق هو أن الإشاعة تشتمل دائماً على فتات متخلف من الأخبار ، تشتمل على « جانب من الحقيقة » ؛ ولكن هذا الفتات تطغى عليه ، فى مرحلة انتقالاته ، شطحات أخيولية ، بحيث يستحيل أن يعزل منها أو أن يستبين متميزاً عنها . ففى أقصوصة الإشاعة يكاد يكون من المستحيل دائماً أن نحدد على وجه الدقة ما هى الوقائع التى ترتكن إليها ، أو ما إن كانت حقّاً تشتمل على أية واقعة على الإطلاق .

القانون الأساسى للإشاعة

إن الشرطين الأساسيين للإشاعة ، ونعنى الأهمية والغموض ، يرتبطان ارتباطاً كميّاً — على وجه التقريب فيما يبدو — بسريان الإشاعة . والمعادلة الخاصة بشدة الإشاعة يمكن أن تصاغ على النحو التالى :

ش دالة ا ، غ

وهذه المعادلة تعنى ، بالكلمات ، أن قدر الإشاعة السارية يتغير تبعاً لمدى أهمية الموضوع عند الأشخاص المعنيين ، وتبعاً لمقدار الغموض المتعلق بالمسألة المعنية . والعلاقة ما بين الأهمية والغموض ليست علاقة « إضافية » ، وإنما « تضاعفية » ، بمعنى أنه إذا كانت الأهمية « صفراً » أو إذا كان الغموض « صفراً »

فلن تكون هناك إشاعة . وعلى سبيل المثال ، فإن مواطناً أمريكياً لا يحتمل أن ينشر إشاعات عن سعر الجمال فى سوق أفغانستان ، وذلك لأن الأمر لا « يهمه » على الإطلاق ، وإن كان السعر يتسم ولا شك بعدم التحدد والغموض ، كما أنه ليس على استعداد لأن ينشر التقولات عن سكان سوازيلاند Swaziland ، لأنهم لا يثيرون اهتمامه . « فالغموض » وحده لا يطلق الإشاعة ولا يسندها .

وكذلك الحال بالنسبة « للأهمية » وحدها . فعلى الرغم من أن حادث سيارة أفقد فيه ساقى هو بالنسبة إلىّ ذو أهمية فاجعة ، فإنى لست مع ذلك معرضاً لإشاعات تتعلق بمدى إصابتى لأنى أعرف الوقائع . وإذا تلقيت « وصية » ، وعرفت المبلغ الذى تشتمل عليه ، فسأكون أبعد ما أكون عن تقبل إشاعات تبالغ فى قيمة المبلغ . ولقد كان الضباط فى المراكز العليا أقل انفتاحاً للإشاعات مما كان عليه المحاربون القدماء ، لا لأن الأحداث الواقعة كانت أقل أهمية بالنسبة إليهم ، ولكن لأنهم كانوا — بصورة عامة — على دراية أعظم بالخطط والاستراتيجيات . فحيث لا يوجد غموض لا يمكن أن تكون إشاعة .

وفى فترة الحرب — كما سبق أن قلنا — تكون شروط قيام الإشاعة أحسن ما يمكن . فالأحداث العسكرية بالغة « الأهمية » . ومع ذلك فالسرية الحربية ، بالإضافة إلى البلبلة الطبيعية التى يعانيها الشعب فيما يتعلق بتقدم العدو وتحركاته التى لا يمكن التنبؤ بها ، نقول إن هذه السرية وهذه البلبلة تعملان على خلق غموض سحيق ، وذلك بالذات حول هذه المسائل التى تعنينا إلى أقصى حد .

فالقانون الذى قدمناه يمكن التعويل عليه بدرجة عالية . وهنالك — مع ذلك — ظروف بعينها تقل فيها فاعلية هذا القانون . فإذا كان الناس يعانون رقابة شديدة ، ولنقل من جانب الجستابو ، وكانت هنالك عقوبات صارمة على ترديد الإشاعة ، فمن المحتمل أن يضبط الناس أنفسهم إن كثيراً أو قليلا .

هذا وبالنظر إلى أن الإشاعة إنما تسرى فحسب ما بين الأفراد متشابهى العقول ، فحيث يكون المجتمع لا متجانساً بدرجة مسرفة ، وحيث تقل الاتصالات بين جماعاته المندرجة ، فإنه يكون من المحتمل أن تتجنب الإشاعة اجتياز

الحواجز الاجتماعية ، ومن ثم يضيق سريانها . (انظر « جماهير الإشاعة »فصل ٩) .

ومع ذلك فمن الممكن أن تتعطل فاعلية القانون لسبب آخر . فقد يحدث أحياناً عندما يتبين شخص ما العلة التى تجعله يتصرف على نحو بعينه ، فإنه سرعان ما يتصرف بطريقة مختلفة . ويبدو الأمر فى غالبية الأحوال وكأن الشخص إذ يتبين أنه يتصرف كآلة صماء ، يتحرر بذلك من أن يكون كذلك . ومن هنا فإن بعض طلاب علم النفس عندما تبينوا فى أنفسهم هذه العادة المستهجنة أو تلك ، سارعوا فى التو إلى التخلص منها . وكذلك فإن الأشخاص الذين تنبهوا إلى أن مجرى انفعال بعينه يساير تنبؤ الإخصائى النفسى ، وجدوا أن الانفعال لم يعد يعمل ولم يعودوا يعيشونه بطريقة طبيعية . وهكذا فإن الشخص « متفهم الإشاعة » — أى الذى يفهم أنه فى ظروف تغلب عليها الأهمية والغموض مما يهيئوه لتصديق الإشاعات ونشرها يكون لهذا السبب عينه أقل استعداداً لأن يأتى ذلك !

وليس من الصواب مع ذلك أن نخلص إلى أن تبين الشخص لنفسه ، أو أن الاستبصار ، يشفينا حتماً من كل عاداتنا المرذولة ، أو أنه يتيح لإرادتنا ، وفى التو ، حرية غير محدودة . ومع ذلك فثمة حقيقة ، قل أن يتنبه إليها علماء النفس ، وهى أن معرفة الشخص بالقانون ، أى بالطريقة التى تعمل الظاهرة وفقاً لها ، كثيراً ما تؤدى إلى تغيير ، بل وأحياناً إلى إبطال ، فاعلية هذا القانون .

وفى هذه الحقيقة — القائلة بأن الأشخاص المتنبهين للإشاعة هم أقل استعداداً لأن يكونوا ضحاياها — ما يبرر كل المجهودات التربوية التى اضطلع بها إبان الحرب ، النفسانيون ، والكتاب والمذيعون ، ومحررو عيادات الإشاعة . وفى هذا أيضاً حجة تدعم إدخال دراسة لدعامة الإشاعة ضمن برامج المواد الاجتماعية فى المدارس والكليات . فبوسع الشبيبة التى تتعرف على قانون الإشاعة أن تحمى نفسها فى مختلف المواقف ، حيث لا يتوفر الدليل . . ومع ذلك فلابد من بذل الجهود حتى لا يستحيل الحذر والتشكك المعقول إلى سلبية غير واعية. فالشخص المسرف فى حذره من الإشاعات يمكن أن يتخذ اتجاهاً من الارتياب حتى بازاء أكثر البيانات صدقاً .

الدوافع إلى افتحاش الإشاعة

عندما نقرأ أن الإشاعة لا تسرى إلا إذا كان موضوعها ينطوى على أهمية بالنسبة إلى الفرد الذى يسمعها وينقلها ، فإننا إنما نوجه الانتباه إلى « العامل الدوافعى » للإشاعة. إن أية حاجة بشرية يمكن أن تكون القوة الدافعة للإشاعة. فالاهتمام بما هو جنسى يفسر الكثير من التقولات ومعظم الفضائح . والقلق هو القوة الدافعة إلى أقاصيص الكوارث وجثث القتلى التى كثيراً ما نسمعها . والآمال والرغبات تكمن وراء الإشاعات الحالمة . والحقد يسند أقاصيص الاتهام والافتراء .

فى أغسطس من عام ١٩٤٥ انتشرت إشاعة مؤداها أن روسيا إنما أعلنت الحرب على اليابان وذلك فحسب لأنها قد حصلت فى مقابل ذلك على أسرار القنبلة الذرية . وكان المصدقون والمروجون لهذه الأقصوصة من الأشخاص الذين يمقتون الروس ، وربما يمقتون —وإن كان بدرجة أقل قليلا— القائمين بالحكم فى واشنطون . كان الحقد المر هو الدافع إلى الإشاعة . ولكن ناشر الإشاعة ، بدلا من أن يقول فى صراحة « إنى أكره روسيا » ، أو « إنى أكره الحزب الديمقراطى » ، فإنه تشبث بأقصوصة « تخفف » و « تبرر » و « تفسر » توتره الانفعالى الدفين .

وجدير بالاهتمام هنا أن نلاحظ الغموض المتعدد الجنبات الذى تعمل الإشاعة فى خدمته . فهى إذ تتيح للشخص أن يصفع ما يكرهه فإنها «تفرّج» عن « دافع انفعالى » أساسى . ولكنها فى نفس الوقت — وبنفس الرمية— تبرر « ما يشعر به الشخص بإزاء الموقف ، و « تفسر » له أمام نفسه وأمام الغير علة ما يدفعه إلى هذا الشعور . وهكذا فالإشاعة تسبغ المعقولية وهى تضطلع بالتفريج . « كيف لا أكره روسيا ؟ لقد خفت إلى مساعدتنا ولكن مقابل رشوة باهظة . . » ، « كيف لا يستولى على الرعب وقد انمحى أسطولنا فى بيرل هاربور . . . » ، « كيف لا أرتاب فى اليهود ؟ إنهم مسرفون فى التعصب لجنسهم . . » ،« كيف لا أشعر بأنى أفضل من جارى ؟ أنا لا أنزل إلى انحرافات حياته . . . » .

ولكن تبرير دوافعنا الانفعالية ، وإسباغ المعقولية عليها ليس هو النوع الوحيد من « التعقيل » (إسباغ المعقولية) . فبصرف النظر عن ضغط دوافعنا الخاصة فإننا نسعى دوماً وبلا انقطاع إلى استخراج « دلالة » من محيطنا . فهنالك — إن

جاز القول — ضغط فكرى إلى جانب الضغط الانفعالى . فالعثور على سبب معقول لموقف غامض هو فى حد ذاته دافع . وهذا السعى إلى « إغلاق جيد » (حتى بصرف النظر عن العامل الشخصى) إنما يفسر حيوية الكثير من الإشاعات[1] إننا نريد أن نعرف « لِمَ » و « كيف » و « إلى أين » بالنسبة إلى العالم المحيط بنا . إن عقولنا تحتج على « العماء » . ومنذ الطفولة ونحن نتساءل « لم » . وهذا «السعى وراء معنى » هو عمليه أوسع من ميلنا إلى تعقيل وتبرير حالتنا الانفعالية الراهنة . من هنا تنشأ « إشاعات فضولية » . فالغريب الذى ينزل ببلدة صغيرة ، ولا يعرف الناس عن عمله شيئاً ، إنما يتسبب فى تولد أساطير كثيرة تستهدف تفسير علة قدومه إلى البلدة إرضاء للعقول الفضولية . والتنقيب الذى يبدو غريباً فى مدينة ما إنما يوحى بتفسيرات خيالية حول الهدف منه . والقنبلة الذرية ، التى لا يفهم الناس عنها إلا القليل ، تولد الكثير من «السعى وراء معنى » .

وخلاصة القول ، إن الإشاعات تهدئ التوترات الانفعالية القائمة بإتاحتها إفراغاً لفظياً يحقق التفريج . إن الإشاعات غالباً ما تبرر وتذود عن وجود هذه الانفعالات التى لو واجهها أصحابها بصورة مباشرة فمن المحتمل ألا يقتدروا على تقبلها. والإشاعات فى بعض الأحيان تتيح تفسيراً جد فسيح لكثير من الملامح المستغلقة للبيئة ، ومن ثم تلعب دوراً بارزاً فى إشباع الحاجة العقلية إلى جعل العالم المحيط بنا يبدو معقولا .

وهذه الدينامية الثلاثية الجنبات نادراً ما يفهمها ، إن فهمها على الإطلاق ، ناشر الإشاعة ، إنه لا يعرف السبب فى أن إشاعة بعينها تبدو له شديدة الجاذبية ، وجديرة بالترديد والنشر فى سرعة وعلى نطاق واسع . إنه لا يتنبه إلى أى مدى يعكس نفسه فى الأقاصيص التى ينشرها ، وذلك لأنه لا يفهم ميكانيزم الإسقاط .

الإسقاط

نتحدث عن « الإسقاط » عندما تنعكس الحالة الانفعالية للشخص ، دون

---

(١) إننا نعيش « الأغلاق الجيد » عند ما نجد تفسيرات تبعث على الرضى ، وعند ما يكون فهمنا للموقف واضحاً و وطيداً .

وعى منه ، فى تأويله للبيئة المحيطة به . مثل هذا الشخص يعجز ، فى نظرته إلى الواقع المحيط به ، عن أن يقتصر على استخدام البينات الموضوعية ، والخالية من التحيز .

وفى الأحلام يضطلع كل واحد بالإسقاط . وإنما بعد اليقظة فحسب نستطيع أن نتبين أن رغباتنا الخاصة ، أو مخاوفنا ، أو نزعاتنا الانتقامية هى المسئولة عما حدث فى أخاييلنا الحالمة . فالطفل النائم يحلم أنه قدعثر على جبال من الحلوى ، والشاب المفعم بمشاعر الدونية يحلم فى نومه بانتصارات فى حلبة الرياضة ، والأم الخائفة تحلم بموت طفلها .

وأحلام اليقظة إسقاطية هى الأخرى . فحين نضطجع على الأريكة نطلق العنان لخيالنا يصور الأحداث التى تجسد آمالنا ورغباتنا ومخاوفنا . ومن ثم نجد أنفسنا فى الخيال مظفرين ، ومشبعين ، وأحياناً مدحورين وخاسرين ، وكل ذلك بحسب مزاجنا أو بحسب نوع الانفعال الذى يوجه آنئذ تيار تداعياتنا الفكرية .

إن الإشاعة أشبه ما تكون بحلم يقظة لاكته الأفواه . فإذا كانت الأقصوصة التى نسمعها تتيح لنا تأويلا للواقع يتفق مع حياتنا الحميمة فإننا نميل إلى تصديقها وإلى نقلها .

وفى المثال التالى يوضح لنا كارل مننجر K. Meninger (١٩٣٠) كيف يمكن لرغبة متخفية أن تستثير ، وأن تجدول فى نفس الوقت ، أقصوصة مختلقة[1].

تقول مسز أدمز لمسز بك : « أين مسز كنج اليوم ؟ أهى مريضة ؟ »

وتقول مسز بك لمسز كلارك : «إن مسز أدمز تتساءل أليست مسز كنج مريضة ؟ »

وتقول مسز كلارك (التى لا تحب مسز كنج) لمسز ديفز (التى تحب مسز كنج) :

« سمعت أن مسز كنج مريضة . أرجو ألا تكون حالتها خطيرة . »

وتقول مسز ديفز لمسز أليس : « تقول مسز كلارك إن مسز كنج مريضة جداً . ينبغى علىّ أن أذهب فى التو لأراها » .

---

(١) عن كتاب « العقل البشرى » The Human Mind ص ٢٨٢ .

وتقول مسز اليس لمسز فرنش : « أظن أن مسز كنج جد مريضة . فقد استدعيت مسز ديفز إليها منذ لحظة » .

وتقول مسز فرنش لمسز جريج : « يقولون أن مسز كنج لا يرجى أن تعيش . فقد استدعى أقاربها ليكونوا إلى جوار فراشها » .

وتقول مسز جريج لمسز هدسون : « ما هى آخر أخبار مسز كنج ؟. هل توفيت ؟ » .

وتقول مسز هدسون لمسز أنجهام : « فى أى ساعة توفيت مسز كنج ؟ »

وتقول مسز أنجهام لمسز جونز : « هل أنت ذاهبة إلى مأتم مسز كنج ؟ لقد سمعت أنها توفيت أمس . »

وتقول مسز جونز لمسز كنج : « سمعت منذ لحظة خبر موتك ومأتمك . فمن الذى أشاع ذلك ؟ »

وتقول مسز كنج : « هنالك كثيرون يسعدهم لو صح ذلك ! »

ومن أمثلة الإسقاط فى صوره الأكثر تعقداً نورد إشاعة من إشاعات الحرب العالمية الثانية . لقد كانت غالبية الإشاعات التى سجلت أثناء تلك الحرب ، كما رأينا فى الفصل الأول ، من النمط العدائى ، الذى ينطوى على اتهامات ضد جماعة معينة من الجماعات الأمريكية : كاليهود ، وجماعة مكتب إدارة التسعيرة O.P.A. ، والزنوج، والكاثوليك ، والجهاز الحكومى ، والجيش، والأسطول ، والصليب الأحمر ، — أو ضد حلفائنا ، وعلى الأخص بريطانيا وروسيا . وعلى الرغم من أن عنصر المنطق هو أكثر بروزاً فى هذه الإشاعات ، فديناميات الإسقاط ، فيما يبدو ، هى أيضاً قد دفعت بها إلى الأمام فى الطريق .

ولنفترض أن واحدة من ربات البيوت قد قالت من فوق السور الخلفى لبيتها (وكثيرات فعلن ذلك بالفعل) :

« سمعت أنهم هنالك فى معسكر ١٠ لديهم اللحوم بوفرة حتى إنهم يلقون شرائح برمتها من لحم الأبقار الطازج فى صناديق القمامة » .

فماذا يمكن أن يكون الدافع عند هذه المرأة ؟

أولا كان نقص اللحوم بالنسبة إليها وإلى أهل بيتها مسألة ذات « أهمية » .

هذا إلى أن الدليل فى هذه الحالة يتسم « بالغموض » . فإنه لم يكن فى وسع هذه المرأة أن تصل إلى الحقائق فى هذا الأمر . وأكثر من هذا ، فإنها كانت تعانى بمعنى الكلمة من نقص اللحوم ، تعانى الإحباط (الحرمان النفسى) فى تنظيم وإعداد الوجبات . وهى عندما تشعر بالإحباط تعرف أن هنالك دائماً سبباً لذلك . ومن هنا فإنها فى « سعيها وراء معنى » تجاهد للكشف عن المتهم . لقد كان من الممكن بالطبع أن تتهم المحور أو هتلر . ولكن هؤلاء الأوغاد ليسوا فحسب بعيدين عن متناولها ، وإنما كانت سيئاتهم من العظم والعمومية بحيث كان من الصعب عليها أن تتبين علاقتهم بإحباطها العيانى المباشر . وبالإضافة إلى ذلك ، لو كانت هنالك ترتيبات أفضل ، أفلم يكن من الممكن أن يتوفر اللحم للجميع ؟ ومن المحتمل أيضاً أن تكون قد التقت ببعض من الضباط الجشعين غير المقدرين للمسئولية ، أو لعلها ساخطة على الطريقة التى يعامل بها الجيش حبيبها « جونى » . وعلى أية حال يبرز وغد ملموس ، على مقربة ومشبوه ، فلا تلبث تهمة نقص اللحوم حتى تلصق بالجيش . وهكذا تفسر المسألة لنفسها ، وتثبت اللوم . ويطلق على هذه العملية اسم « الإسقاط المتمم » . (مرى وآخرون ١٩٣٨) . وليس معنى الإسقاط المتمم أن يلصق الشخص مشاعره الانفعالية بالآخرين ، وإنما بالحرى أن يتلمس الشخص فى المسالك التى يفترضها فى الآخرين مادة تفسير « معقولة » لمشاعره . (بهذا المعنى نجد حالة قصوى من حالات « الإسقاط المتمم » عند المصاب بالبرانويا الذى فى معاناته للشك والعدائية يتهم الآخرين بالتآمر عليه .)

ومع هذا فقد لا نكون قد بلغنا بذلك كله إلى تفسير كامل لثرثرة هذه المرأة . ولنفترض أنها قد عجزت عن خفض استهلاكاتها المنزلية ، (مما أوصت به الحكومة) ، أو لعلها قد مارست شيئاً من الغش باحتجازها كوبونات التموين عند شرائها اللحم ، أو أنها اشترت شيئاً منه من السوق السوداء . ونظراً لأنها فى الأعماق مواطنة مسالمة ومحبة لوطنها ، فإنها لا تستطيع أن تفلت من وخزات الضمير . أو تراها تستطيع؟ (إن الغالبية من الناس تحرص — ما وسعتها الحيلة — على أن تحقق الهدوء لضميرها ، وكيما تبلغ إلى ذلك فإنها تقع ، بين حين وآخر ، على الأقل فى شرك « الإسقاط المباشر » .)

إن الإسقاط المباشر (لا المتمم) لشعورنا بالإثم لهو نعمة من النعم السحرية للطبيعة ، تتيح تجنب وخزات الضمير المؤلمة . ولقد أشار امرسون Emerson إلى ذلك حين كتب : « إن ما نسميه خطيئة عندالآخرين هو مجرد ما نسميه « تجربة » عندنا . فالآخرون هم الذين يرتكبون الخطايا لا نحن » . (وحتى لو ارتكبناها ، فما أهونها من خطايا إذا قورنت بنذالة الآخرين) . فالمرأة التى نحن بصددها يحتمل أنها كانت، دون وعى منها، تعمل على تهدئة ضميرها، وكأنها تقول لنفسها: « علام أشعر بالإثم ؟ وأين تكون مراوغاتى التافهة فى الأنظمة التموينية بالقياس إلى غيرها ؟ تأمل فقط ، أن الجيش يبدد شرائح بأكملها من اللحم . إن فعلتى بالقياس إلى ذلك لا تستحق الذكر » [1] .

وهنالك أيضاً بعض الأدلة التجريبية تتعلق بأهمية الإفلات من مشاعر الإثم فى تصديق الإشاعات. ولقد كشف أولبورت ولبكين Allport and Lepkin (١٩٤٥) عن وجود ميل عند الأشخاص الذين يصدقون إشاعات معينة تتصل بالتبذير وبالامتيازات الخاصة بمكتب إدارة التسعيرة .O.P.A إلى أن يكونوا أناساً ممن يستبيحون الغش فى مقررات التموين وممن « ينكرون فى الوقت نفسه أى شعور بالإثم أو العار يخامرهم من أجل ذلك » . وعلى الضد من ذلك عند الأشخاص الذين يسلمون بالغش ويعترفون بأنهم « يستشعرون الخزى » ، فقد تبين أنهم أقل تصديقاً للإشاعات المتصلة بأخطاء الآخرين . وباختصار ، فإننا حين نصدق بالنسبة للآخرين أسوأ الأمور ، فإننا نتحايل للإفلات من إثم لاشعورى عندنا . أما حين نتجه باللوم إلى أنفسنا فإننا نكون أقل استعداداً للإشاعات .

ونجد توكيداً لنفس المبدأ فى تجارب فرنكل — برنزيك Frenkel-Brunswik وسانفورد (١٩٤٥) . فلقد اكتشف هذان الباحثان أنه بين جماعة من الفتيات الجامعيات المناهضات لليهود بصورة صريحة كان هنالك ميل إلى تجنب لوم الذات

---

(١) ليس من شك فى أنه جد عسير أن ندلل على أن الأشخاص الذين يرددون إشاعات « اتهامية » هم أنفسهم تلطخهم نفس التهمة التى يلصقونها بالغير . وعلى أية حال فثمة ملاحظة معروفة تنحصر فى أن الأشخاص فيما يبدو يكونون مستقيمى النية بشكل واضح وهم ينتقدون عند الآخرين من الأخطاء ما نعرف أنهم هم أنفسهم غارقون فيها .

وإلى التملص من مسئولية التقصير . وعلى الضد من ذلك ، بين جماعة من الطالبات المتحررات بشكل واضح من التحيز ضد اليهود، كان هنالك ميل واضح عندهن إلى « عقاب الذات» ، بمعنى أنهن يملن إلى توجيه اللوم إلى أنفسهن فى حالات الخيبة والفشل . فالأشخاص الذين يرفضون مواجهة أخطائهم يتلمسون كباش الفداء ، أما الأشخاص الذين يعرفون مواطن الضعف فى أنفسهم فلا يبدو أنهم بحاجة إلى كباش فداء .

تعميم قانون الإشاعة

نستطيع أن نلخص ما عرضنا له حتى الآن على النحو التالى :

« إن الإشاعة تنطلق وتمضى فى رحلتها فى وسط اجتماعى متجانس ، بفضل »
« الدوافع القوية عند الأشخاص القائمين بنقلها . ويتطلب التأثير القوى لهذه الدوافع »
« أن تضطلع الإشاعة بدور تبرير هذه الدوافع : بمعنى أنها تفسر ، وتبرر ، »
« وتسبغ دلالة على الدافع الانفعالى القائم . وأحياناً ما تكون العلاقة بين الدافع »
« والإشاعة من القوة بحيث نستطيع أن نصف الإشاعة ببساطة على أنها إسقاط »
« لحالة ذاتية وانفعالية معاً » .

أما وقد قررنا العلاقة الوثيقة بين الإشاعة والحالة الذاتية الانفعالية فلنلق من جديد نظرة على صيغة القانون :

ش دالة ا غ

وهذه الطريقة فى التحليل عظيمة الشبه بطريقة ماكجريجور McGregor*(١٩٣٨) فى تناول عامل التفكير الراغب فى صياغة التنبؤات . ففى تجربة ماكجريجور طلب إلى الأشخاص (وكان ذلك فى عام ١٩٣٦) ما إن كانوا يعتقدون أن هتلر سيبقى فى الحكم « بعد سنة من اليوم » . ولقد أجاب ٩٥٪ من الأشخاص بأنهم يعتقدون بأنه سيبقى . ولقد سئلوا أيضاً عما إن كان اتجاههم الشخصى محبذاً لهتلر . وتبين أن الغالبية مناهضة له . والمهم هنا هو أن كراهية الناس له لم تؤثر على تنبؤهم ، إذ لم يكن فى الموقف غير قليل من « الغموض » . وقد كانت قبضة هتلر على

ألمانيا فى ذلك الوقت قوية . ومن ناحية أخرى طلب إلى الأشخاص أن يتنبأوا بمدى احتمال تحقق خطة ملك انجلترا إدوارد الثامن المعلنة لزواجه خلال تلك السنة، وما إن كانوا يعتقدون أنه يجب عليه أن يتمم الزواج . فمن بين الأشخاص الذين كانوا معارضين لزواج الملك ، تنبأ ٣٢٪ « بنعم » ، فى حين أنه من بين الأشخاص المناصرين لزواج الملك تنبأ ٨٠ ٪ « بنعم » . وفى وقت إجراء التجربة كانت الأخبار عن مشروع زواج الملك غاية فى الغموض والتناقض . فحين لا تتوفر هداية الدليل الموضوعى ، فإن الغالبية من الناس تتنبأ وفقاً لتفضيلاتها الذاتية .

ويكتب ماكجريجور : « . . . إن مدى أثر العوامل الذاتية فى التنبؤ يتحدد تبعاً لدرجة الغموض فى الموقف المثير ، وتبعاً لما للمسائل المعنية من أهمية عند المتنبئ . » فإذا كانت الأهمية ، أو إذا كان الغموض صفراً ، فإنه من المفروض أن يكون أثر العوامل الذاتية على التنبؤ صفراً . فى هذه الحالة لن تكون هنالك « رغبات » للتأثير على التنبؤ ، وعندئذ يكون التنبؤ ببساطة مجرد تسجيل لغموض الموقف المثير الراهن . وإذا كان الغموض صفراً يكون الموقف المثير ملزماً تماماً ، بحيث تظل أية رغبة شديدة عديمة الفاعلية » .

وتنتهى بنا دراسة ماكجريجور إلى أن الإشاعة تتبع قانوناً — أكثر عمومية — فى علم النفس الاجتماعى ، يمكن صياغته على النحو التالى :

« إن التحريف الانفعالى الذاتى فى إدراك وتأويل البيئة إنما يحدث فحسب تبعاً للتأثيرات المتضامنة للأهمية والغموض » .

إن الإسقاط والتفكير الراغب ليسا عمليين مطلقين . فهما يتحققان فقط عندما تسمح الظروف الشارطة . فالأشخاص يدعمون رغباتهم بالاعتقاد ، ويلجأون إلى التبرير والإسقاط ، وينشرون الإشاعات الكاذبة ،وذلك فحسب تبعاً لغموض الموضوع وأهميته الخاصة[1] .

---

(١) إن القراء الذين يألفون مايعرف باسم التكنيكات الإسقاطية فى علم النفس سيدركون للوهلة الأولى ما هنالك من شبه بين الإشاعة والاختبارات الإسقاطية . فمثل هذه الاختبارات تستند إلى مثيرات تتسم بالغموض . فبقعة الحبر خلوة من البنية المحددة ، ومن هنا فإنها تستمد دلالتها من الفرد الذى يؤولها . وكذلك الحال بالنسبة إلى اختيار الإدراك الداخلى للموضوع T.A.T. فإنه يستخرج قصة شخصية متخفية بالكاد ، وذلك فحسب حين تكون الصورة — المثير تحتمل عديداً من التأويلات . فإذا لم تكن الأشكال =

وهكذا فإن الإشاعة ، كصورة من أكثر صور النشاط الاجتماعى بعداً عن المنطق ، تتكشف كظاهرة محددة . فهى ، كالتفكير الراغب عندما كجريجور ، لا تزدهر إلا حين يتحقق للشخص الشعور باندماج الذات ، وحين لا تفرض الأدلة أو المعارف الموضوعية قيوداً منطقية على الحكم والنقل .

وفى هذا المجال قد يكون من المفيد أن نذكر أيضاً أن عدداً من الإشاعات يكشف فيما يبدو عن تعطش معرفى أكثر منه عن حاجة انفعالية (أنظر دوافع افتحاش الإشاعة فى هذا الفصل) . ونظراً لأن الأشخاص شغوفون بالاستطلاع ، راغبون فى المعرفة ، ففى ذلك ما يقيم شرط الأهمية : « ولكن نظراً أيضاً لأنهم لا يعرفون ، ونظراً لأنهم يجدون المسألة المعنية تتسم « بالغموض » ، فإنهم ينفتحون للإشاعة . فالقصص الطريفة التى يرويها الأطفال معبرة عن تأويلاتهم لمظاهر الطبيعة والعقل والله تشارك فى هذا الطابع المميز « للإشاعة الاستطلاعية » . والأساطير والخرافات ، وإن لم تكن بأى حال متجردة دوماً عن الطابع الانفعالى ، فإنها هى الأخرى قلما تبدو فى الغالب أكثر من مجرد صور علمية بدائية للكون . وباختصار فإن « السعى وراء معنى » يمكن وحده أن يحقق شرط « الأهمية » الذى يكمن وراء انتشار الإشاعة (أو الأسطورة) . فالحاجات التى تتسم بالأهمية ليست كلها حشوية . فمن الممكن أيضاً أن تكون عقلية .

أسباب ثانوية لسريان الإشاعة

ليس من الحكمة أن نفترض أن كل فرد ناشر للإشاعة إنما يدفعه دائماً ذلك الأنموذج الدينامى الذى وصفناه . فى بعض الحالات يمكن أن يكون الدافع جد خاص ، فلا ينطوى على أية علاقة بالموضوع الذى تنصب عليه الإشاعة . وعلى سبيل المثل ، يمكن أن يكون الدافع عند ناشر الإشاعة مجرد الرغبة فى اجتذاب الانتباه : « إنى أعرف شيئاً أنت لا تعرفه » ، ذلك غالباً مدخل الطفل إلى ترديد الإشاعة . فكون الشخص « فى الصورة » إنما يرفع من شعور الشخص

= المثيرات على درجة عالية من الغموض ، فإن الشخص لا يستطيع تأويلها تبعاً لحاجاته الخاصة . وثمة سؤال له خطره هو ما إذا كانت الطرائق « الإسقاطية » المستخدمة فى العادة (بما فى ذلك أشكال الـ T.A.T.) هى مبهمة بدرجة كافية .

بأهمية ذاته . فالشخص وهو آخذ فى سرد قصته يكون ، طوال ذلك الوقت ، مهيمناً على مستمعيه . ومثل هذه المتعة يمكن أن تكون شديدة الغواية بالنسبة إلى الأشخاص الذين حياتهم — فيما عدا ذلك — خلوة من الأحداث لا لون لها . هذا إلى أن مردد الإشاعة يمكن أن يتيح لنفسه مشاعر المغدق على صديق شغوف بتذوق الفضائح ، أو بالأقاصيص المقابرية المفعمة بالجثث والمصائب . وهو وإن لم يحفل هو نفسه بالإشاعة فإنه يلقى بها إلى تلذذ صديقه .

أضف إلى ذلك أن الشخص يمكن حين ينقطع حبل الحديث أن يجد من الملائم أن يملأ الفراغ بترديد ما سمعه منذ لحظات . وعلى ذلك فإن الأشخاص الذين لا يتجاوبون مع المشاعر الانفعالية التى تنطوى عليها الإشاعة قد يعملون مع ذلك على استمرار سريانها . ومثل هذه « الدردشات » الاجتماعية غير الهادفة لا يمكن وحدها أن تفسر وجود الإشاعة أو الشكل الذى تتخذه ، ولكنها مع ذلك تعين على دفع الإشاعة فى حلتها عبر « نقطة ميتة » من السلسلة .

فنى وقت من الأوقات ، حين كانت الولايات المتحدة ما تزال فى حرب مع إيطاليا ، تبين أن ٢٥٪ من بين أعضاء جماعة « إيطالية أمريكية » فقيرة كانوا يستمعون بانتظام لراديو روما ، وينقلون دعاية المحور إلى جيرانهم . وقد يبدو للنظرة العجلى ، أن ولاء هذه الجماعة كان ينبغى أن يوضع بصورة جدية موضع الشك . ولكن الدافع الذى يكمن وراء هذا الموقف قد استبان بسيطاً وبعيداً عن التعقيد . فالأشخاص الذين كانت أجهزة استقبالهم من الجودة بحيث تستطيع التقاط المحطة الإيطالية كانوا يستشعرون مشاعر الامتياز والتفوق فى جماعتهم . وكيما يحتفظوا بهذا الامتياز ، فقد كانوا يتجشمون مشقة الاستماع ، وينعمون بمشاعر الفخار وهم ينقلون ما سمعوه إلى جيرانهم الذين يحسدونهم على ذلك[١] .

إشاعات « مركز التطلع »

تبلغ الإشاعات أقصى احتدامها عندما يكون الجمهور متوقعاً حدوث حادث خطير . ويشتد الاحتدام عندما تدخل الصحافة والإذاعة إلى المسرح . فهدنة

---

(١) ج . س . برونر ، ج . ساير (١٩٤١) Bruner and Sayre .

عام ١٩١٨ قد سبقها بأربعة أيام إعلان فى الصحافة غير صحيح . وفى عام ١٩٤٥ تكرر نفس الشئ قبيل يوم النصر فى أوربا V-E Day وقبيل يوم النصر على اليابان V-J Day. وفى جميع هذه الحالات تمخض الأمر عن احتفالات سابقة لأوانها . فبالإضافة إلى ما يمكن أن نفهمه من رغبات هيئات الإعلام فى ألا تتهم بالغفلة والنعاس ، وفى أن تقدم إلى الجمهور الأنباء الطيبة فى أبكر وقت ممكن (وقبل أن يسبقها منافس إلى ذلك) ، فهنالك أسباب سيكولوجية تكمن وراء الميل الشائع عند الجميع إلى « الاستباق » وذلك بقدر ما يتعلق الأمر بتوقع أنباء هامة .

هاهنا نلتقى بعامل دينامى قوى ، هو عامل « التوقع » فى الحياة العقلية للأفراد . فبعد ما يطول الانتظار ويطول ، وحتى لا يبقى غير عنصر واحد فحسب لينحل اللغز ، عندها نكون وكلنا « تحفز » للإكمال . إننا نكون أشبه شئ بهذه الحيوانات التى تسرع فى عبورها المتاهة إلى صندوق الطعام ، فتزيد من سرعتها بقدر ما تقترب من نهاية الطريق فى المتاهة التجريبية . إننا نخضع مثلهم «لجذب الهدف» . وحتى هؤلاء الأشخاص الذين تدربوا على جمع الأخبار فإنهم لا يطيقون الانتظار ، كما يدل على ذلك تصرف « اليونايتدبرس » قبيل يوم النصر على اليابان :

إشارة برقية تثير احتفالا سابقاً لأوانه

فى الساعة ٩,٣٤ من مساء الأحد أرسلت اليونايتدبرس ما يأتى عبر مبرقاتها الكاتبة :

إشارة

واشنطون : اليابان تقبل شروط الحلفاء للتسليم

وبعد دقيقتين أى فى الساعة ٩,٣٦ أرسلت إشارة عاجلة :

إشارة

رئاسة التحرير : أوقف الإشارة السابقة .

ولكن النشرة كانت قد أذيعت على الهواء ، وفى التو انطلقت فى أرجاء نيويورك كلها الصفارات وأنفرة التنبيه .

عندها أمر الكثيرون من مديرى دور السينما بإيقاف العرض وإعلان « النبأ » . فتدافع الآلاف إلى الشوارع للاشتراك فى الاحتفالات السابقة لأوانها .

وفى الساعة ٩,٤٠ مساء نشرت اليونايتدبرس :

رئاسة التحرير : إن مكتبنا فى واشنطون ينبه إلى أنه لم يرسل الإشارة التى سبقت إذاعتها منذ لحظات ، ونحن نجرى الآن التحريات للتأكد من مصدر النبأ .

وفى هذه اللحظة أخذت محطات الراديو تذيع تنبيهات عاجلة بأن النبأ غير صحيح . ومن الواضح أن جميع الإذاعات كانت تستند إلى إشارة اليونايتدبرس .

وفى نفس الوقت كانت المبرقات الكاتبة لليونايتدبرس فى شبه شلل ، فلم تصدر عنها كلمة واحدة طول ٢٠ دقيقة على أقل تقدير .

وفى الساعة ١٠,٠٥ مساء أرسلت الإشارة التالية :

رئاسة التحرير : مازلنا نتابع التحقيق فى أمر إشارة واشنطون ، ولكننا لم نستطع حتى الآن تحديد مصدرها . وسنقدم تقريراً تفسيرياً فى أقرب وقت ممكن .

إن إشاعات « جذب الهدف » لا تناقض المبادئ التى عرضنا لها ، وإنما هى تجسيد لها فى حالة خاصة . إن « الخاتمة » المتوقعة ذات « أهمية » عظمى عند الكثيرين . هذا إلى أن كون الأخبار الرسمية هى موضع توقع الناس من لحظة إلى أخرى لمما يزيد بالفعل من « الغموض » القائم فى الموقف (أحدث ؟ ألم يحدث ؟) . فجامعو الأخبار وزبائنها يتجهون بكل اهتمامهم إلى الخاتمة المتوقعة . والأمر لا يحتاج إلا لزيادة طفيفة فى « القابلية للتصديق » حتى يؤكد الناس ويعتقدوا أن الخاتمة قد تمت .

الفصل الثالث

الشهادة والتذكر

الإشاعة بحسب التعريف ظاهرة اجتماعية . فلابد من شخصين على الأقل لتكون إشاعة . ومع ذلك ، فى أية لحظة بعينها ، يكون فرد واحد هو « عجلة الأقصوصة » . فما يدور فى ذهنه هو سر الأمر كله . وعلى وجه الدقة فإن السلسلة شيء يزيد على مجرد حاصل جمع حلقاتها . ومع ذلك فإن الحلقات واحدة واحدة إنما تؤلف مادة السلسلة ولبابها . ومن هنا فإننا لا نستطيع أن نتوقع فهم الإشاعة فهماً مليئاً بغير ما تحليل دقيق للعمليات النمطية التى تجرى متعاقبة فى عقل عقل من العقول الفردية التى تؤلف سلسلة الإشاعة .

الشهادة

على الرغم من أن علماء النفس لم يحفلوا إلا قليلا حتى الحرب الأخيرة بالنتاجات السلسلية (العديدة الأفراد) للإشاعة ، فإنهم قد اهتموا لفترة ما بالأنموذج القاعدى : إدراك — حفظ — إدلاء على نحو مايتحقق فى الفرد . ولكن منذ نحو خمسين عاماً انكب هؤلاء العلماء بصورة جدية على دراسة « الشهادة » ، وهى التى أطلق عليها البحاث الأوائل من الألمان مصطلح Aussage .

كانت دراسة الشهادة ، بمعنى دراسة « المشاهد كقائم بالإدلاء » ، ميداناً التقت فيه اهتمامات سيكولوجية جد متعددة ، كما قرر هويبل Whipple (١٩٠٩):

« ينبع الإدلاء من عمليات الإدراك ، فهو بالتالى يشتمل على كل سيكولوجية الإحساس والانتباه والإدراك الداخلى ، كما يرتبط بالحفظ والتذكر ، ومن ثم يشتمل على كل سيكولوجية الذاكرة . ويتبدى الإدلاء فى عبارات لفظية ، ومن ثم فهو يشتمل على كل سيكولوجية اللغة والتعبير . ويخضع الإدلاء لشروط من عوامل ذاتية متعددة ، من قبيل الميول المزاجية ، والعواطف ، والقابلية للإيحاء إلخ. » (ص ١٦٩) .

وفى الوقت الذى كتب فيه هويبل ذلك ، كان علماء النفس تجتذبهم دراسة الإشاعة ، ربما لأنها كانت تكاد أن تكون الميدان التطبيقى الوحيد المشتمل على العديد من العمليات العقلية العليا ، والذى يتيح لهم أن يوجهوا علمهم إلى الأغراض العملية . ومما يبعث فى نفوسهم الرضا أن يلقوا الضوء على مسألة مستغلقة تثار فى عجيج وضجيج قاعات المحاكمة ومكاتب الصحافة .

ومن بين الرواد الأول يبرز علمان : بينيه Binet وشترن Stern . فبينيه (١٩٠٠) هو الذى وجه الأنظار إلى ضرورة الدراسات التجريبية المنهجية ، وكان من بين طليعة من اضطلعوا بمثل هذه الأبحاث . كان رائداً فى استخدام « اختبار الصور »، الذى عن طريقه يتم تقدير مدى الصدق فى الإدلاء عن المادة المصورة . وكانت المواد التى يستخدمها تشتمل أيضاً على « اختبارات وصف الأشياء » ، واختبارات الذاكرة اللفظية . وكانت القدرة على الإدلاء تدخل ضمن سلم مقاييسه ، وما تزال جزءاً من اختبارات ستانفورد — بينيه للذكاء .

أما الباحث المنهجى الآخر فهو وليم شترن ، الذى يعد كتابه « فى سيكولوجية الشهادة » (١٩٠٢) مرجعاً تقليدياً فى مجال الشهادة . وبفضل شترن على وجه الخصوص تطورت دراسات الشهادة فى خطين رئيسيين : اختبارات الصور، وتجارب الواقع . ففى اختبارات الصور نعرض منظراً على الشخص ونطالب إليه أن يصفه من الذاكرة بأقصى ما يستطيع من دقة . وكيما نجعل ظروف البحث أقرب ما تكون شبهاً بالحياة تصطلع تجارب الواقع بتقديم بعض الأحداث الحية ، دون أن يتنبه الأشخاص إلى أن « الظاهرة » التى يشهدونها قد اصطنعت بمهارة . فإحدى التجارب النمطية « الجد شبيهة بالحياة » كانت تنطوى على الحادث التالى : ففى أثناء اجتماع مناقشة علمية اشتبك اثنان من بين الطلبة فى عراك . وأخذ النقاش بينهما يتزايد حدة حتى بلغ الأمر بأحدهما أن يشهر مسدسه على خصمه مهدداً إياه بإطلاق النار . وفى هذه اللحظة تدخل الأستاذ فأبعد ما بين المتخاصمين ، وطلب إلى الشهود أن يقدموا وصفاً تفصيلياً للحادث .

ولفحص قدرة الشهود على الإدلاء استخدمت طريقتان :

١ — طريقة الرواية ، أو السرد الطليق الذى يقدمه الشخص بغير ما معونة ،

أو إرشاد ، أو مقاطعة من جانب المجرب . ويتميز هذا النمط من الإدلاء ببعده عن التأثر بالإيحاء . ولكنه مع ذلك لا يكشف عن قدرة الشخص على التذكر بصورة كاملة ومستنفدة كما هو الشأن فى النمط الثانى من الإدلاء .

٢ – طريقة الأسئلة أو طريقة الاستجواب،وتنحصر فى إعداد مجموعة من الأسئلة تغطى جميع التفصيلات وجميع جوانب « المادة – المثير » . والعيب الأساسى لهذه الطريقة هو بالطبع خطر الإيحاء . فإن الشاهد الذى ينزلق بتأثير « الأسئلة الهادفة » لهو وجه مألوف فى قاعات المحاكمة .

ولقد كشف شترن (١٩٣٨) عن عدد من العوامل التى تؤثر فى إدلاءات الشاهد . فالحالات الأولى للّوى والحذف تحدث فيما يبدو أثناء الإدراك الأول للصورة أو الحادثة نفسها . فالشاهد يميل إلى إغفال التفصيلات المحيطية بالقياس إلى الموضوع الرئيسى . فهنالك كثير من التفصيلات التى لا يراها على الإطلاق . وكلما مضى الوقت يصبح إدلاءه أقل فأقل دقة ، وتصبح مظاهر اللوى أكثر فأكثر خطورة ، وخاصة حين يخضع الشاهد لعملية استجواب . وعندما يتاح للشاهد أن يضطلع بسرد تلقائى ، فإنه يستطيع أن ينتقى ويلتقط من بين التفصيلات الخاصة بالحادث الأصلى ، فيدلى من بينها بما يراه أكثرها وضوحاً ، وأكثرها – فيما يحتمل – دقة فى ذاكرته . أما فى حالة الاستجواب ، فالشاهد يجد نفسه مضطراً لأن يدلى بقضايا محددة عن الموضوعات التى ترقد فى الهامش المعتم من ذاكرته . وفى مثل هذه الظروف يغلب على الشاهد أن ينقاد للصورة الخاصة التى يتخذها سؤال القائم بالاختبار وما ينطوى عليه السؤال من تلميح ضمنى .

ولقد تبين شترن كذلك أن الحادثة موضوع الإدلاء ينبغى أن تكون قائمة فى كيان متحدد فى ذهن الشاهد إن كان لنا أن نحصل منه على إدلاء دقيق بدرجة مقبولة . أما إذا خلط الشاهد ما بين المشهد وتجارب أخرى مشابهة ، فسيتمخض ذلك عن مزيج مؤسف . ويلاحظ شترن – ملاحظة تنطوى على أهمية كبرى بالنسبة للإشاعة – أن « هنالك عدداً لا يحصى من الناس لا ينعم الماضى فى مسرحهم الشعورى إلا بالقليل من « الانتظام الزمنى » . فإن ما حدث فى وقت ما يختلط اختلاطاً عمائياً بأشياء أخرى حدثت فى وقت آخر . وكل من حاول أن

يضطلع بتقديم وصف لأحداث طفولته بترتيبها الزمنى فهو شاهد على ما ينال الإطار الزمنى للذاكرة من « شلفطة » .

إن الشهادة ، كما تبين شترن ، تنال بشدة خاصة من الجوانب الغريبة وغير المألوفة للمثير . فهذه الجوانب إما أن يعاد تأويلها لتساير ما هو مألوف بالنسبة إلى الشخص ، وإما أن غرابتها تتعرض من جانب الشخص للمغالاة الشديدة بحيث تصبح القسمة المركزية فى الإدلاء .

وفى حالة الإدلاء اللفظى تنضاف قوى أخرى للسّوى . فالأشخاص لا يملكون من الألفاظ إلا قدراً محدوداً . فهم يستخدمون « تعبيرات جاهزة » (كليشهات) ومصطلحات لفظية مألوفة للتعبير عن صور الذاكرة التى كثيراً ما تكون ناقصة ويعوزها التنظيم . فالألفاظ عندما تستخدم تسبغ على التذكر صورة هى من التحدد أكثر مما عليه التذكر فى صورته غير اللفظية . فالألفاظ « تشكل » أفكارنا ، و« تلزمنا » بأفكار لم تكن محددة قبل أن ننطق بها .

وأخيراً فقد تبين شترن أن الفروق بين الأشخاص فى الذكاء ، وفى عادات التعبير اللفظى ، إنما تؤثر بشكل واضح على الإدلاء . فمن الأشخاص من يميل إلى تقديم مجرد تعديد لقسمات غير مترابطة من تجربته ، ومنهم من ينسج قصة يختلط فيها التأويل والتقويم بالإدلاء نفسه . وعلى وجه العموم ، لا يبدو أن هناك اختلافاً ثابتاً بين إدلاءات الرجال وإدلاءات النساء من حيث الدقة . أما الأطفال ، فإنهم من عدم الدقة ومن سهولة التأثر بالإيحاء (وذلك لأن ترسانة تجاربهم لا هى بالكافية ولا هى بالمساغة بدرجة كافية بحيث تنتظم فى بنية جيدة) إلى حد أنه لا يمكن فى الواقع أن نثق فى إدلاءاتهم . ولقد تسبب إثبات شترن استحالة التعويل على شهادة الأطفال فى تعديل القانون الألمانى ، بحيث تضاءل تقبل المحاكم فى ألمانيا لمثل هذه الشهادة .

وثمة أبحاث كثيرة مماثلة اقتفت طريق شترن[1] . ولقد تناولت بعض هذه الأبحاث الأثر الإيحائى للاستجواب (انظر كلاباريد ١٩٠٦) ؛ كما تناول بعضها الآخر أثر الفترات الزمنية المختلفة على دقة الإدلاء . (انظر بورست Borst

---

(١) يوجد عرض للأبحاث التى تمت حتى عام ١٩٠٩ فى هوبيل G.M. Whipple (١٩٠٩) .

١٩٠٤) ؛ وأبحاث أخرى تناولت أثر عاملى العمر والجنس . ولقد كشفت كل هذه الأبحاث عن قصور شهادة « شاهد العيان » ، وخاصة فى الظروف التى يشتد فيها الانفعال إبان الإدراك الأصلى ، أو إبان عملية السرد . والقصور العادى فى عمليات الإدراك والحفظ والإدلاء اللفظى إنما يعد جسيماً بدرجة كافية ، ولكن الحالات الانفعالية تزيد كثيراً من جسامة هذا القصور .

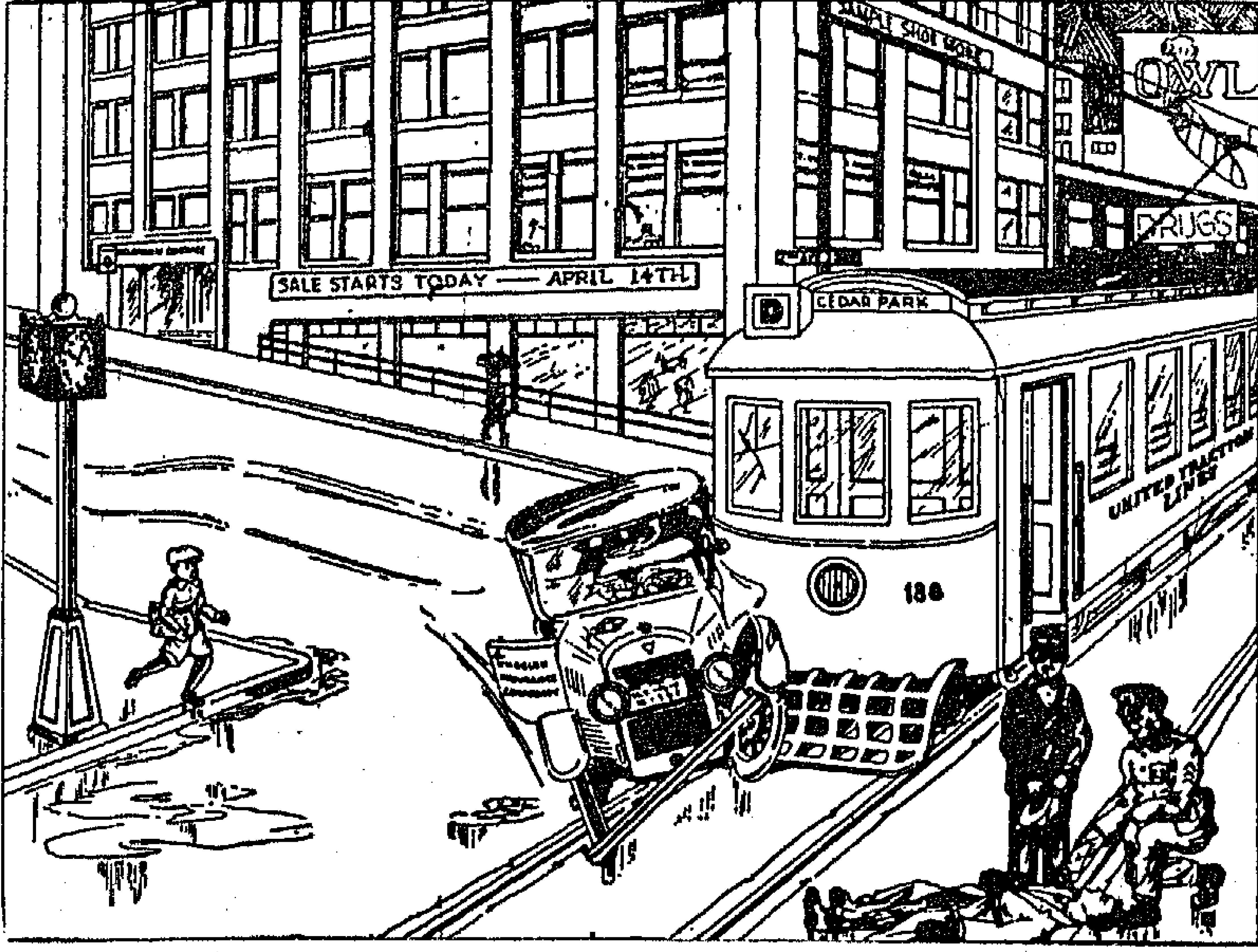
ويمثل شكل (٢) مثيراً نمطيًّا فى تجارب « الشهادة » استخدمه فريد Freyd (١٩٢١) وذلك فى محاولته ابتداع اختبار بالصور للكشف عن دقة الإدلاء . واختبار « الشهادة » هذا كان جزءاً من بطارية اختبارات صممت بقصد قياس « القدرة الصحفية » . كان فريد يسمح للشخص بأن يتأمل الصورة لمدة دقيقة واحدة ، ثم يختبره بعد ذلك فى عدد كبير من التفصيلات ، كرقم السيارة ، ورقم العربة والخط ، والزمن فى ساعة الميدان .

وتكشف مثل هذه التجارب جميعاً بوضوح عن استحالة التعويل فى العادة على شهادة شاهد العيان . وحتّى إدلاءات « الطبعة الأولى » فإنما هى من الزيف بحيث يندر أن نثق فى تفصيلاتها . والإشاعة من حيث أنها تبتعد عن شهادة شاهد العيان مرة ، ومرتين ، وآلاف المرات ، إنما تزداد وتزداد بعداً عن الصحة . فلا غرابة بالتالى إن كان الدليل المستند إلى التقولات يلقّى الاستبعاد القاطع فى معظم المحاكم .

الإدراك والتذكر والإدلاء

المراحل السيكولوجية الثلاث فى الشهادة هى : الإدراك والتذكر والإدلاء . ونفس هذه العمليات الثلاث هى قوام « انتقال الإشاعة » ، مع فارق ، هو أن المراحل فى هذه الحالة الأخيرة تتكرر فى حلقة حلقة من حلقات الإشاعة ، وأن الإدراك ينخفض فى جميع الحلقات ــ باستثناء الأولى ــ إلى مجرد سماع للتقول .

وعلى وجه الدقة يستحيل عزل هذه المراحل بعضها عن البعض بصورة قاطعة . فما ندركه إنما يتأثر بالضرورة بما نتذكره من التجارب الماضية الملائمة ، كما أنه



شكل (٢) اختبار القدرة على الإدلاء

يتأثر أحياناً بما نرغب فى الإدلاء به . والتذكر يعتمد على الإدراك ، ولكنه يعتمد أيضاً على الألفاظ التى تجسد الموقف فى الذهن . والإدلاء هو نتاج العمليتين السابقتين ، ولكنه أيضاً نتاج الموقف الاجتماعى الذى يتم فيه الإدلاء . وشكل الإدلاء يتوقف على ما نملكه من ألفاظ وعلى ما نستهدفه من الحديث .

وكلما مضت هذه العملية المعقدة فى طريقها ، متقدمة من الإدراك المبدئى إلى الإدلاء الختامى ، تحدث كثرة من التحورات العجيبة بانصهار الانطباعات الحسية الأصلية مع الذكريات الماضية والانفعالات فى سبيكة واحدة . فالنسيان الانتقائى واللوى الذاتى يغيران بالضرورة كل قيم أحداث العالم الخارجى تقريباً .

وهذا الموضوع قد تناوله فى صورة جد مكتملة بارتلت Bartelett (١٩٣٢) ، بوسائل تجريبية متعددة أتاحت له أن يمعن فى الاقتراب من الظواهر الأساسية للإشاعة . فهذا الباحث يدلل بوسائل متعددة على الطابع الإبداعى أو البنائى للذاكرة . فما من ذكرى ، كما يدلل ، تبقى وكأنها مجرد أثر ، كصورة مثبتة على فيلم حساس ، يمكن « طبعها » عند الحاجة . فعلى الضد من ذلك تأخذ الذكريات

فى التغير مباشرة بعد الإدراك . وفى الحق إن الإدراك الأصلى ذاته ليس بحال مجرد تجميع للعناصر المكونة الحسية ، وذلك لأن هذا الإدراك ينصهر دائماً منذ البداية مع التجارب الماضية الملائمة . وتلعب العادات والانفعالات والمتعارفات الثقافية دورها . ولكن الدور الحاسم إنما تضطلع به « الاتجاهات » و « التوقعات » ؛ فهما اللذان يجعلان من التذكر عملية عقلية « بنائية » أكثر منها مجرد عملية « نسخية » .

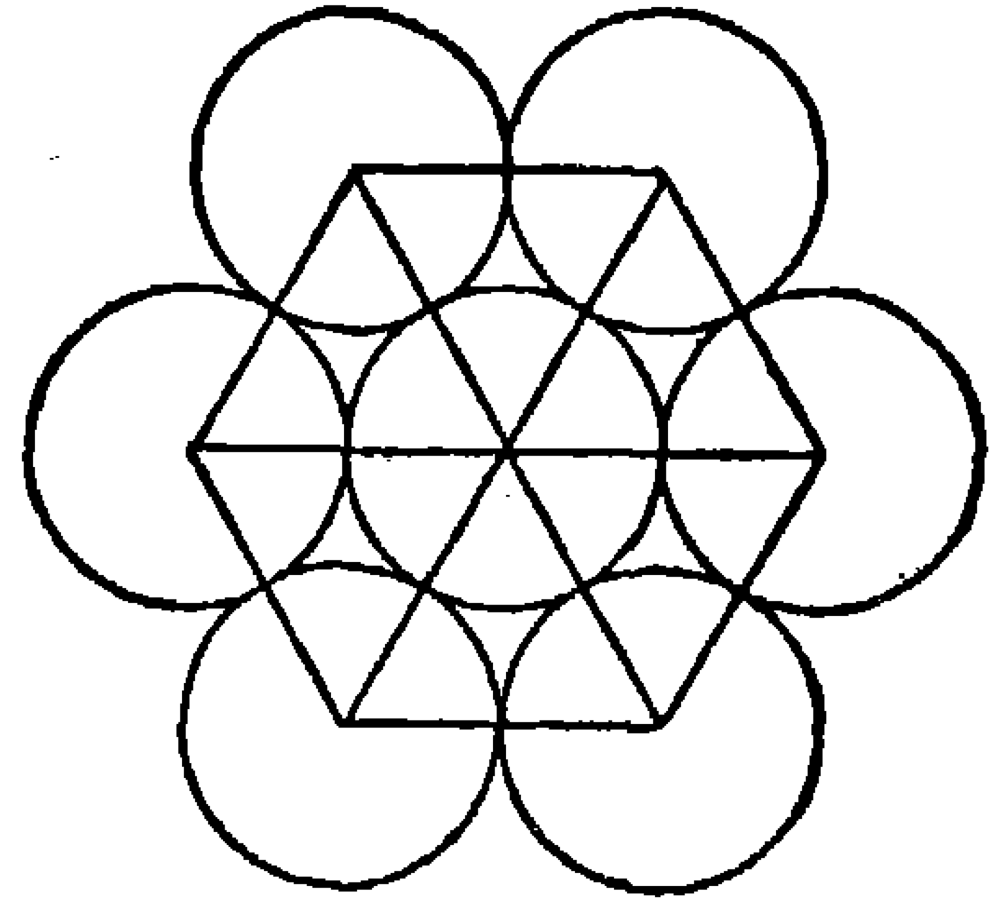
والتصور المركزى عند بارتلت هو تصور « السعى وراء معنى » (وهو تصور سبق لنا استخدامه فى الفصول السابقة) . فهو يقول : « إنه لمن اللائق أن نصف أية استجابة معرفية بشرية — من إدراك وتصور وتفكير واستدلال — على أنها سعى وراء معنى » (انظر بارتلت ١٩٣٢ ص ٤٤) . وبارتلت يلفت النظر هنا إلى ميل العقل إلى أن يعيد تشكيل جميع التجارب تبعاً لفئات واضحة ، ذات مغزى ، ومفيدة . وإذا كانت هذه الفئات فى بعض الحالات وهمية ولا أساس لها فليس لذلك أية أهمية . فالذكريات ينبغى أن تلتئم ضمن « النهج » الذى بمقتضاه تنتظم حياة الشخص . ومهما بدت الذكرى زائفة من وجهة نظر « خارجية » ، فإنها على الدوام نتاج سعى الشخص ليستخلص معنى بطريقة اقتصادية من تجاربه .

ولقد أجريت معظم تجارب بارتلت على حالات فردية فى المعمل السيكولوجى بكمبردج . كانت تعرض على الشخص صورة ، أو تقدم إليه قصة يقرؤها . وكان يطلب إلى الأشخاص بعد فترات زمنية مختلفة أن يرددوا بأقصى دقة ممكنة ما رأوه أو سمعوه . وفى بعض الحالات كانت تطلب منهم الذكريات بعد العرض بدقائق قليلة ، وفى حالات أخرى بعد العرض بعدة أشهر ، بل وأحياناً بعد العرض بسنوات .

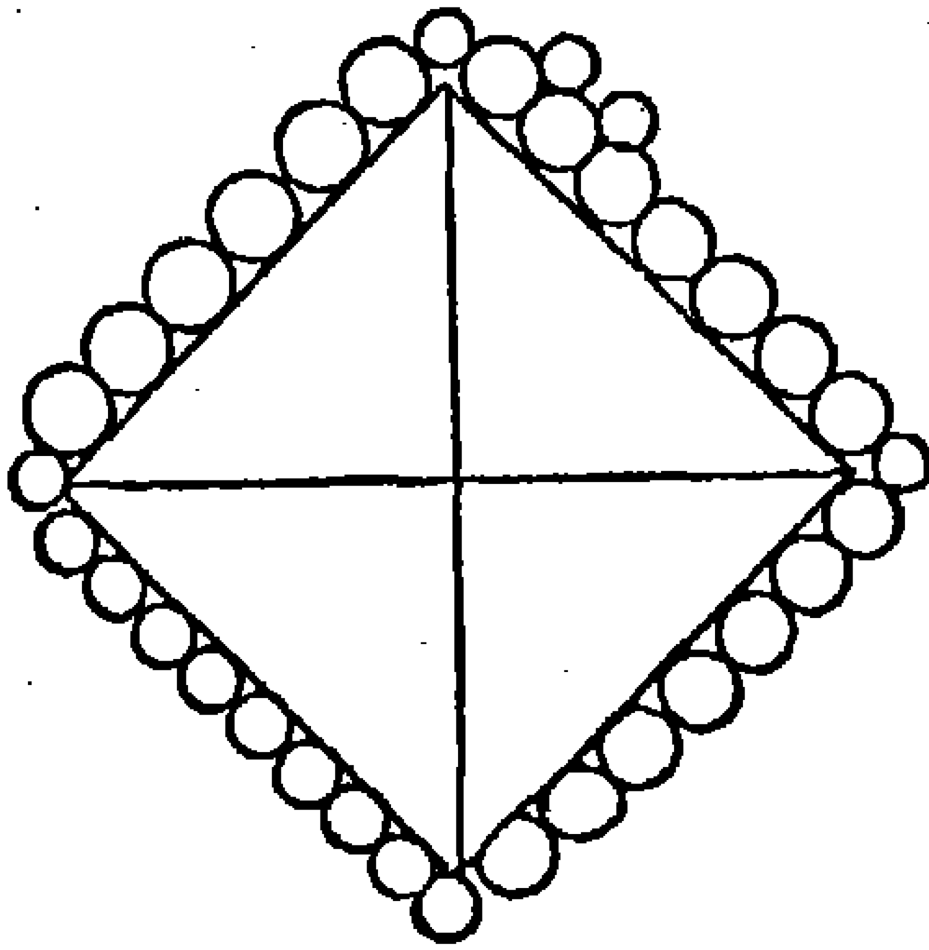
ولقد وجد بارتلت فى جميع الحالات صوراً مسرفة من الحذف فى المادة . كانت التفصيلات تهبط بدرجة ملحوظة . وكان هناك ميل واضح من جانب الصور والقصص إلى أن تنجذب فى الذاكرة إلى ما هو مألوف عند الشخص فى حياته الخاصة ، وإلى ما هو مساير لثقافته الخاصة ، وقبل هذا كله إلى ماله دلالة انفعالية خاصة بالنسبة إليه . وفى سعيهم وراء معنى ، يعمد الأفراد إلى التكثيف

أو إلى الحشو بحيث يحققون «جشطلتا» أفضل ، «إغلاقاً» أفضل ، صيغة أبسط وأكثر دلالة .

كذلك وجد بارتلت أن «الإثراء» (بمعنى الزيادة فى العناصر) كان نادراً نسبيًّا . وعلى وجه الجملة فإن الناس «يهيكلون» ذكرياتهم أكثر مما يثرونها . ويصدق نفس الميل ، كما سنرى ، على الإشاعات . فنادراً ما يصيبها الإثراء ، والأغلب الأعم أن تكون صوراً مسرفة التبسيط بالقياس إلى الحادثة الأصلية . وثمة استثناء يحدث ، عندما تعانى قَسَمةٌ واحدةٌ الإبرازَ الشديد ، مما يؤدى إلى إثراء هذه القسمة على حساب الأخريات اللائى يملن إلى التلاشى . ويقدم بارتلت — كمثال — رسم شكل هندسى يشتمل على سبع دوائر .



المثير



الاستعادة

شكل (٣) الدوائر تلقى الإبراز على حساب القسمات الأخرى

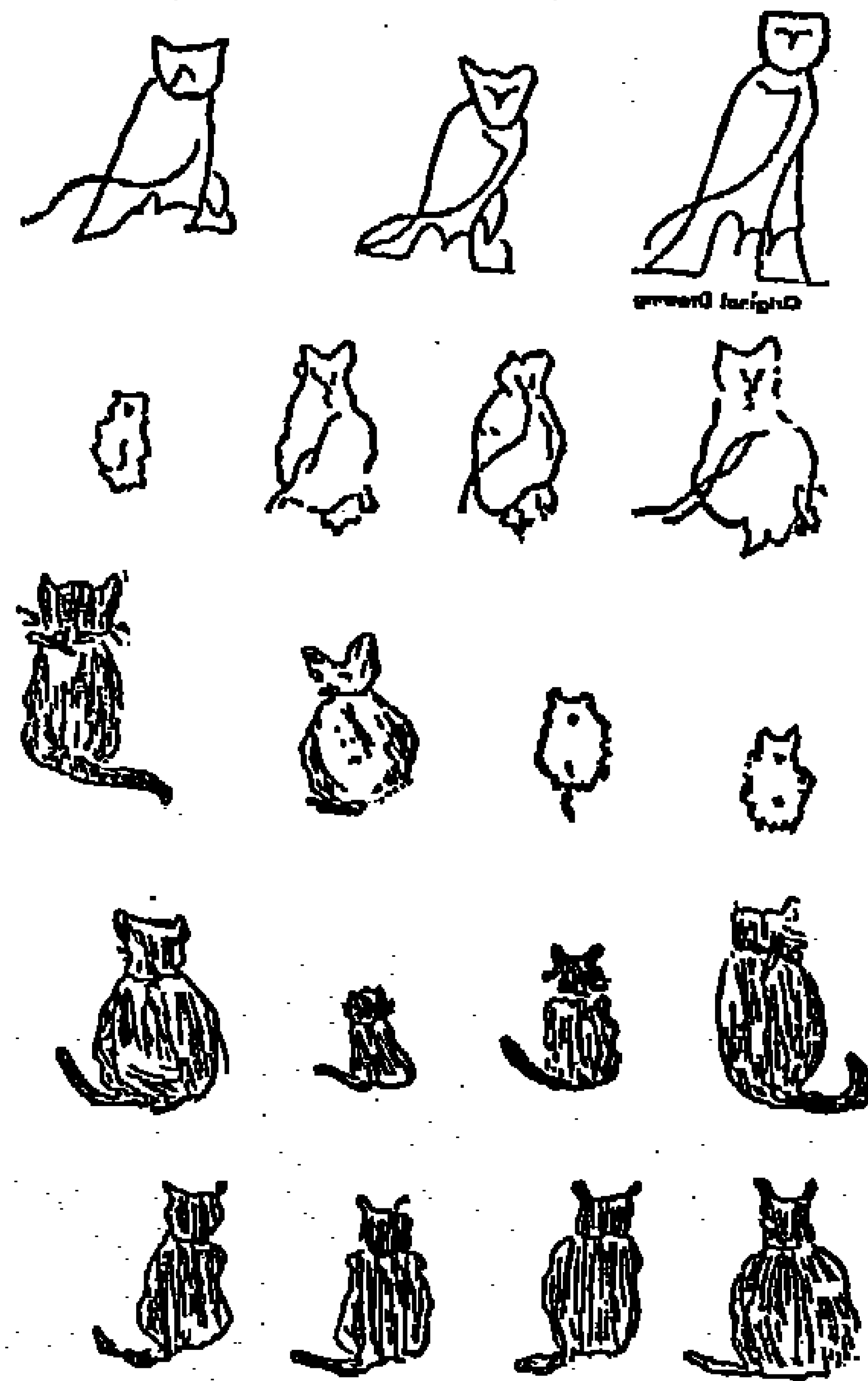
إن الاستعادة فى شكل (٣) تضعف من أهمية قسمات «الزوايا» وتثرى «الدوائر» . ولقد كان الشخص الذى اضطلع باستعادة الشكل من الذاكرة راضياً عن محاولته إلى درجة كبيرة ، ولكنه أشار قائلا : «لابد وأن تكون فى الشكل دوائر أكثر» .

وفى تجاربه على سرد القصص ، اقترب بارتلت بدرجة أعظم من مشكلة الإشاعة . وحتى فى الحالة التى يضطلع فيها نفس الشخص بإعادة سرد نفس القصة ، بفواصل زمنية من أيام أو أسابيع قلائل ، فقد كان يطرد ضياع التفاصيل من قصته . كانت الصور الختامية للقصة أقصر دائماً من الصورة الأصلية ، بل

وكان يصعب ، إن لم يستحل ، التعرف عليها . وكان الخطأ ينصب بصورة أساسية على الأسماء والتواريخ والأعداد . ولقد تبين ، المرة تلو المرة ، أن تحوير المادة فى الاستعادة إنما يتبع مجرى الاهتمامات الشخصية للفرد ، ذلك المجرى الذى يتحدد فى إدراكه الأول . إنه يستخلص من القصة « الفكرة العامة » التى تتمشى مع نزعاته الخاصة ، وكلما مضى الوقت أمعن فى ملاءمة القصة مع « تصوره القبلى » .

ولقد قام بارتلت بتكرار تجاربه مستخدماً « سلسلة أشخاص » (استعادة سلسلية) بدلا من أفراد . وهو يقترب بذلك اقتراباً لصيقاً من الشروط الخاصة بالإشاعة بمعنى الكلمة ، فيما عدا أن الصيغ المتعاقبة للقصة كانت تكتب وتقرأ بدلا من أن تقال وتسمع . والنتيجة الهامة تنحصر فى أن كل أشكال التغير تحدث هنا على نحو ما نجدها فى اضمحلال الذاكرة الفردية ، وإن يكن بدرجة أضخم وأسرع . وأما القيود الضابطة التى يحتمل أن تمسك بالفرد داخل حدود معينة (لأنه على أية حال قد رأى الشيء الأصلى)،هذه القيود لا تتدخل فى النقل السلسلى .

وفى شكل (٤) المأخوذ عن بارتلت نجد مثلا من النقل السلسلى لرسم ، وذلك من شخص إلى شخص .



شكل (٤)

كيف تحولت البومة إلى قطة — إشاعة بصرية

فنحن إذ نبدأ من رسم بومة ننتهى إلى رسم قطة . لقد كان كافياً أن يرتكب أحد أعضاء السلسلة غلطة أساسية فى التعرف ؛ فلن تلبث الأخطاء بعد ذلك حتى تتزايد تزايد كرة الجليد تحت تأثير الفكرة الموجهة الجديدة . وفى الاستعادات المتعاقبة التى يضطلع بها نفس الفرد نستطيع –من ناحية أخرى– أن نتوقع فى ثقة فكرةموجهة أصلية تتحدد بالإدراك الأول وتستمر مثابرةحتى النهاية . «فشكل» البومة يمكن أن يتغير ، ولكن «فكرة» البومة تبقى .

الذكرى الفردية فى مقابل «الذكرى الاجتماعية»

إن مجرى الذكرى الفردية ومجرى «الذكرى الاجتماعية» يعدان متوازيين من أغلب الأوجه . فنفس نمط اللوى يوجد فى الحالتين . وليس فى هذا مايبعث على العجب ، من حيث أن الذكرى الاجتماعية إنما هى مسألة عقول فردية متعاقبة تتناول نفس المادة الأساسية .

وهب أننا أثرنا هذا السؤال : «أيهما أكثر دقة ، الذكرى الفردية أم الذكرى الاجتماعية ؟» ستكون الإجابة على وجه الجملة فى صالح الذكرى الفردية . فالإدراك الأصلى يقيد الفرد إلى حد كبير ، ويلزمه بأن تتم تصوراته ضمن حدود معينة . وهو عادة ما يمسك بالقسمات الأساسية للإدراك الأصلى بفضل الصور الذهنية واللافتات اللفظية ، ويحتمل أيضاً أن يضطلع بغير قليل من التلاوة والتسميع فى الفترة الفاصلة ما بين العرض والإدلاء . والذكرى الاجتماعية من ناحية أخرى ليست لها مثل هذه المراسى المقيدة . فليس للسامع الجديد من صورة متبقية يستطيع أن يرجع إليها فى تحقيق تصوره ؛ ومهما كانت نظرته إلى بعض التفصيلات بحسبانها غير معقولة ، فليس له إلا القليل من حرية الاختيار فى تقبلها على نحوما ما تبدو عليه .

ومع ذلك فمن الممكن أن تكون الذكرى الفردية «أقل» دقة ، وذلك عندما يخطئ الشخص فى الإدراك ، ويستمر فى «تسميع» و «تعزيز» خطئه . ومثل هذا اللوى إنما هو خطير بصفة خاصة متى كانت الأخطاء مسايرة لاهتمامات الفرد البارزة ، أو عاداته الماضية ، أو أحكامه القبلية . وليس من شك فى احتمال وجود

نفس الخطر فى الذكرى الاجتماعية ، وخاصة عندما تكون الجماعة متجانسة ، تتشاطر نفس النزعات ونفس التصورات القبلية . ومع ذلك ، فغالباً ما يحدث أن القصة ، بانتقالها من فرد إلى فرد ، يحال بينها وبين أن تتشكل فى دقة وفق اهتمامات الفرد ، ومن الممكن أن يكون النتاج الأخير أكثر دقة فى الواقع .

ومما يميز الذكريات الاجتماعية أنها عادة ما تصبح شديدة « المسايرة للعرف » . فحيث أن عديداً من الأفراد يدخل فى العملية فإن المعنى الذى ينبثق يغلب عليه أن يكون « الشائع » فى الجماعة المعنية . فالخصائص الفردية للواحد عرضة لأن تنمحى بفعل الخصائص الفردية للشخص التالى ، وهكذا تنحت القصة مستحيلة إلى لب متاحاً لفهم الجميع . وعليه فالإشاعات عادة ما تكون أكثر « تقنيناً » ، وأكثر مسايرة للثقافة ، وتشتمل على قدر أعظم من « القاسم المشترك » بالقياس إلى الذكريات الفردية . ولنفس السبب فإنها تتسم على الأرجح بلون أخلاقى مميز للثقافة .

الفصل الرابع

منهج تجريبى

يفضل علماء النفس ، كغيرهم من رجال العلم ، عند بحثهم لمشكلة أن يضطلعوا بذلك ، ما أمكن ، تحت شروط التجريب المضبوطة المقيدة ، فإنهم يريدون الكشف عن التغيرات الأساسية التى تنتج حين تكون بعض العوامل المؤثرة المعروفة لديهم فعالة . وهم يريدون ما أمكن تبديل هذه العوامل بطريقة منهجية ، كيما يكشفوا عن الأثر الذى يتمخض عنه كل عامل من هذه العوامل ، ومدى إسهامه فى الظاهرة موضوع البحث . ولكن الكثير من الظواهر العقلية تمتنع على المنهج التجريبى. فكيف لنا مثلا أن نضطلع بالتجريب المنهجى على ظواهر مألوفة من قبيل « الوقوع فى الحب » ، والخبرة الصوفية الحية ، وهزة من يتلقى وصية لم يكن يتوقعها ، أو على الأسى ، أو على النكد المنبعث عن الحماة ؟

وما طبيعة الموقف بالنسبة إلى الإشاعة ؟ إن التجريبى ليتمنى أن يزرع إشاعة وأن يقتفى كل حلقة من الحلقات فى سلسلة انتقالها ، مما يتيح له ليس فحسب أن يكشف عن صورة صورة من الصور المتعاقبة المختلفة للأقصوصة ، وإنما أيضاً أن يحلل حتى الثمالة أجهزة الاهتمامات والسياقات العقلية عند كل عميل من عملاء الإشاعة . وعلى الرغم من سهولة الخطوة الأولى —ونعنى زرع الإشاعات فى التربة الاجتماعية المحيطة بنا — إلا أنه سرعان ما يستحيل علينا أن نتتبع السلسلة حلقة حلقة . وخير ما نستطيع أن نعمل هو أن نلتقط بعض الصور المتأخرة العشوائية للإشاعة التى أطلقناها وهى تسبح فى طوفانها عائدة إلينا .

وفى خلال الفترة المتأزمة فى انتظار استسلام اليابان ، وحين كانت الظروف أحسن ما يمكن تهيؤاً لانتشار الإشاعة ، قام بعض العابثين فى واشنطون بتجربة غير كاملة من هذا القبيل. وإليك القصة كما يرويها جون متكالف J.C. Metcalfe فى النيويورك هرالد تربيون (١٨ أغسطس ١٩٤٥) :

إشاعة مز روعة عن عمد

« لعل أكثر الإشاعات الوهمية زيفاً إبان « فترة احتضار اليابان » تلك التى ولدت فى أقصوصة مزروعة عن عمد ، لفقها اثنان من المراسلين فى واشنطون ، والتى ارتدت عائدة خلال ست ساعات بضجيج هائل من جانب البحرية فى سان دييجو .

اختلقت هذه الإشاعة الزائفة قبل الاستسلام الرسمى لليابان بليلتين ، وذلك فى أحد مقاهى واشنطون وعند منتصف الليل . كانت الإشاعة تستند إلى النظرية الهتلرية الذاهبة إلى أنه « كلما كبرت الأكذوبة زاد عدد المصدقين لها » .

ولقد قال أحد هذين المراسلين فيما بعد : « إننا لمجرد رغبتنا فى أن نتسلى باختبار مدى صدق هذه النظرية الهتلرية اختلقنا أقصوصة هى من غرابة الوهم إلى الحد الذى انذهلت له أخيلتنا نفسها . » .

تقول الأقصوصة إن الإمبراطور هيروهيتو ، فى حراسة سرب من طائرات الكاميكاز اليابانية الانتحارية المجهزة بنيران قوية ، قد طار إلى جوام ليلتقى فى موعد محدد مع قائد الجيش دوجلاس ماك أرثر ، القائد الأعلى لقوات الحلفاء فى المحيط الهادى والشرق الأقصى ، ومع أميرال البحرية تشستر نيمتز Nimitz . وتمضى القصة قائلة إن هذين القائدين الأمريكيين ومعهما الإمبراطور قد استقلوا بعد ذلك طائرة أمريكية هائلة يحرسها سرب قوى من قاذفات القنابل فى طريقهم إلى واشنطون . وكانت ذروة هذه الأقصوصة الملفقة أن الإمبراطور إنما كان قادماً ليوقع شروط التسليم فى حضور الرئيس ترومان ومجلس الوزراء ، والقائدين العسكريين .

ولغرس هذه الإشاعة الكاذبة بصورة ترتجى منها نتيجة كاسحة ، اضطلع أحد المراسلين بإبلاغها تليفونياً إلى أحد ضباط الأسطول ممن كان يثق المراسل تمام الثقة فى أنه سيضطلع بنشرها . ورجع المراسلان بعد ذلك إلى مسكنيهما لقضاء الليل فى انتظار الصدى المتوقع .

ولم يتأخر وصول الاستجابة ، ولقد عجب المراسلان نفسهما مما حدث . فبعد مضى ست ساعات اتصلت مراسلة تعمل فى مؤسسة أخرى للنشر بأحد المراسلين المدبرين للإشاعة وأسرت إليه ، وهى فى حالة من الانزعاج الشديد ،

بأنها تلقت للتو مكالمة من زوجها ، وهو ضابط بحرى يعسكر فى سان دييجو ، ومؤداها . . . ومضت لاهثة تسرد التفاصيل الكاملة للقصة المختلقة .

أما إلى أية مجالات بعيدة وصلت هذه القصة المثيرة فذلك ما نتركه للشطحات التأملية فى ضوء قصة التسليم الرسمى . ولكن الإشاعة الزائفة قد رقصت مرحة لفترة وجيزة حول البيت الأبيض .

وبعض الأقاصيص الأخرى انطوت على الزعم بأن الإمبراطور هيروهيتو قد طار إلى موسكو ليوقع شروط التسليم فى الكرملن ، أو على الزعم بأن اليابانيين قد اكتشفوا سر القنبلة الذرية ، وأنهم كانوا يكسبون الوقت استعداداً لاستخدام هذه القنبلة فى هجوم هائل مفاجئ على الأسطول الأمريكى ، أو على الزعم بأن الإمبراطور قد وصل إلى سان فرنسسكو ، وأنه سيذيع خطاباً على الشعب الأمريكى ، أو على الزعم بأن الأميرال نيمتز وبعض كبار ضباط البحرية كانوا يناقشون شروط التسليم مع اليابانيين فى مكان اجتماع سرى بالقرب من طوكيو .

وانضافت أعداد كبيرة من الإشاعات الزائفة تتعلق بتسليم رسائل فى واشنطون ، وبرن ، وطوكيو ، أو تتعلق باجتماعات أمريكية – يابانية سرية فى جوام ، أو أوكيناوا ، أو مانيلا ، أو بيرل هاربور . وتتوجت هذه الإشاعات كلها بالاعتقاد الكاذب فى خبر التسليم الزائف الذى أبرقت به اليونايتدبرس ، هذا الخبر الذى قال المسئولون عنه « إنه من تلفيق أحد العابثين الذين ما يزال البحث جارياً للكشف عن شخصيته من جانب « المكتب الفيدرالى للمباحث » وعدد من وحدات البوليس السرى الحكومية والأهلية » .

وإذا ما تقبلنا هذه الرواية على ما هى عليه ، فإننا نلحظ أولا السرعة التى تنتشر بها الإشاعة ، وخاصة فى أوقات التوقع العصيبة . كما نلاحظ بصفة خاصة ظاهرة « مركز التطلع » ، أو « جذب الهدف » – بمعنى أنه كلما بدا تحقق الأمل أقرب ، ازدادت خصوبة التربة لإشاعات التوقع (انظر إشاعات مركز التطلع فصل ٢) . وكذلك نلاحظ هنا الخصوبة المدهشة فى عدد الإشاعات عندما يصل الغموض وتصل الأهمية إلى الذروة .

والعابث الذى زرع هذه الأقصوصة قد قام فعلا بإجراء تجربة (تجربة ناقصة وغير مضبوطة) على الإشاعة . ولكن النتائج لا تكشف لنا شيئاً عن الحلقات المتتابعة فى السلسلة ، ولا عن الأشكال النوعية للوى التى تعرضت لها الأقصوصة الأصلية . وربما استطعنا أن نتفوق على تكنيك هذا العابث إذا نحن تحولنا إلى المعمل السيكولوجى .

المنهج المعملى

يستمد المنهج المعملى فى دراسة الإشاعة أصوله من الأبحاث التجريبية على الذاكرة والشهادة ، تلك التى سبق أن عرضنا لها فى الفصل السابق، وتنحصر العملية الأساسية لهذه التجارب فى وضع الشخص فى مواجهة موقف — مثير مقنن نستطيع أن نقارن بالنسبة إليه استعاداته اللاحقة . كما نسجل مجرى التحورات فى إدلاءاته المتعاقبة . ويمكن تنويع هذه العملية الأساسية على أنحاء لا حصر لها ، وقد قدمنا وصفاً لبعضها فى الفصل السابق . ومن زاويتنا الخاصة ، ينحصر أهم أشكال التنوع لتجارب الشهادة فى أن نجعل الإدلاء ينتقل عبر أفراد منفصلين ، مما يعرف «بطريقة الاستعادة السلسلية» . وبهذه الطريقة نستطيع الكشف عن العامل الاجتماعى فى انتقال الإشاعة .

ونحن نسلم بأن عملية الضبط المعملى إنما تتم فحسب فى حالة التبسيط المسرف . فنحن بإكراهنا الاستعادة السلسلية على وضع مصطنع إنما نضحى بالتلقائية والطبيعية التى لموقف الإشاعة . وبدلا من الدوافع العميقة التى تدعم عادة انتشار الإشاعة ، فإننا نجد أن سير الإشاعة المعملية يعتمد على استعداد الشخص للتعاون مع المجرب . وفى الموقف التجريبى لا تترجم العدائية ومشاعر الخوف وإرضاء الذات إلا ضمن نطاق ضيق . كذلك لا يتوفر تأثير الصداقة الشخصية ما بين الراوى والسامع (وهى العلاقة المميزة فى العادة لانتشار الإشاعة) . وفى خارج المعمل يميل الراوى عادة إلى أن يضيف لوناً (شجناً أو فكاهة أو إثارة) إلى قصته بما يلائم حاجة السامع . فى المعمل يفرض الإطار على الإدلاء الحذر والدقة المتعمدة . فالراوى إذ يشعر بأن اتسامه بالدقة يتهدده الضياع يبذل قصارى جهده

كميا ينقل فى إدلائه كل ما سمعه بالضبط . وعندما يستخدم الطلبة فى التجارب ، فإن « الجو المدرسى » بما ينطوى عليه من اهتمام بدقة الملاحظة وصدق الإدلاء ، إنما يميل بدرجة أعظم إلى أن يجعل الأقاصيص المتعاقبة أشد بعداً عن « اللون » وعن الطابع الشخصى بالقياس إلى ما تكون عليه الإشاعات الواقعية فى العادة .

وهنالك فروق أخرى ما بين إشاعات الحياة الواقعية والإشاعات التى ندرسها فى المعمل . ففى الحياة العادية يستطيع السامع أن « يدردش » مع الراوى ، بل وأن يستجوبه إذا شاء (وإن كان من النادر فى الواقع أن يفعل ذلك) ، بينما يحرم السامع — فى حالة التجارب — من هذه الفرصة المحتملة . وفى المواقف الواقعية قد تنقضى فترة أيام أو أسابيع أو أشهر ما بين سماع الإشاعة وترديدها ، بينما — فى المعمل — يطلب الإدلاء بصورة مباشرة فى العادة . هذا ، والمجرب كيما يضمن توحيد الظروف فى التجربة عادة ما يعطى تعليماته إلى السامعين بأن يكون الإدلاء بأقصى دقة ممكنة . أما فى الانتشار العادى للإشاعة فلا يقف بالمرصاد فاحص ناقد ليرى ما إن كانت القصة تتكرر فى دقة . وأهم من هذا كله ، كما أشرنا من قبل ، أن الدوافع الشارطة إنما هى جد مختلفة . ففى التجربة يناضل الشخص فى سبيل الدقة . ومخاوفه الذاتية وكراهياته وآماله لا تستثار . إنه ليس بالعميل التلقائى للإشاعة الذى يكونه فى الحياة العادية .

وينبغى أن نلاحظ أن جميع هذه الشروط الفارقة تقريباً من شأنها أن تعمل على الزيادة من دقة الإدلاء فى الموقف التجريبى ، وأن تتمخض عن قدر جد ضئيل من اللوى والإسقاط بالقياس إلى إشاعات الحياة الواقعية . ومع ذلك فعلى الرغم من جميع هذه النقائص والقيود ، فإن التجارب المعملية تنجح بدرجة كافية فى إبراز جميع الظواهر الأساسية لانتشار الإشاعة . فإشاعات « داخل البيت » (المعملية) قد لا تكون من الحيوية ، ومن التلوين الانفعالى ، ومن التطرف بقدر فاعلية إشاعات « خارج البيت » (الحياة الواقعية) ، ولكن هذه وتلك تنتسب إلى نفس النسيج السيكولوجى .

طريقة التقنين

من بين فصل مدرسى ، أو جمهور من المستمعين ، ينتقى جماعة من الأشخاص — ستة أو سبعة فى العادة — (وعادة ما يكونون متطوعين) . يطلب إليهم أن يتركوا القاعة . وهم فى العادة لا يعلمون أن التجربة تتعلق بالإشاعة ، وإن لم يكن هنالك من ضرر لو قام عندهم مثل هذا الظن ؛ ذلك أن الدراسات تكشف عن أن حالات اللوى التى تحدث لا تتأثر إلا تأثراً ضئيلا بمثل هذا الظن . (انظر كيركباتريك ١٩٣٢) . نذكر لهم فحسب بأن عليهم أن يصغوا جيداً إلى ما يسمعون عندما يعودون إلى القاعة ، وأن يكرروا ما سمعوه « بأقصى دقة ممكنة » .

وبعدما يغادر الأشخاص القاعة ، تعرض على الشاشة صورة لمنظر يشتمل على كثير من التفاصيل ، ويتم اختيار واحد من الحضور يكلف بمهمة وصف المنظر (وهو متطلع إليه على الشاشة) وذلك للشخص الأول من المنتقين . ويطلب إليه أن يضمن وصفه عشرين عنصراً على وجه التقريب[1] .

وبعد الوصف الأول للصورة ، يستدعى إلى القاعة واحد من أفراد الجماعة المنتقاة ، ويوضع فى مكان لا يستطيع منه أن يرى المنظر على الشاشة ، وإن كان جميع الأشخاص الآخرين فى القاعة يرون المنظر. (إذا لم يكن هنالك ساتر معمارى بجوار الباب الذى يدخل منه الشخص بحيث يحجب منظر الشاشة ، فينبغى وضع ساتر متحرك فى مكان مناسب قبل بدء التجربة .)

يستمع الشخص الأول إلى وصف « شاهد العيان » ، ذلك الوصف الذى يقدمه العضو الذى تم اختياره من بين الحضور ، أو يقدمه المجرب .

---

(١) هنالك طريقة أخرى بديلة تفيد فى أغراض تجريبية معينة . فقد يضطلع المجرب نفسه بقراءة « وصف مقنن » للمنظر . وبهذه الطريقة يتم تأويل الموقف المثير بطريقة ثابتة فى بداية كل تجربة ، بينما يختلف الوصف الأول اختلافاً كبيراً من شخص إلى شخص من الحاضرين فى الحالة الأخرى .

ويبدو أن ليس ثمة فارق كبير بين استخدام هذه الطريقة أو تلك ، ما دامت الصورة على أية حال تستخدم كمعيار للمقارنة . ونحن حين نتيح للوصف اللفظى الأول أن يتباين فيمكننا أن نحتسبه « استعادة أولى » ، ونستدل منه على مدى ما يتسم به الإدراك من انتقائية وعدم دقة حتى حين يضطلع بالإدلاء شاهد يتطلع فى نفس الوقت « رأساً » إلى المنظر .

ثم نحضر إلى القاعة الشخص الثانى ، فيأخذ مكانه بجوار الشخص الأول ، بحيث يبقيان عاجزين عن رؤية الشاشة . وعندئذ يبدأ الشخص الأول فيسرد بأقصى دقة ممكنة ما سمعه فى وصف المنظر (الذى لا يزال مرئيًّا من الحاضرين) ثم يأخذ الشخص الأول مكاناً يستطيع منه أن يتابع سير التجربة .

ثم يحضر الشخص الثالث ليأخذ مكانه بجوار الشخص الثانى فيستمع إلى إدلائه . وتمضى العملية بنفس الطريقة حتى يكرر الشخص الأخير الوصف الذى سمعه وحتى يأخذ مكانه (وعادة ما يتم ذلك وسط ضحكات الحاضرين) ليقارن ما بين الصيغة التى قدمها والمنظر الأصلى .



شكل (٥) منظر معركة استخدم فى تجارب الإشاعة

وتمثل الأشكال ٥ و ٦ و ٧ و٨ المثيرات الرئيسية التى استخدمت فى تجاربنا . وليس هنالك ما يمنع من استخدام مادة أخرى (مثل شكل ٢ فصل ٣) تتمخض أيضاً عن نتائج قيمة ، شريطة أن تكون الصورة ثرية فى التفصيلات ، وتتضمن موضوعاً مركزيًّا يمكن بالرجوع إليه قياس اتجاه اللوى وقدره . ونحن نقدم مع كل شكل من هذه الأشكال مجموعة من الإدلاءات الختامية تمثل تسجيلا دقيقاً

لإدلاءات الأشخاص الأواخر عما تشتمل عليه الصورة فى تجارب مختلفة . وبمقارنة هذه الإدلاءات الختامية بالصورة الأصلية نتبين إلى أى حد يمكن أن يصل اللوى ونسيان التفاصيل ، وذلك حتى فى المسار القصير لستة أو سبعة انتقالات لكلمات منطوقة .

الإدلاءات الختامية (شكل ٥)

كنيسة تلتهمها النيران . يوجد صليب . لست أذكر الجزء الذى يلى ذلك . يوجد برج كنيسة وأربعة زنوج يعملون . فى الكنيسة ساعة . إنها تشير إلى الثانية وعشر دقائق .

* * *

يخيل إلى أن الصورة لمنظر حرب بطائرات تحلق فوق الرءوس . فى الوسط بيت بعضه مهدم . فى أحد الجوانب زنجى يحمل بندقية وأشياء أخرى .

* * *

فى إيطاليا . كنيسة مهدمة . قاذفات القنابل تسقط القنابل .

* * *

فى مقدمة الصورة تدور معركة . زنجى عملاق يلقى قنبلة يدوية . هناك مبنى للصليب الأحمر ، ورجل جريح على الأرض . فى الخلف مبنى فيه ساعة تشير إلى الثانية إلا عشر دقائق .

* * *

قنابل . طائرة وصليب أحمر . (هذه التجربة أجريت على أطفال)

* * *

زنجى يلقى بقنبلة يدوية على كنيسة . هنالك طائرات تقاتل . عدد من المنازل المهدمة وعربات إسعاف .

* * *

أرض معركة فرنسية . يبدو وكأن قتالا كان دائراً . نساء يقفن فى المقدمة .

* * *

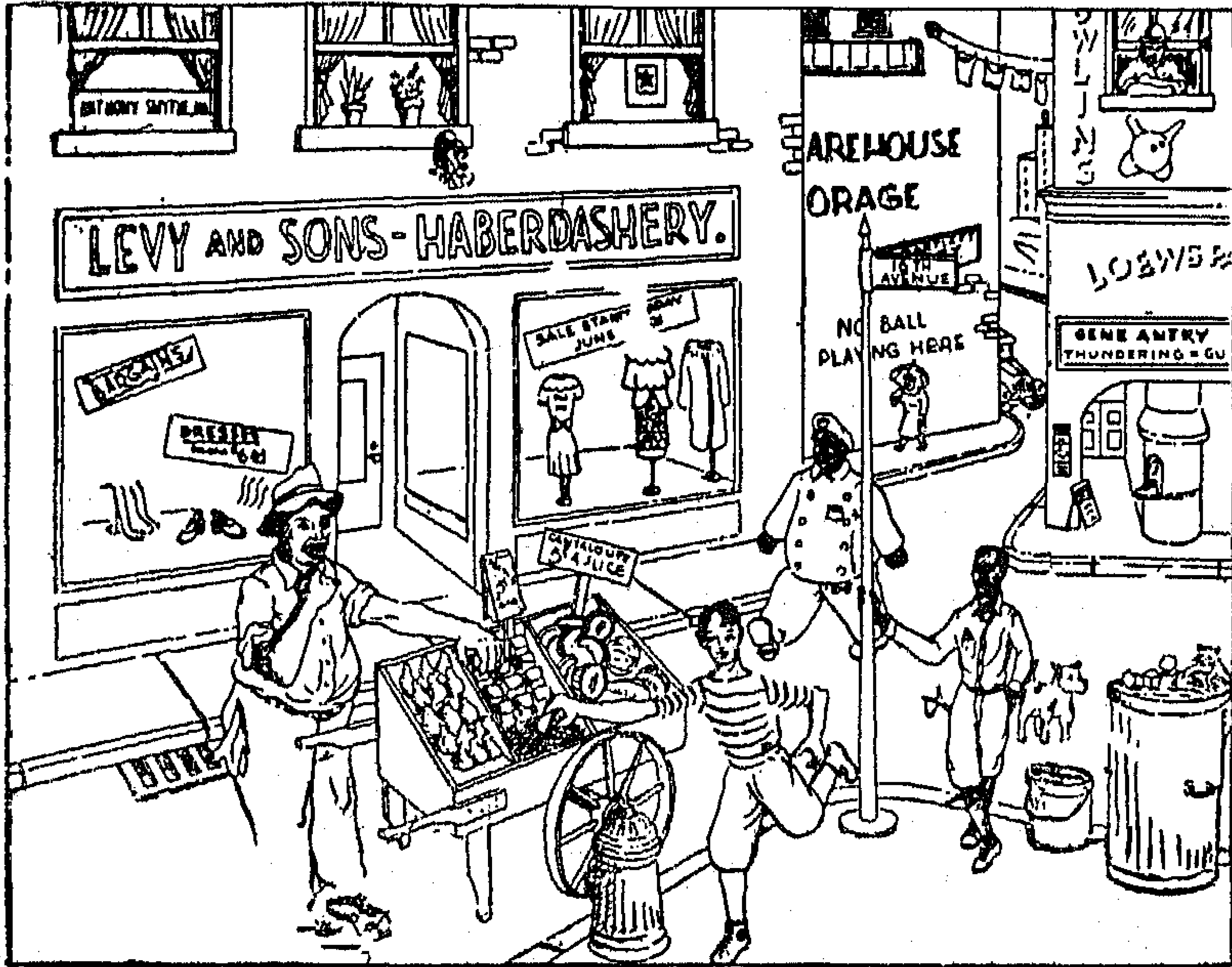
هنالك معركة فى فناء كنيسة . تمثال زنجى . طائرات فوق الرءوس . رجلان جريحان .

* * *

المنظر فى فرنسا ، على بعد ٥٠ ميلا من شربورج وعلى بعد من باريس . وفى هذا المنظر عربة إسعاف وأيضاً جندى زنجى .

الإدلاءات الختامية (شكل ٦)

هذا منظر شارع فى قطاع شعبى من المدينة. اثنان من الصبية ، صبى زنجى وصبى أبيض ، يلعبان الكرة . يوجد رجل شرطة. وعلى الجانب الآخر من الطريق دار سينما تعرض فيلماً لجين أوترى . وفى الدور العلوى صالة لعب . وبقرب صالة



شكل (٦) منظر شارع استخدم فى تجارب الإشاعة

اللعب حائط أبيض عليه لافتة «ممنوع لعب الكرة» . توجد نافذة بثلاثة أصص أزهار ، أحدها يسقط . وفى نافذة أخرى رجل يدخن شيئاً ، ومهما كان هذا الشئ فهو يسقط من فمه .

* * *

منظر شارع . كثير من الشوارع تلتقى معاً . محلات تجارية تحمل لافتات عن سلع مختلفة . هنالك أثواب غير جذابة فى أحد المحال . امرأة بدينة مقبلة فى الشارع . قطة تأكل من صندوق فضلات . هنالك بائع فاكهة يبيع القاوون بسعر خمسة سنتات للواحدة ، والتفاح والفواكه المتنوعة .

* * *

بطة وعربة وكلب وطائرة . (هذه التجربة أجريت على أطفال) .

* * *

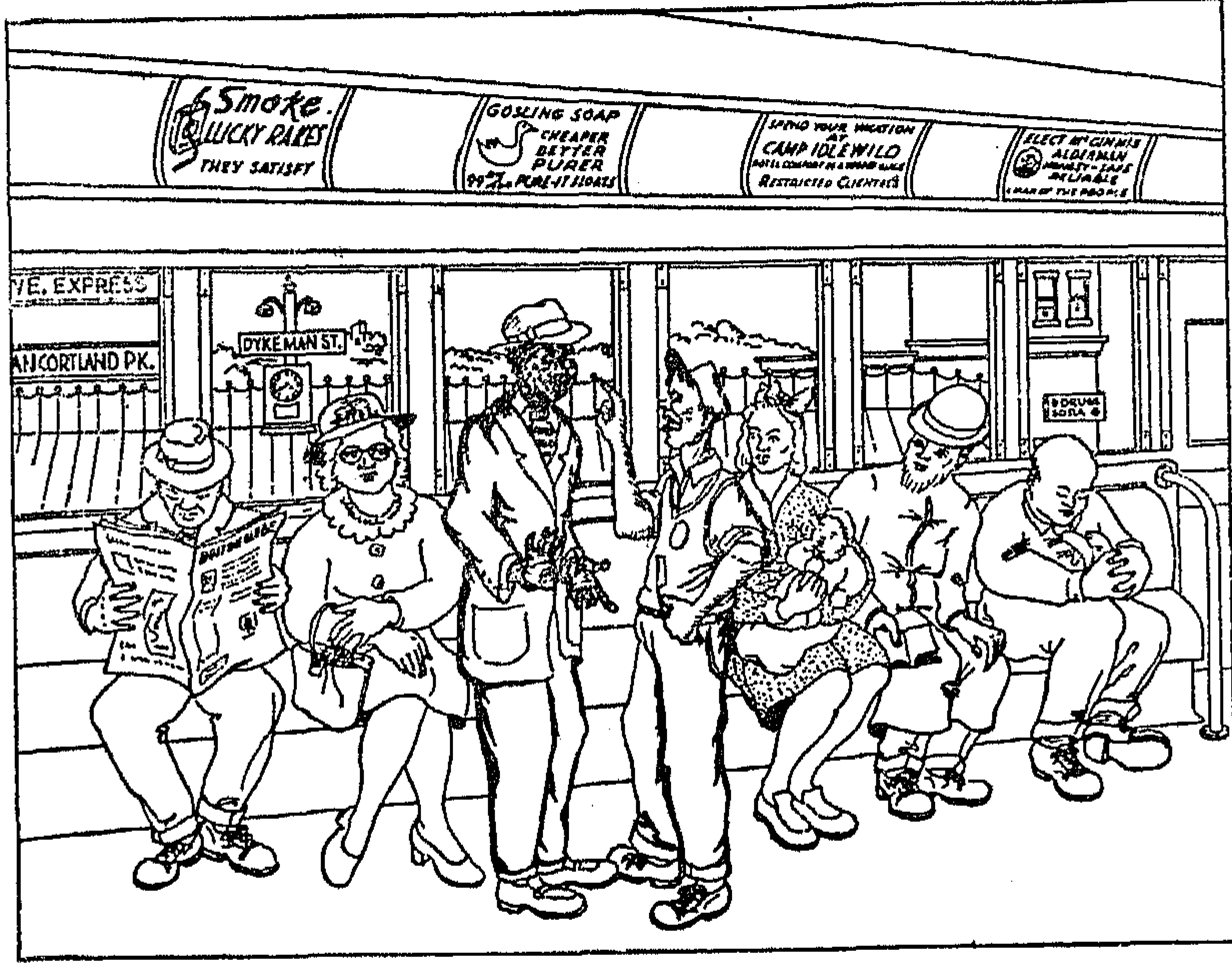
هذا طريق . توجد عربة يد مليئة بالفاكهة وصبى صغير يسرق الفاكهة ، وضابط يعنفه على ذلك ، أو شخص يوبخه على ذلك . وفى الخلف منزل طبيب بلافتة بارزة مكتوب عليها «سميث» .

الإدلاءات الختامية (شكل ٧)

هذا يجرى فى ركن من الطريق . شيء يحدث . هناك زنجى ومعه موسى حلاقة . ورجل ذو لحية . وامرأتان تقرآن الصحف ، ولا تحفلان بما يحدث .

* * *

هذه صورة نمطية لمنظر طريق تحت أرضى . فى الصورة ثلاثة أشخاص واقفين . وللطريق التحت ـ أرضى كل المميزات المألوفة . توجد إعلانات أحدها باسم ماكجينيز للكونجرس . رجل وامرأة جالسان . ورجلان آخران أحدهما زنجى يتناقشان فى الانتخابات القادمة . والزنجى يحرك فى يده موسى حلاقة . وفى



شكل (٧) منظر طريق تحت أرضى استخدم فى تجارب الإشاعة

جانب آخر من العربة تقف امرأة تحمل رضيعاً . فأنت ترى هذا أيضاً فى الطرقات التحت ـــ أرضية .

* * *

منظر فى عربة عامة ، أو فى طريق تحت‌الأرض . يوجد زنجى وعامل يمسك بموسى حلاقة فى يده . والجالسون سيدة نائمة ، ورجل مسن ذو لحية ، وكاهن . توجد لافتات : لافتة عن معسكر ، ولافتة دعاية لانتخاب أحد المرشحين .

* * *

صورة عربة ترولل بسبعة أشخاص . توجد امرأة معها رضيع . ويوجد بعض الزنوج . وأحد الأشخاص يلوح بنصل موسى حلاقة .

* * *

قطار ورجل يدخن . (هذه التجربة أجريت على الأطفال) .

* * *

عربة ترولل بها صبي فظ . وأمامه رجل . وتوجد سيدة . وعلى العربة لوحة تبين الجهة التي تقصد إليها . جبال خارج النافذة .

* * *

منظر فى قطار تحت الأرض . وسبعة أشخاص . اثنان واقفان ، أحدهما زنجي. وسيدة برضيع على ذراعيها . وشخصان يشيران إلى شيء . ولافتتان — صنف من الصابون نقى $\frac{٤٤}{١٠٠}$ ٩٩٪ .

* * *

هذا قطار تحت أرضى فى نيويورك متجه إلى بورتلاند ستريت . توجد امرأة يهودية وزنجي بيده موسى حلاقة . والسيدة تحمل رضيعاً أو كلباً . القطار متجه إلى ديار ستريت ، وما من شيء هام يحدث .

الإدلاءات الختامية (شكل ٨)

هذه « لمة » من الناس . جماعة من الأشخاص مهتمون بحادث . مركز الاهتمام شاب زنجي بملابس ساء وضعها ، حافى القدمين ، ودلائل أخرى تشير إلى أنه تعرض لسوء المعاملة . وعلى مقربة منه ضابط بوليس يحاول فض الموقف . وغير واضح ما إن كان ضابط البوليس قد قبض على الزنجي أو أنه يحاول حمايته . وفى الحلقة الداخلية زنجي آخر يحاول فيما يبدو الابتعاد عن التجمع .

* * *

صورة من الشغب فى ديترويت . يوجد ضابط بوليس يمسك بهراوة . وشخص يحاول انتزاع الهراوة منه .

* * *

زنجي ورجل أبيض خارج مبنى عام . وشخص يجرى مبتعداً . يوجد ما بين سبعين وثمانين شخصاً .

* * *



شكل (٨) منظر شغب استخدم فى تجارب الإشاعة

تجرى أحداث المنظر أثناء الشغب الأجناسى فى ديترويت . يوجد مبنيان فى الخلف . شرطى أميل إلى طويل القامة يقف على رأس زنجى . لست أدرى ما إن كان يحاول مساعدته أم لا .

* * *

الأشخاص : فى هذه التجارب التى تتجاوز الثلاثين والتى نقدم نتائجها فى الفصول التالية ، نلاحظ أن الطريقة التى وصفناها قد استخدمت مع تشكيلة واسعة من الجماعات تتضمن طلبة المرحلة العالية ، وطلاب برامج الجيش للتدريب المتخصص ، وأعضاء مجلس محلى ، والناقهين فى مستشفى للجيش ، وأعضاء مائدة مستديرة من المعلمين ، وموظفين من البوليس فى دورة تدريبية . وبالإضافة إلى هذه المجموعات من الراشدين تم إجراء التجربة على أطفال بمدرسة خاصة من جميع السنوات ما بين السنة الخامسة والسنة التاسعة .

أثر جمهور النظارة : تجدر ملاحظة أن معظم التجارب قد أجريت فى حضور جمع من النظارة كبير نسبياً (ما بين ٢٠ و ٣٠٠ شخص) . وعليه فقد كانت إدلاءات الأشخاص تتم فى حضور زملاء الفصل أو زملاء التدريب ممن يشاطرون الأشخاص اهتمامات اجتماعية أو اقتصادية أو مهنية معينة . لم تكن هناك دلائل تدل على «رهبة المسرح» ، وربما كان ذلك بسبب تجانس الجماعات ، وبسبب ما أدى إليه الاعتماد على المتطوعين من استبعاد للأشخاص المتسمين بالحياء المسرف . ومع ذلك فمن الواضح أنه كان هنالك تأثير اجتماعى معين يعمل عمله . فلقد كانت البروتوكولات النهائية فى حضور جمهور النظارة أميل إلى القصر وأقل دقة فى جملتها بالقياس إلى البروتوكولات التى يدلى بها الأشخاص إلى المجرب وحده .

ولقد كشفت دراسات التأثير الاجتماعى عن أن الأشخاص فى العادة يزداد حذرهم وتحفظهم كلما استشعروا أنفسهم تحت الملاحظة . (أنظر داشيل ١٩٣٥) .

وكيما نلقى الضوء على التأثير الاجتماعى لجمهور النظارة قمنا ببعض تجارب للمقارنة لم يكن فيها من حضور إلا المجرب . وتكشف البروتوكولات — التى أوردنا واحداً منها فى بداية الفصل التالى — عن أن تواجد جمهور من النظارة

يتمخض عن إدلاءات أوجز، نتيجة للتحفظ والحذر . فالقائمون بالإدلاء يميلون إلى التزام جانب الأمان ، فلا يسردون من العناصر إلا ما يثقون بدرجة كافية من صحته . وفى نفس الوقت يميل التشتت والحياء المتسببان عن تواجد جمهور النظارة إلى الإقلال من دقة الإدلاء .

وفى الحق إن ناشرى الإشاعة فى الحياة اليومية نادراً ما يروون حكاياتهم أمام جمهور يقوّم أقوالهم . ولكن حتى لو سلمنا بأننا يمكن أن نتوقع زيادة طفيفة فى الدقة عند عدم تواجد جمهور ، فإن طبيعة ومجرى اللوى فى الإشاعة – وهما مركزا اهتمامنا الحالى – لا يختلفان مع ذلك فى الحالين أى اختلاف يستحق الذكر .

القيمة التعليمية : إن السبب فى إجراء معظم تجاربنا فى حضرة جمهور إنما هو أن هذه التجارب تعد إيضاحات حية مفيدة لسيكولوجية الإشاعة بالنسبة للجمهرة من أى نوع . فهذه التجارب لم تعجز قط عن أن تكشف الملامح الأساسية لعملية الإشاعة . ولقد جاءت هذه التجارب بحيث لا تخيب أمل المحاضر ، لا ولا أمل السامعين له .

وإنه لتكفى تجربة واحدة لا تستغرق أكثر من خمس عشرة دقيقة لتكون مدخلا رائعاً لمحاضرة أو لمناقشة عن الموضوعات المتصلة بالشهادة أو الإشاعة .

الفصل الخامس

نتائج التجارب

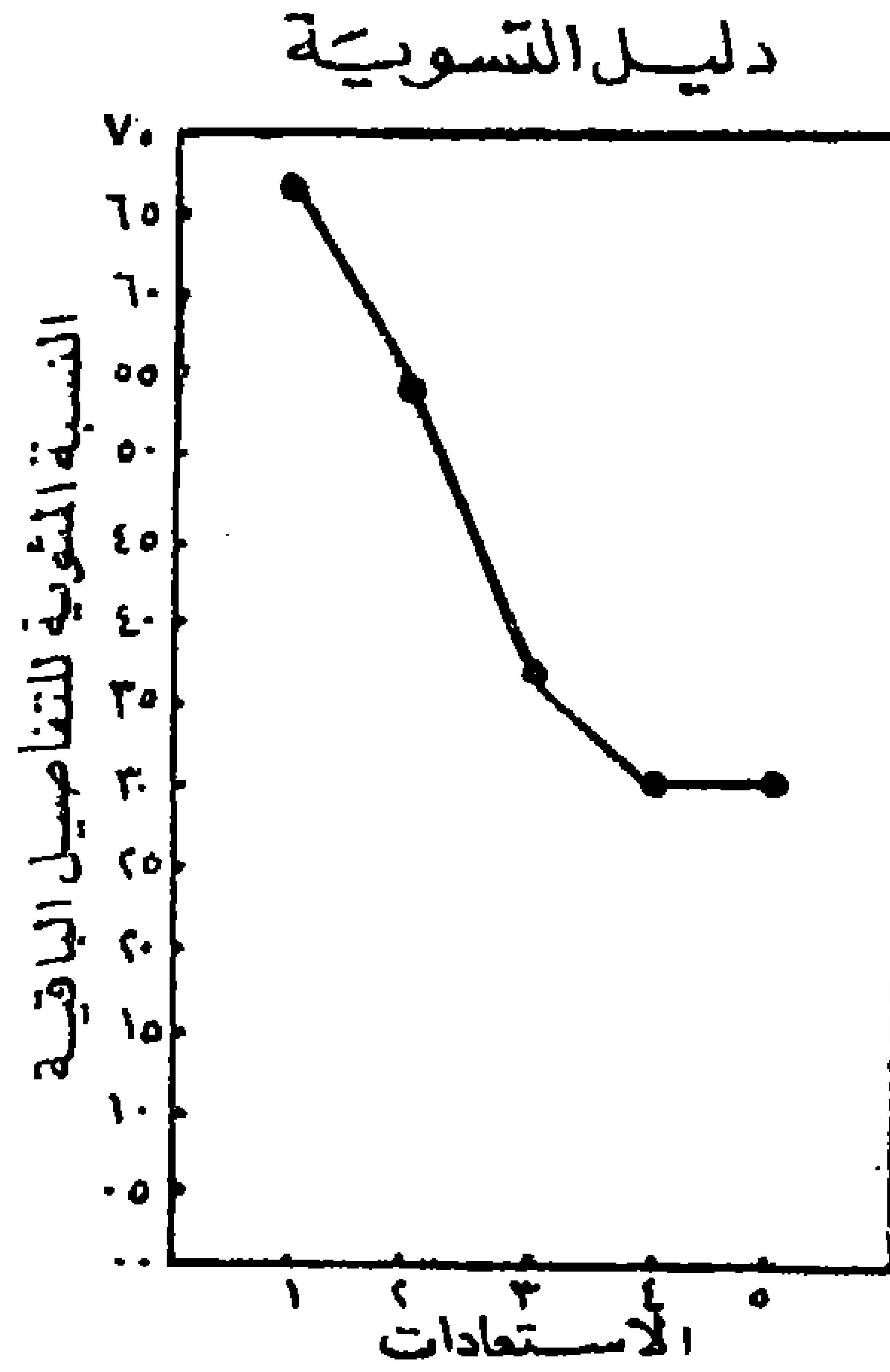
التسوية والإبراز

كلما مضت الإشاعة فى رحلتها مالت إلى أن تصبح أكثر قصراً ، وأكثر إحكاماً ، وأكثر سهولة فى فهمها وروايتها . فكلما تلاحقت صور الإشاعة قل عدد الألفاظ وقل عدد التفاصيل . والإدلاءات الختامية (وهى تمثل الإدلاء السادس أو السابع) التى أوردناها عن الأشكال ٥ و٦ و ٧ و ٨ ، إنما تكشف فى كل حالة كيف أن الأوصاف الأولى ، المشتملة على عشرين عنصراً أو يزيد تتقلص إلى إيجاز مذهل ، إلى نحو خمسة عناصر فى المتوسط .

وينحدر عدد التفاصيل بأقصى شدة فى بداية سلسلة الاستعادات . ثم يطّرد تناقص العدد ولكن ببطء حتى نهاية التجربة . ويوضح لنا شكل (٩) النسبة المئوية للتفاصيل التى ما تزال باقية فى كل استعادة على التوالى .

وهذا المنحى ، المستمد من إحدى عشرة تجربة ، يكشف عن أن ٧٠٪ من التفاصيل تسقط خلال خمسة أو ستة انتقالات من فم إلى فم ، حتى وإن لم تكن هنالك فى الواقع فترة زمنية فاصلة . ومعدل السقوط يتبع اتجاهاً هبوطياً مطرداً ، وإن كان أكبر معدل لسقوط التفاصيل يتم فى الاستعادات الأولى .

والسرعة فى معدل السقوط ، فى معدل التسوية ، لابد وأن ترجع فى الأغلب إلى أن القائمين بالإدلاء فى تعاقبهم ، إذ لم يروا المثير الأصلى ، فليس لديهم منه أى أثر ضابط ليؤخر سرعة السقوط ، وليس لديهم أى متسع من الوقت «للتسميع العقلى» ، مما كان يمكن أن يعينهم على أن يقدموا للسامع التالى وصفاً أكثر اكتمالا . وسرعة التسوية ترجع أيضاً فى جانب منها لما ذكرناه تحت اسم الأثر الاجتماعى لجمهور النظارة الداخل ضمن خطتنا التجريبية . فالقائم بالإدلاء إذ يشعر أنه أمام جماعة من السامعين الناقدين (الذين ينظرون إلى الصورة الأصلية



شكل (٩)

النسبة المئوية للتفصيلات التى أعطيت فى البداية والتى ظلت باقية فى كل استعادة من الاستعادات المتعاقبة

المماثلة طوال الوقت أمامهم) إنما يجد نفسه تحت المحاكمة فى قضية « الدقة » فيحاول أن يتجنب الأخطاء باستبعاد العناصر التى لا يثق منها تمام الثقة .

ويمكن التأكد بسهولة من الأثر الاجتماعى للجمهور بمقارنة البروتوكول التالى (ا) (الذى حصلنا عليه فى حالة تواجد الجمهور) ببروتوكول (ب) (الذى حصلنا عليه من الأشخاص مع عدم تواجد الجمهور) . وكلاهما يستند إلى استخدام شكل (٥) .

بروتوكول (ا)

(مع تواجد جمهور نظارة)

الوصف من الشاشة : يوجد أربعة رجال فى الصورة . واحد واقف وواحد على ركبتيه . وفى الجانب الأيسر كنيسة . وإلى أسفل الكنيسة إشارة طرق ذات اتجاهين .

واحد من الرجال الأربعة زنجي فى وسط الصورة . وإلى الأسفل منه رجل على ركبتيه يمسك ببندقية . وإلى اليمين عربة صليب أحمر . والزنجي يقف على حائط ، وفى يده قنبلة يدوية . وعلى برج الكنيسة ساعة تشير إلى الثانية إلا عشر دقائق . وأيضاً يوجد صليب على برج الكنيسة . وتوجد طائرة إلى أعلى وعن يسار برج الكنيسة . ويوجد زنجي يقف على جدار حجرى . ويوجد رجلان بالقرب من عربة الصليب الأحمر هناك على الجانب الأيمن . ويوجد رجل يسند رأسه على الحائط ، ورجل يحمل منظاراً ينظر من خلاله إلى داخل الكنيسة . وعلى مقربة منه تبدو دانة مدفع .

الاستعادة الأولى : توجد صورة على الشاشة . وفى الصورة أربعة رجال ، أحدهم زنجي يقف على حائط وفى يده قنبلة يدوية . ويوجد رجلان بجوار عربة للصليب الأحمر . وتوجد كنيسة فى الجانب الأيمن من الصورة ، وعلى برج الكنيسة صليب . والساعة تشير إلى الثانية إلا عشر دقائق . وعلى مقربة من الكنيسة توجد شارة طرق وطائرة فى الجو .

الاستعادة الثانية : يوجد أربعة زنوج ، أحدهم فى يده قنبلة يدوية . وإلى اليمين كنيسة فوق برجها صليب . والساعة تشير إلى الثانية إلا عشر دقائق . وتوجد أيضاً شارة طرق .

الاستعادة الثالثة : يوجد أربعة زنوج يعملون . وأحدهم يمسك قنبلة يدوية . ويوجد برج كنيسة عليه صليب . والوقت هو الثانية وعشر دقائق . هنالك أيضاً شارات على جانب الطريق .

الاستعادة الرابعة : يوجد أربعة زنوج يعملون . وأحدهم يحمل قنبلة يدوية . وتوجد كنيسة على برجها صليب . والوقت هو الثانية وعشر دقائق . وتوجد إشارات على طول الطريق .

الاستعادة الخامسة : يوجد أربعة زنوج يعملون . وتوجد كنيسة ببرج وساعة . والوقت هو الثانية وعشر دقائق .

الاستعادة السادسة : يوجد برج كنيسة . ويوجد أربعة زنوج يعملون . وللكنيسة ساعة . والوقت هو الثانية وعشر دقائق .

بروتوكول (ب)

(مع عدم تواجد جمهور نظارة)

الوصف من الشاشة : منظر معركة حربية . فى مقدمة الصورة جماعة من الجنود ، أحدهم ينظر من خلال منظار إلى كنيسة فى مؤخرة الصورة . جندى يطلق بندقيته إلى اليمين . زنجى يلقى قنبلة يدوية وهو واقف فوق الحائط الذى يطلق الجنود من فوقه النار . إنه يشير فى اتجاه قوات العدو التى تجيب بالنيران من وراء الكنيسة . وعلى اليمين فى الخلف عربة إسعاف للصليب الأحمر ورجلان يجريان إلى الأمام . وعلى اليمين وإلى الأمام يرقد رجل ، وواضح أنه يتألم . وعلى مقربة من العدو رجل آخر ميت . المنظر فى فرنسا وهنالك شارة طريق تحدد مكان شربورج على بعد ٥٠½ كيلومتر إلى اليسار وباريس على بعد ٢٠½ كيلومتر إلى اليمين . والحائط الذى يطلقون عبره النيران كان جزءاً من محل تجارى . وكان على المحل لافتة « خبز ونبيذ » . وفى الجو طائرات تطلق النيران ، والقنابل تتساقط ، والشظايا تتناثر ، وفى الأطراف بيوت منهوبة وكنيسة وأشجار مقتلعة . وعلى برج الكنيسة ساعة تشير إلى الثانية إلا عشر دقائق . والعدو فى الخلف بملابس عسكرية قاتمة اللون تشبه إلى حدما ملابس الألمان . وحامل المنظار فى الأمام ملازم أول بشارة كتف واحدة .

الاستعادة الأولى : من الواضح أن هذا منظر معركة حربية . إلى الأمام ثلاثة رجال ، أحدهم ملازم ثان بالشارة على كتفه ينظر من خلال منظار إلى الأعداء الذين يوجدون إلى اليسار فى الخلف . ويرقد رجل آخر بجواره يطلق النيران من فوق حائط متخلف ، من محل تجارى قديم متهدم . وتوجد لافتة عليها « خبز ونبيذ » . وإلى الخلف توجد كنيسة وراء الأعداء الذين يقاتلون فى زى عسكرى قاتم أو أسود . والساعة على برج الكنيسة تشير إلى الثانية إلا عشر دقائق . ويحيط بهذا كله منازل منهوبة . والطائرات تحلق فى الجو ملقية بقنابلها . وفى الخلف عربة إسعاف للصليب الأحمر ورجلان ينطلقان منها . وعن يمين وإلى الأمام يرقد رجل على

الأرض وواضح أنه يتألم جداً . ورجل آخر يرقد أمام الأعداء ، ولا أستطيع أن أحدد مكانه على وجه الدقة ، ولكن يخيل لى أنه فى وسط الصورة تقريباً . وهنالك زنجى يقف على الحائط يعطى الإشارة ناحية الأعداء ، يعطى الإشارة للرجال للهجوم على الأعداء ؟

الاستعادة الثانية : منظر معركة حربية . رجل يحتمل أنه ملازم أول بشارة على كتفه يقود المعركة . إنه على اليسار إلى الأمام . ويرقد جندى آخر يطلق النار على العدو الذى فى الخلف . والجندى يطلق النار من فوق حائط حجرى يبدو أنه بقايا متجر ، وربما كان حانة لأنه توجد لافتة عليها Pain et Vin ومعناها « خبز ونبيذ » . وعلى الجانب الآخر من الصورة توجد كنيسة وبرج والساعة تشير إلى الثانية إلا عشر دقائق . وعلى ذلك الجانب عربة إسعاف ورجلان ينطلقان منها . مذبحة عامة بين الخرائب المنهوبة ، وكل شىء متصدع . يوجد زنجى فى الصورة يفترض أنه يحث الرجال على الهجوم .

الاستعادة الثالثة : هذا منظر معركة حربية . منظر يمثل الخراب الشامل . إنها قرية من الواضح أنها ضربت بقسوة . وعن اليسار إلى الأمام ملازم أول فى الخدمة . ويوجد جندى راقد يطلق النار من فوق الحائط الحجرى المتخلف من أطلال مطعم . ويوجد برج كنيسة عليه ساعة تشير إلى الثانية إلا عشر دقائق . وتوجد أيضاً عربة إسعاف ينطلق منها رجلان . وعلى مسافة العدو . وفى الأمام يوجد عدد من الأشخاص أحدهم ملازم أول لأنك تستطيع أن ترى الشارة على كتفيه . وزنجى فى الصورة من الواضح أنه يستحث الرجال على القتال .

الاستعادة الرابعة : هذا منظر بلدة نالتها القنابل بشدة وتهدمت — منظر معركة حربية . عن اليسار إلى الأمام ملازم أول . ونعرف ذلك من الشارة التى على سترته . وإلى الأسفل منه جندى يطلق النار من فوق حائط . لقد نسيت الهدف الذى يطلق عليه النار . لاشك أنه العدو . والبناء الذى يطلق من عليه النار هو بقايا مطعم فرنسى ، وعلى لافتته شىء من قبيل الخبز والنبيذ . ويوجد زنجى فى مكان ما فى الصورة ، ربما فى الوسط ، يستحث الجنود على القتال . وهنالك ساعة تشير إلى الثانية إلا عشر دقائق بعيداً إلى اليمين فى الخلف .

الاستعادة الخامسة : هذا منظر بلدة مزقتها الحرب ، وحطمتها بقسوة . وإلى أسفل فى الزاوية اليسرى يوجد ملازم أول ، وهو ملازم لأنه يحمل الشارة . وإلى الأسفل منه جندى منبطح يطلق النار من بندقيته . إنه يضرب ، من فوق شيء كالحائط . وهذا الحائط يحتمل أن يكون طللا لمطعم فرنسى لأن عليه ما يشير إلى الخبز والنبيذ . وإلى الأمام فى الوسط جندى زنجى يصدر أوامر . وفى الزاوية العليا إلى اليمين ساعة تشير إلى الثانية إلا عشر دقائق .

* * *

فالأشخاص فى بروتوكول (ا) ، بالنظر إلى تشتت انتباههم بفعل تواجد الجمهور ، ولشعورهم بتيقظ هذا الجمهور لأخطائهم ، قد قدموا إدلاءات أكثر إيجازاً ، وأكثر تعجلا ، وأكثر التزاماً لجانب الأمان . (أنظر تعليقنا فى نهاية الفصل الرابع) . أما فى غيبة جمهور النظارة فى بروتوكول (ب) فإن الأشخاص قد قدموا إدلاءات أفضل . ولكن على الرغم من أن معدل التسوية قد زادت سرعته فى تواجد جمهور النظارة ، إلا أن الظاهرة نفسها تتسم بالعمومية .

حدود التسوية :

إن التسوية لا تبلغ قط حد الإزالة التامة . فإن ثبات الجزء الأخير من المنحنى فى شكل ٩ لهو كشف له نتائجه . فهو يدل على :

١ ــ أن العبارة القصيرة المحكمة إنما يغلب أن تستعاد استعادة أمينة .

٢ ــ أن الادلاء عندما يصبح مقتضباً فلا يكون أمام الشخص إلا القليل جداً من التفاصيل التى ينتقى من بينها ، ومن ثم تقل الفرص المتاحة أمام إمكانية اللوى .

٣ ــ أن المهمة تصبح من السهولة بحيث تقتدر الذاكرة الحرفية (الصماء) على الاحتفاظ بالمادة فى الذهن . وفى جميع الحالات يكون الإدلاءان الأخير وما قبل الأخير أكثر شبهاً فيما بينهما من أى إدلاءين آخرين .

وفى بروتوكول (جـ) ، المستند إلى شكل (٧) مثلا يتضح النمط الحرفى للاطراد على الرغم من أن الإدلاء الختامى (السادس) ــ بمقارنته بالإدلاء الخامس ــ يكشف عن بعض « التسوية » الإضافية ، وبعض الاختلاق (ظهور « النصل ») .

بروتوكول (ﺟ)

(يوضح تزايد الأثر الحرفى)

الوصف من الشاشة : يجرى المنظر فى عربة عامة أو قطار . يوجد ثمانية أشخاص فى العربة . فى الجانب الأيسر رجل يقرأ صحيفة ، وبجواره سيدة مسنة تمسك فى يدها اليمنى حقيبة تسويق . وعلى بعد مقعدين امرأة تحمل رضيعاً . ويلى ذلك رجل وقور متقدم فى السن له لحية ، ثم رجل بدين نائم . ويقف فى العربة زنجى وأبيض ، والزنجى فى ملابس أنيقة — سترته فضفاضة من طراز « الزوت » ، والرجل الأبيض من عمال الحرب . إنهما فى نقاش . وفى يد الرجل الأبيض موسى حلاقة . توجد أربعة ملصقات فى العربة : ملصق عن « اللكى سترايك » ، وملصق عن « صابون جوسلنج النقى $\frac{٤٤}{١٠٠}$ ٩٩٪ » ويشتمل على أوزة ، وملصق يقول « اقض إجازتك فى معسكر ايدلوايلد ، فندق مريح ، أماكن محدودة » ، والملصق الأخير عليه « انتخب ماكجنيز عن أولدرمان » .

الاستعادة الأولى : هذا المنظر فى عربة عامة أو قطار . يوجد سبعة أشخاص وطفل . توجد امرأة جالسة على مقعد تحمل رضيعاً . ويوجد رجل بدين مسن نائم . واثنان من الأشخاص هما رجل زنجى يلبس سترة فضفاضة من طراز « الزوت » ، ورجل أبيض وهما يتناقشان . والرجل الأبيض فى يده موسى حلاقة . توجد أربعة ملصقات ، واحد عن « اللكى سترايك » ، وواحد عن نوع من الصابون ، وواحد عن فندق .

الاستعادة الثانية هذه عربة عامة بها سبعة أشخاص . هنالك امرأة مسنة على حجرها طفل . وأحد الأشخاص فى نقاش وبيده موسى حلاقة . يوجد أربعة زنوج فى العربة . وتوجد أربعة إعلانات ، أحدها إعلان عن « اللكى سترايك » .

الاستعادة الثالثة : يبدو أن هذه الصورة عربة ترولى بها سبعة أشخاص . توجد امرأة مسنة وعلى حجرها طفل . ويوجد شخص فى نقاش وبيده موسى حلاقة . وفى العربة أربعة زنوج . وتوجد أربعة ملصقات ، أحدها إعلان عن « اللكى سترايك » .

الاستعادة الرابعة : الصورة تمثل عربة ترولل وبها سبعة أشخاص . يوجد أربعة زنوج . توجد سيدة معها رضيع . شخص يلوح بموسى حلاقة . توجد أيضاً بعض لافتات الإعلان .

الاستعادة الخامسة : هذه عربة ترولل وبها سبعة أشخاص . توجد امرأة معها رضيع . وشخص يلوح بموسى حلاقة . وتوجد بعض اللافتات وبعض الزنوج .

الاستعادة السادسة : صورة لعربة ترولل بها سبعة أشخاص . توجد امرأة معها رضيع . ويوجد بعض الزنوج . وشخص يلوح بنصل موسى .

* * *

يبدو أن الأشخاص يغلب عليهم الميل إلى الاعتماد على الذاكرة الحرفية (الصماء) جهد الاستطاعة . فأمام التعليمات التى تقضى بتكرار ما سمعوه « بأقصى دقة ممكنة » ، كان الحفظ الحرفى أسلم وأمنع طريقة للاضطلاع بالمهمة . وليس من شك فى أن الاعتماد على الحرفية هو أكثر بروزاً فى تجاربنا منه فى الانتشار العادى للإشاعة ، حيث لا تكون الدقة هى الهدف ، وحيث يتدخل الفاصل الزمنى فى عملية الحفظ الحرفى ، وحيث تعطل الاهتمامات القوية عمل الذاكرة الحرفية . ومع ذلك فهنالك حالتان خاصتان تلعب فيهما الحرفية هى الأخرى دورها فى الانتشار العادى للإشاعة . فإذا لم يكن للشخص من دافع أقوى من مجرد الرغبة فى الحديث ، فقد يجد نفسه يكرر فى خمول ما سمعه منذ وقت قريب على الصورة التى سمعها . وكذلك فى حالة ما تصبح الإشاعة من الانكماش والاقتضاب و « مشابهة الشعارات » بحيث لا تتطلب جهداً فى حفظها بالصورة الحرفية التى سمعت بها ، فعندها تبدو الذاكرة الحرفية فعالة . ومثال ذلك :

اليهود يهربون من الخدمة .

المنظمة الصناعية بالكونجرس CIO فى أيدى الشيوعيين .

ولاس يؤمن بحق كل فرد من « الهوتنتوت » فى كيل من اللبن .

ولقد تنبه كتاب الإعلان إلى أهمية « الحرفية » . فهم يجاهدون كيما تكون شعاراتهم مقتضبة محكمة ، وإيقاعية ويسهل تذكرها :

اللكى سترايكس Lucky Strikes تعنى صفوة التبغ .

دخن التشستر فيلدز Chesterfields ففيها الرضى .
الضز Duz يصنع كل شيء .
وهكذا إلى الغثيان . . . .

وكذلك فإن الكثير من الأساطير والخرافات قد لقي من الاقتضاب ما بلغ صورة الحكمة والمثل إلى حد أنه يكاد يستحيل نسيانها :

للبرد التشبيع وللحمى التجويع .
فى كل يوم تفاحة والطبيب لن يدخل لك ساحة .
سماء الليل فى وهج الأتون والبحارة يطربون .
لاقتصادك فى العصا فالطفل عصى .

والتسوية لا تعنى الحذف العشوائى للتفاصيل . فبعض التفصيلات تبدو أكثر تعرضاً للحذف من غيرها . ومن بين العناصر التى تتعرض بصفة خاصة للتسوية يذكر بارتلت Bartlett أسماء الأعلام والألقاب . فأسماء الأعلام (إن لم تكن جد معروفة) ليس لها من الدلالة أو الأهمية إلا القليل فى نظر الشخص . إنها لا تعينه فى « اقتفاء المعنى » ، ومن ثم فهى تحذف . وتتفق نتائجنا مع نتائج بارتلت من حيث إنها تكشف عن أن أسماء الأعلام تعد من أكثر عناصر الأقصوصة بعداً عن الثبات ، ومن ثم تتعرض بصفة خاصة للتسوية ، وفى جميع تجاربنا بالفعل فإن أسماء الأماكن والأشخاص تعرضت للسقوط أو اللوى إلى درجة يستحيل معها التعرف عليها . ويستطيع القارئ أن يتبين هذا الأثر فى كل بروتوكولاتنا بالفعل .

وعلى الرغم من أن التسوية السريعة التامة للأسماء تعد قاعدة عامة فهنالك استثناءات . فإذا كانت اهتمامات الأشخاص أو تدريباتهم تهيئوهم لأن يهتموا اهتماماً خاصاً بأسماء الأعلام فإن هذه الأسماء قد تحفظ عبر سلسلة بأكملها من الاستعادات . والبروتوكول (د) الذى يستند إلى شكل (٥) قد تم الحصول عليه من طلاب برامج الجيش للتدريب المتخصص . ويلاحظ أن أسماء المدن المكتوبة على شارات الطرق مع بيان بعدها عن مسرح الأحداث قد ظلت محفوظة طوال سلسلة الإدلاءات كلها ، حتى على الرغم من أن معظم التفصيلات الأخرى قد سقطت . فى الحياة العسكرية تلعب المعطيات الجغرافية — من أسماء الأماكن

ومسافاتها – دوراً جد هام . فحياة العسكريين قد تتوقف على الإدلاء الصحيح بالمعلومات الجغرافية . ولكن حتى هذا المرسى المهنى المثبت لا يحول دون تعرض المسافات للخلط والزيف .

بروتوكول (د)

(يوضح أثر الاهتمامات العسكرية على الحفظ)

الوصف من الشاشة : يجرى المنظر فى فرنسا وقت الحرب . ويظهر فيه عدد من الرجال بالزى العسكرى . اثنان منهم يطلقان النار . وواحد ملقى على ظهره جريحاً ، وعلى ركبته ضمادة . ويوجد جندى زنجى واقف يتهيأ لإلقاء قنبلة يدوية . وخلفهم بناء متهدم به باب خارجى . توجد لافتة عند تقاطع الطرق ، عليها « شربورج ٢١ $\frac{1}{2}$ كيلومتر ، باريس ٥٠ كيلو متراً . » هنالك أيضاً لافتة عليها « خبز ونبيذ » . توجد دانات بجوار المبنى المتهدم . وخلف المبنى توجد كنيسة فى سقفها ثقب كبير . وللكنيسة برج به ساعة تشير إلى الثانية إلا عشر دقائق . وخلف الكنيسة طائرتان ، وترى انفجارات . وهناك عربة إسعاف فى الطرف الأيمن ورجال يخرجون منها بدانات . لافتة عليها « خبز ونبيذ » .

الاستعادة الأولى : يجرى المنظر فى فرنسا . يوجد جنديان فى خندق . وخلفهما مباشرة جندى آخر جريح . وعلى مقربة منزل متهدم . جندى زنجى يلقى بقنبلة يدوية . هنالك لافتة عليها » ٥٠ ميلا إلى شربورج و ٢١ ميلا إلى باريس » . توجد كنيسة ببرج يبين أنها الثانية إلا عشر دقائق . ترتيب الدانات يدل على أن هناك معركة دائرة . وتوجد عربة إسعاف فى مكان ما بالصورة . وتوجد لافتة عليها « خبز ونبيذ » .

الاستعادة الثانية : المنظر فى فرنسا . خندق فيه رجلان أحدهما يطلق النار . وجندى ملقى على ظهره جريحاً . وتوجد شارة طريق : « باريس ٥٠ ميلا وشربورج ٢١ ميلا » . وفى الصورة عربة إسعاف . يوجد منزل أو شونة خلف جندى زنجى يلقى قنبلة يدوية . وخلف المنزل كنيسة . وعلى البرج يشير الوقت إلى الثانية إلا عشر دقائق . وخلف الكنيسة بضع طائرات .

الاستعادة الثالثة : المنظر فى فرنسا . يوجد جنديان فى خندق وجندى جريح . فى الصورة عربة إسعاف ، ومنزل فى الخلف ، وأيضاً كنيسة ببرج ، والوقت يشير إلى . . . لست أذكر . توجد لافتة طريق : « شربورج ٢١ ميلا وباريس ٥٠ ميلا » . وفى الصورة جندى زنجى .

الاستعادة الرابعة : يجرى المنظر فى فرنسا على بعد ٢١ ميلا من شربورج و ٥٠ ميلا من باريس . وهذه المعلومات مبينة على شارة طريق . فى الصورة جنديان وأيضاً جندى زنجى . وعلى البعد كنيسة وأيضاً منزل . وعلى مقربة عربة إسعاف .

الاستعادة الخامسة : المنظر فى فرنسا ، على بعد ٢١ ميلا من شربورج و ٥٠ ميلا من باريس ، كما نقرأ على شارة طريق . يوجد فى الصورة جندى زنجى . وعلى مقربة توجد كنيسة وأيضاً عربة إسعاف .

الاستعادة السادسة : المنظر فى فرنسا على بعد ٢١ ميلا من شربورج و ٥٠ ميلا من باريس كما تدل على ذلك شارة طريق . وفى المنظر جندى زنجى . وعلى مقربة كنيسة وعربة إسعاف .

الاستعادة السابعة : المنظر فى فرنسا على بعد ٢١ ميلا من شربورج و ٥٠ ميلا من باريس . وفى المنظر جندى زنجى وأيضاً عربة إسعاف .

الاستعادة الثامنة : المنظر فى فرنسا على بعد ٥٠ ميلا من شربورج وعلى مسافة من باريس . وفى المنظر عربة إسعاف وأيضاً جندى زنجى .

* * *

فى هذا البروتوكول بالذات نسى الشخص الثالث الوقت المبين على ساعة البرج ، ومن الواضح أنه لم يكن على استعداد لأن يغامر بالتخمين . بيد أنه فى تجارب أخرى أجريت على طلاب التدريب كانت القاعدة هى الاستعادة الأمينة للوقت المبين على ساعة الكنيسة وذلك خلال الإدلاءات المتعاقبة . فالزمان والمكان لهما قيمة فضلى بالنسبة للمهنة العسكرية .

ويلاحظ القارئ أنه كلما مالت البروتوكولات إلى الاقتضاب فإن العناصر التى لم تعان التسوية تميل بالضرورة إلى أن تكتسب بروزاً نسبياً . إنها تعانى « الإبراز » .

الإبراز :

يمكن تعريف الإبراز على أنه إدراك انتقائى وحفظ انتقائى وإدلاء انتقائى لعدد محدود من التفاصيل من بين سياق أكبر . إنها الوجه المقابل للتسوية . فلا يمكن لإحدى العمليتين أن توجد بغير الأخرى . وإنه وإن كان الإبراز يحدث فى كل بروتوكول إلا أن نفس العناصر لا تحظى دائماً بالتوكيد . فما يتم إبرازه فى بروتوكول قد تتم تسويته فى بروتوكول آخر . لاحظ مثلا ما يحدث بالنسبة إلى لافتة الانتخاب المرسومة فى شكل (٧) . ففى كثير من البروتوكولات (أنظر مثلا بروتوكول جـ من هذا الفصل) لم يرد أى ذكر لهذه اللافتة بعد الإدلاء الأول .

بيد أننا نجد فى البروتوكول التالى(هـ) أن اسم« ماكجينيز » McGinnes لم يحظ فحسب بأن طغى على اسم الدائرة « أولدرمان » Aldereman (فى إحدى اللافتات الأربع) ، وإنما حظى أيضاً بشرف الترشيح لعضوية الكونجرس .

بروتوكول (هـ)

(يوضح الإبراز)

الوصف من الشاشة : هذه الصورة لقطار مرتفع يقف فى شارع ديكمان . ومن الواضح أنه قطار سريع للطرق الكبيرة . المنظر داخل القطار ، ويشمل خمسة أشخاص جالسين واثنين واقفين . وفى أعلى النوافذ توجد لوحات الإعلان العادية . احداها تتعلق بتدخين صنف معين من السجاير ، والثانية هى إعلان عن صابون ، والرابعة إعلان سياسى لانتخاب ماكجينيز عن دائرة أولدرمان . وأحد الجالسين رجل يلبس قبعة ويمسك بجريدة . إنه رجل بدين مضحك منكفئ على جريدته . وإلى جواره امرأة تتدلى من ذراعها الأيمن حقيبة تسويق ، وتلبس نظارة ، وقبعة مضحكة . وتلى مسافة خالية يقف أمامها زنجى يلبس سترة فضفاضة من طراز « الزوت » طراز البوركباى (مسطحة من أعلى وحوافها مرفوعة إلى أعلى) ، ورباط عنق مبهرج ؛ وهو يتحدث مع أحد عمال الدفاع الذى يبدو فى ملابس

قديمة : هى عبارة عن عفريتة الشغل ، وحذاء برقبة ، وقميص نصف كم ، وكاب . ويبدو أنه من عمال السفن ، ويحمل فى يده اليسرى موسى حلاقة ، ومن الواضح أنه يتناقش مع الزنجى . ويلى ذلك امرأة جالسة على ذراعيها رضيع وترقب الرجلين فى نقاشهما . ملابسها عادية وشعرها طويل . وبجانبها يجلس رجل يلبس نوعاً من المعطف ، هو حبر يهودى يقرأ فى كتاب ويلبس قبعة مضحكة . معطفه طويل غير حديث الطراز . وبجواره يجلس رجل بدين مستغرق فى النوم ويداه متشابكتان .

الاستعادة الأولى : صورة قطار تحت أرضى ، يقف فى شارع ديكمان . والمنظر يصور داخل العربة . حوالى خمسة أشخاص جالسون ، واثنان واقفان . وتوجد الإعلانات المألوفة ، أحدها عن السجاير ، وأحدها عن مرشح سياسى هو ماكجينيز . والأشخاص الجالسون هم رجل بدين مستغرق فى جريدته ، وبجواره امرأة ، ثم مقعد خال ، ثم زنجى فى سترة فضفاضة من طراز « الزوت » ، يتناقش مع أحد عمال الدفاع الذي يحمل موسى حلاقة فى يده . ويبدو أنه نقاش حاد . ثم امرأة تحمل رضيعاً ، ويلى ذلك رجل يبدو أنه حبر يهودى ، ثم رجل بدين غارق فى النوم . والرجلان واقفان وامرأة بدينة ترقب الرجلين الواقفين .

الاستعادة الثانية : منظر فى قطار تحت أرضى بشارع ديكمان . إنه داخل العربة ؛ خمسة أشخاص جالسون واثنان واقفان . توجد الإعلانات المألوفة ، أحدها عن السجاير وأحدها سياسى عن مرشح يدعى ماكجينيز . والأشخاص الجالسون هم رجل بدين جد مستغرق فى جريدته ، وامرأة ، ثم مكان خال ، ثم زنجى وعامل دفاع . والزنجى يلبس سترة فضفاضة من طراز « الزوت » ، وأحد الرجلين يحمل موسى حلاقة . إنهما واقفان يتناقشان بصورة حادة . يلى ذلك امرأة وطفل ورجل آخر .

الاستعادة الثالثة : هذا منظر داخل عربة بشارع ديكمان . يوجد سبعة أشخاص فى العربة ، خمسة جالسون واثنان واقفان . ومن بين اللافتات واحدة سياسية عن رجل يدعى ماكجينيز . والشخصان الواقفان هما رجل بدين وامرأة تحمل رضيعاً . والجالسون هم رجلان ثم مسافة ثم امرأة واثنان من عمال الدفاع يتناقشان ،

أحدهما زنجي يرتدى سترة فضفاضة من طراز « الزوت » ويحمل فى يده موسى حلاقة . والنقاش لابد وأن يكون محتدماً .

الاستعادة الرابعة : المنظر لعربة تحت أرضية . خمسة أشخاص جالسون واثنان واقفان . اللافتات والإعلانات بطول الجانب الأعلى من العربة . أحدها عن ماكجينيز المرشح للكونجرس . والجالسون منهم رجل وامرأة واثنان من عمال الدفاع أحدهما زنجي فى سترة فضفاضة من طراز « الزوت » ويلوح بموسى حلاقة . وامرأة واقفة تحمل رضيعاً على ذراعيها . ويوجد رجل بدين واقف .

الاستعادة الخامسة : المنظر فى عربة تحت أرضية ؛ خمسة أشخاص جالسون واثنان واقفان . وفى العربة إعلانات أحدها عن ماكجينيز للكونجرس . وفى مقدمة العربة رجل وامرأة واثنان من عمال الدفاع ، أحدهما زنجي يحمل موسى حلاقة يلوح به فى غضب . وشخص واقف ، وامرأة تحمل رضيعاً . والرجل الواقف بدين .

الاستعادة السادسة : هذه صورة نمطية لمنظر طريق تحت أرضى . وفى الصورة ثلاثة أشخاص واقفون . وللطريق التحت أرضى كل المميزات المألوفة . توجد إعلانات .. أحدها باسم ماكجينيز للكونجرس . رجل وامرأة جالسان . ورجلان آخران أحدهما زنجي يتناقشان فى الانتخابات القادمة . والزنجي يحرك فى يده موسى حلاقة .وفى جانب آخر من العربة تقف امرأة تحمل رضيعاً . فأنت ترى هذا أيضاً فى الطرقات التحت أرضية .

* * *

إن الإبراز غالباً ما يمسك بالألفاظ « الغريبة النادرة » التى متى وردت فى باكورة السلسلة لا تلبث أن تجتذب انتباه كل مستمع من المستمعين المتعاقبين ، والتى غالباً ما يتم تناقلها حاظية بالتفضيل على تفصيلات أخرى تعد فى الصميم أكثر أهمية بالنسبة إلى القصة . ويتضح تأثير هذا العامل فى بروتوكول (و) المستند إلى شكل (٦) . ولنلاحظ أن العبارة الواردة فى الاستعادة الأولى : « يوجد صبى يسرق ورجل يعنفه على ذلك » تنتقل بصورة تكاد تكون حرفية عبر السلسلة كلها . وهذه الكلمة الشبه أدبية « بعنف » قد استولت على انتباه كل واحد من المستمعين المتعاقبين فتناقلوها بغير تعديل .

بروتوكول (و)

(يوضح الإبراز عن طريق حفظ التعبيرات اللفظية)

الوصف من الشاشة : هذا منظر ناصية طريق ، تقاطع شارع ١٦ وشارع بارتلت . فى المقدمة عربة يد عليها فاكهة . ويوجد صبى يبدو أنه يسرق واحدة من الفاكهة على العربة . وصاحب العربة يتحدث إليه عن أخذه الفاكهة . يوجد شرطى زنجى يهبط الطريق ، وصبى زنجى مقبل عند التقاطع . توجد لافتة فوق متجر عليها « ليفى وولده — خردوات » . وفى الخلف مبنى مكتوب عليه « مستودع تخزين » و « ممنوع هنا لعب الكرة » . وفى ركن آخر مبنى واضح أنه مسرح ، « لوز بالاس » ، يعلن عن فيلم باشتراك « جين أوترى » . وتوجد عيادة طبيب بلافتة : « انتونى سميث ، دكتور فى الطب » . ومن إحدى النوافذ يسقط أصيص أزهار . وهنالك متجر يعلن عن أوكازيون فى ٢٥ يونية . والملابس المعروضة للبيع تبدأ أثمانها من ٦,٩٥ دولار . يوجد حيوانان فى الصورة : قطة تتسلق على صندوق فضلات ، وكلب . وفى مقدمة الصورة (حنفية مطافى) . وفى إحدى النوافذ راية عليها نجمة واحدة .

الاستعادة الأولى : هذا منظر طريق . فى المقدمة عربة يد لبائع متجول عليها خضروات . صبى صغير يسرق منها ورجل « يعنفه » على ذلك . ويجرى ذلك عند تقاطع شارع ١٦ وشارع بولفار . ويهبط الطريق شرطى زنجى وصبى صغير . وفى المنظر متجر خردوات عليه اسم « ليفى » . وأيضاً فى المؤخرة مبنى عليه « مستودع تخزين » ، وكذلك عيادة طبيب « أنتونى سميث ، دكتور فى الطب » . ومن إحدى النوافذ ينقلب أصيص أزهار . ويوجد أيضاً مسرح « لوزبالاس » يعلن عن « جين أوترى » فى فيلم . وأيضاً فى الصورة كلب وقطة .

الاستعادة الثانية : منظر شارع . فى المقدمة رجل بعربة يد عليها كومة من الخضروات . صبى صغير يسرق والرجل « يعنف » الصبى على ذلك . فى الخلف يوجد متجر « خردوات ليفى » وتوجد دار سينما « لوزبالاس » ، تعرض فيلماً لجين

أوترى . وتوجد عيادة طبيب بلافتة ، « (حاجة) سميث ، دكتور فى الطب » ، وكذلك يهبط الطريق شرطى ورجل زنجى ، وربما شرطى زنجى . وفى الطريق قطة وكلب .

الاستعادة الثالثة : إنه منظر طريق . فى المقدمة عربة يد محملة بالفاكهة ودار للصور المتحركة « لوز بالاس » فيها فيلم باشتراك ممثل باسم جين أوريش . توجد عيادة طبيب اسمه سميث ، دكتور فى الطب . ويوجد شارع يهبطه شرطى ورجل زنجى أو شرطى زنجى — فالراوى لم يكن متأكداً . ويوجد أيضاً قطة وكلب

الاستعادة الرابعة : منظر طريق . توجد عربة يد وصبى صغير يسرق الفاكهة ، ورجل « يعنفه » على ذلك . يوجد محل خردوات ومسرح سينما . وفى الفيلم ممثل اسمه جين أوريش . وأيضاً عيادة طبيب باسم « حاجة كده » سميث .

الاستعادة الخامسة : تمثل الصورة منظر طريق بعربة يد بفاكهة وصبى صغير يسرق منها ، ورجل « يعنفه » على ذلك . وفى الطريق محل خردوات ، ودار للصور المتحركة . واسم الممثل جين أوريش . وتوجد أيضاً عيادة طبيب ، والاسم فيما يبدو « حاجة » سميث .

الاستعادة السادسة : هذا يمثل منظر طريق . توجد عربة يد عليها فاكهة ، صبى يسرق منها ورجل « يعنفه » على ذلك . وفى الخلف عيادة طبيب . واسم الطبيب سميث . وهنالك أيضاً مكتب آخر .

الاستعادة السابعة : قيل لى إن هذا منظر طريق . توجد عربة يد عليها فاكهة . وصبى صغير يسرق منها ورجل « يعنفه » على ذلك . وفى الخلف عيادة طبيب . واسم الطبيب سميث . ويوجد أيضاً مكتب آخر .

الاستعادة الثامنة : هذا منظر طريق . توجد عربة يد مليئة بالفاكهة . وصبى صغير يسرق الفاكهة ، وضابط « يعنفه » على ذلك ، أو شخص يوبخه على ذلك . وفى الخلف منزل طبيب بلافتة بارزة مكتوب عليها « سميث » .

* * *

ومن الممكن أيضاً أن يتخذ الإبراز وجهة « رقمية » ، حيث تعانى العناصر

الإبراز بالتكثير . فى شكل (٥) مثلا نجد أن الزنجى ، الذى يسترعى حجمه ومظهره غير المألوف الاهتمام ، يتعدد فى بروتوكول (ا) (فى بداية هذا الفصل) من زنجى واحد إلى أربعة .

ويوجد أيضاً إبراز « الأقلمة الزمنية » . ويتضح فى الميل إلى وصْف الأحداث على أنها تحدث ضمن إطار الحاضر . فإن ما يحدث « هنا والآن » لينطوى على جاذبية وأهمية رئيسية بالنسبة إلى القائم بالإدراك . وفى الحالات القليلة التى يلبس فيها الوصف المبدئى ثوب الماضى ، لا يلبث أن يحدث قلب مباشر إذ يقوم المستمع « بأقلمة زمنية » للمنظر فى إطار الحاضر . ومن الواضح أن مثل هذا الأثر لا يمكن أن يحدث فى حالة الإشاعات التى تنصب خاصة على بعض الأحداث المنتسبة للماضى . فليس من الممكن إحداث أقلمة زمنية للإشاعات من قبيل : « إن الملكة مارى أبحرت هذا الصباح فى سفينة تحمل ١٠,٠٠٠ جندى». ومع هذا فالكثير من الأقاصيص تكتسب إبرازاً عن طريق ربطها بالظروف الحاضرة . وعلى سبيل المثال عبارة من قبيل إن المستر س قد اشترى دجاجة من السوق السوداء بسعر الرطل ١,٥٠ دولار ، يمكن أن تصبح (وعادة ما تصبح) « سمعت أنهم « اليوم » يطلبون ١,٥٠ دولار لرطل الدجاج فى السوق السوداء » . فالناس أكثر اهتماماً بما يجرى « اليوم » منهم بما جرى فى « الأسبوع الماضى » ، ومن هنا تكون الغواية التى يستشعرها الشخص فى أن يكيف زمن الحدوث ما أمكن ليجعله فى الحاضر . وكما سنرى فى الفصل التاسع فإن بعض الأساطير الهرمة والتى كانت متداولة فى الحرب العالمية الأولى ، قد نفض عنها التراب فبعثت فيما بين ١٩٤١ و ١٩٤٥ وتم تكييفها لتساير الحرب العالمية الثانية .

ويغلب كذلك أن يحدث الإبراز عندما تنطوى الأسطورة الأصلية على الحركة . فى كثير من البروتوكولات الخاصة بشكل (٥) كثيراً ما تعرض طيران الطائرات وانفجار القنابل للتوكيد عبر الإدلاء . وبالمثل فإن أصيص الأزهار الآخذ فى السقوط فى شكل (٦) غالباً ما حظى بالحفظ والتوكيد . ولم يقتصر الأمر على تعرض عنصر « أصيص الأزهار الآخذ فى السقوط » للإبراز والحفظ ، ولكننا نجد

فى بروتوكول (ز) أن « نغمة السقوط » تمتد إلى السيجار الذى يدخنه شخص فى الصورة . وهذا الأثر يوضح أيضاً الإبراز الرقمى الذى سبق ذكره .

بروتوكول (ز)

(يوضح إبراز الحركة)

الوصف من الشاشة : هذا منظر ناصية طريق . فى الخلف متجر ملابس ، ليفى وأولاده . إنه تقاطع شارع ١٦ وشارع بارتلت . فى الزاوية اليمنى من الصورة وإلى الأمام توجد بعض صناديق الفضلات ، وصبى يستند إلى عمود . كلب عند حافة الطريق . وفى نهاية المنطقة الأمامية من الصورة يوجد بائع فول سودانى يبيع الكيس منه بخمسة سنتات . وعلى الجانب الآخر من الطريق يوجد « مسرح لو » ، وفى أعلاه صالة لعب ، ويعرض فيلماً لجين أوترى . يوجد مبنى كبير كمستودع عليه لافتة « ممنوع لعب الكرة » . وفى أعلى المخزن توجد ثلاث نوافذ . إحداها تحمل لافتة طبيب . والثانية بها ثلاثة أصص أزهار ، « أحدها يسقط » من النافذة . وفى النافذة الثالثة توجد راية . صبى (يلطش) فول سودانى والبائع يصرخ فيه . وشرطى زنجى يهبط الطريق إلى ناحيته . وفى الجانب الآخر من المستودع يوجد حبل غسيل . ومن صالة اللعب يطل من النافذة رجل بسيجار . وأحد الصبية يستند إلى عمود وهو زنجى .

الاستعادة الأولى : المنظر ناصية طريق فى منطقة غير شديدة الازدحام من المدينة . وأحد العناصر ينحصر فى أنه على شارع ١٦ . فى هذا الركن عدد من الصبية ، وزنجى ، وشرطى زنجى . وأيضاً صندوقان للفضلات ، وقطة أو كلب على الغطاء تنبش فى الفضلات . كذلك يظهر مسرح لو ، وصالة لعب فى الطابق الثانى ، وعلى مقربة من الحائط الأبيض الكبير مستودع عليه لافتة « ممنوع لعب الكرة » وفى الجانب الآخر من المكان حبل غسيل . وبعيداً فى الخلف مخزن ملابس باسم ديبى Debe ، وعلى أية حال فيه (ياء«e») مكررة . فى الدور العلوى أو فى دور أعلى توجد نوافذ . فى أحدها ثلاثة أصص أزهار و« أحدها يسقط » . وفى إحدى النافذتين الآخريين يظهر رجل يدخن سيجاراً . وإما أن يكون الرجل أو السيجار

« فى حالة سقوط » . وفى مسرح لو يعرض فيلم لجين أوترى .

الاستعادة الثانية : المنظر ناصية طريق على شارع أو طريق ١٦ . إنه لا يمثل أفضل منطقة فى المدينة . يوجد نفر من الأشخاص فى الركن . وأحد الزنوج يبدو أنه شرطى . وفى الركن صناديق فضلات ، وكلب أو قطة تنبش فيها . وفى الجانب الآخر من الطريق مسرح لو وفيه يعرض فيلم لجين أوترى . وفى الطابق الثانى صالة لعب . وعلى مقربة، الحائط الأبيض لمخزن ويحمل لافتة « ممنوع لعب الكرة » . وإلى الأمام متجر ملابس ، والاسم يشتمل على (ياء) مكررة . وفوق المتجر عدة نوافذ ، فى إحداها ثلاثة أصص أزهار ، « أحدها يسقط » . وفى نافذة أخرى رجل يدخن سيجاراً . « وإما أن يكون السيجار أو الرجل فى حالة سقوط من النافذة » .

الاستعادة الثالثة : المنظر منظر شارع فى قطاع شعبى من المدينة . اثنان من الصبية يلعبان على جانب الطريق . يوجد صبى زنجى وشرطى زنجى . وفى الجانب الآخر من الطريق يوجد مسرح ، مسرح لو ، يعرض فيه فيلم لجين أوترى . وفى الطابق العلوى صالة لعب . وبجوار صالة اللعب والمسرح حائط أبيض عليه لافتة تقول « ممنوع لعب الكرة » . وبجوار الحائط الأبيض ملابس باسم فيه (ياء) مكررة . وفى مكان ما نافذة بثلاثة أصص أزهار ، « أحدها يسقط » من حافة النافذة . وفى نافذة أخرى رجل يدخن سيجاراً أو سيجارة ، و « أحدهما أو كلاهما يوشك أن يسقط » .

الاستعادة الرابعة : هذا منظر طريق فى قطاع شعبى من المدينة . ويوجد صبيان يلعبان فى الطريق ، وزنجى وشرطى زنجى . وفى الجانب الآخر من الطريق مسرح يعرض فيلماً لجين أوترى . وفوق المسرح صالة لعب . وبجوار المسرح حائط أبيض عليه لافتة « ممنوع لعب الكرة » ، وبجوار الحائط متجر ملابس ، اسمه يشتمل على (ياء) مكررة . توجد نافذة مفتوحة بها ثلاثة أصص أزهار ، « أحدها يسقط » . وفى نافذة أخرى رجل يدخل سيجاراً أو سيجارة . و« أحدهما أو كلاهما يسقط من فم الرجل » .

الاستعادة الخامسة : الصورة لمنظر شارع لأحد القطاعات الشعبية بالمدينة .

فى الطريق يلعب صبيان . ويوجد ضابط زنجى وصبى زنجى . وفى الجانب الآخر من الطريق مسرح يعرض فيلماً يصور جين أوترى . وفوق المسرح صالة لعب . وبجوار المسرح حائط أبيض عليه لافتة « غير مسموح بلعب الكرة » . وعلى مقربة مبنى آخر بنافذة مفتوحة . وفى النافذة ثلاثة أصص أزهار ، « أحدها يسقط » . وفى نافذة أخرى رجل يدخن . « ومهما كان الشئ الذى يدخنه فإنه يسقط منه » .

الاستعادة السادسة : هذا منظر طريق فى القطاع الشعبى من المدينة . صبيان ، صبى زنجى وصبى أبيض يلعبان الكرة . ويوجد شرطى . وفى الجانب الآخر من الطريق مسرح سينما يعرض فيلماً لجين أوترى . وفى الطابق العلوى صالة لعب . وعلى مقربة من صالة اللعب حائط أبيض عليه لافتة : « ممنوع لعب الكرة » . وتوجد نافذة بها ثلاثة أصص أزهار « أحدها يسقط » . وفى نافذة أخرى رجل يدخن شيئاً ، و « مهما كان هذا الشئ فهو يسقط من فمه » .

* * *

وأحياناً ما يتم الإبراز بأن ننسب الحركة إلى أشياء هى فى الحقيقة ثابتة . هكذا فإن القطار فى شكل (٧) واقف فى مكانه بشكل واضح فى الطريق التحت أرضى ، ومع ذلك فكثيراً ما يوصف على أنه متحرك .

وإن الميل إلى إبراز الحركة حين توجد ، أو نسبتها إلى أشياء ثابتة لهو حالة من حالات قانون جد معروف من قوانين الانتباه . فالحركة فى المجال البصرى (وخاصة عندما تكون غالبية الأشياء فى حالة سكون) تكاد تستأثر دائماً أبداً بانتباهنا . وهنالك سبب بيولوجى هام يفسر العلة فى ذلك ؛ فالأشياء المتحركة يحتمل أن تتمخض عما يضر أو يسر ، أو عن فرصة أخرى متاحة لنا . إنها تلزمنا بأن نرقبها . وبمقتضى هذا القانون عن الانتباه الأولى فإن الأشياء التى توصف — فى تجاربنا — بالحركة تستولى على انتباه السامع وتميل إلى أن تحظى بحفظه وإدلائه .

و « الحجم » يعمل على الإبراز . فالحجم ، كالحركة ، هو عامل من العوامل الأساسية المحددة للإدراك [1] . فالقائم الأول بالإدلاء يوجه الانتباه إلى بروز

---

(١) وأهمية الحجم من حيث هو عامل محدد للإدراك يمكن أن تتضح بتجربة بسيطة . يكتب عدد من الحروف أو الأرقام بصورة واحدة على لوحة ، بحيث تكون جميع العناصر من نفس الحجم إلا عنصراً واحداً =

العناصر الكبيرة الحجم ، ومن ثم يتلقى كل مستمع من المستمعين المتعاقبين نفس هذا الانطباع بما ينطوى عليه من إلحاح . وحيث أنه يتحتم على كل مستمع أن يعول فحسب على الإدلاء الذى سمعه دون أن يستطيع التثبت بالرجوع إلى الصورة الأصلية ، فمن المحتمل أن يغالى فى خياله مغالاة كبيرة فى البروز النسبي للشئ . فأحياناً ما يردد فى إدلائه نفس الكلمات التى سمعها ، ولكنه أحياناً أخرى (كما ذكرنا آنفاً) يلجأ إلى المضاعفة ، كما فى حالة الزنجى الكبير فى شكل (٥) عندما يصبح أربعة زنوج . وكذلك أيضاً فإن الأوصاف الخاصة بشكل (٦) غالباً ما تلح فى الإدلاء على « المستودع الكبير » ، أو على « الحائط الأبيض الكبير » ، وذلك طوال السلسلة .

وهنالك محددات لفظية وأيضاً محددات فيزيائية للانتباه . ومن ثم فهنالك اتجاه واضح للاستمرار فى الإدلاء عن « اللافتات » . ففى تجاربنا عادة ما تكون اللافتة تخصيصاً للمكان وللموضوع الرئيسى — لوضعية المرسح . فالإدلاءات الخاصة بشكل (٥) غالباً ما تبدأ بعبارة من قبيل : « هذا منظر معركة حربية » ، وهذه اللافتة أو هذا العنوان يستمر عبر سلسلة الاستعادات كلها . وبالنسبة إلى نفس الشكل فغالباً ما تحتفظ الذاكرة بالحقيقة التى مؤداها أن المنظر يقع فى مكان ما بين باريس وشربورج ، وإن تعرضت المسافات بصور مختلفة للّوى . وشكل (٦) عادة ما تبدأ إدلاءاته بصورة من صور هذه اللافتة : « هذا منظر ركن طريق » . والأوصاف الخاصة بشكل (٨) تبدأ عادة بالعبارة : « هذه صورة شغب أجناسى » .

وكيما نفسر هذا النمط من الإبراز يمكننا أن نتحدث عن رغبة الشخص فى أن يسبغ ، على القصة التى سيسردها ، نوعاً من التحديد المكانى — الزمانى . ومثل هذا التحديد ، وهو ضرورى فى الحياة العادية ، نستشعر الحاجة إليه حتى حين تكون المادة التى نتناولها خيالية . وثمة عامل آخر يسند الحفظ الانتقائى للافتات المكانية

= يكون أكبر حجماً من العناصر الأخرى بشكل واضح . ثم نقدم اللوحة إلى الشخص لفترة جد وجيزه ، ونطلب إليه أن يضطلع بالإدلاء عما رآه . فنجد أنه فى جميع الحالات يدلى بالعنصر الأكبر حجماً . أما جميع العناصر الأخرى ففرصتها فى أن يراها الشخص متساوية ، وإن تكن أضأل .

والزمانية ، وهو أنها ترد عادة فى « بداية » القصة .

فالعنصر الذى يرد فى البداية فى أية سلسلة يغلب أن يحظى بتذكر أفضل بالقياس إلى العناصر التالية (أثر الأولوية) .

و « الأحداث الجارية » تعمل على الإبراز . والشكلان ٥ و ٨ يصوران مواقف تتصل اتصالا مباشراً بأحداث معاصرة للتجربة — منظر معركة حربية ، والشغب الأجناسى فى ديترويت . بالنسبة إلى شكل (٥) فإن الحقيقة التى مؤداها أن معركة كانت تدور فى فرنسا ، هذه الحقيقة قد ظهرت فى جميع الإدلاءات تقريباً . وفى شكل (٨) فإن عراك الطريق قد وصف عادة على أنه فى ديترويت وإن خلت الصورة من أية إشارة تتصل بمكان الحادث . ففى وقت إجراء التجربة كانت حوادث الشغب فى ديترويت تتسلط عليها الأضواء ويدور حولها النقاش ، ومن ثم فقد اعتبر الأشخاص من المسلم به أن صورة الحادث قد أخذت من تلك المدينة . وعن طريق إبراز المنظر بأقلمته الزمنية ضمن الإطار الحاضر يتضاءل غموض الموقف بالنسبة إلى الشخص ، إذ يحصل على أرض وطيدة يستند إليها فى سعيه وراء معنى .

والإبراز يحدث أيضاً فيما يتصل « بالرموز المألوفة » . ففى شكل (٥) مثلا نجد أن الكنيسة والصليب هما من أكثر العناصر تواتراً فى الإدلاء . فهذه الرموز المألوفة فى ثقافتنا تعنى الكثير ويعرفها الجميع . فالشخص يستشعر الأمان من الزلل فى إدلائه بها وذلك لأنها جد مألوفة . ومثل هذه الرموز تضطلع أيضاً فى يسر بدور فى عملية « مسايرة العرف » ، وهى جانب عظيم الأهمية فى تطور الإشاعة (انظر موضوع « مسايرة العرف » فى نهاية فصل ٨) .

ونجد فى شكل (٨) أن الهراوة ، وهى رمز سلطة البولس ، عادة ما تنعم بالبروز خلال سلسلة الإدلاءات كلها . وفى شكل (٧) نجد موسى الحلاقة ، وهو رمز جامد النمط لفظاظة الزنوج ، يحظى فعلا على الدوام بالحفظ والإبراز . ومن وقت إلى آخر عبر التجربة يصور الإدلاء موسى الحلاقة على أنه « مرفوع » و « يلوح به » ، مما يوضح عملية إبراز إضافية عن طريق إسباغ الحركة .

و « الإغلاق » صورة من صور الإبراز . وهو يشير إلى ما عند الشخص من

دافع إلى أن يجعل تجاربه من الاكتمال والتماسك والدلالة إلى أقصى حد ممكن . وتوجد أمثلة كثيرة على الإغلاق فى البروتوكولات التى أوردناها . ففى شكل (٦) تنطوى اللافتات على أخطاء وانتقاصات كثيرة متعمدة ، مما يختفى أثناء التجربة بفضل الإغلاق . فكلمة Bow (باو) مثلا يتم الإدلاء بها — إن تم ذلك على الإطلاق —على أنها Bowling (باولنج) . واسم Gene Antry (جين أنترى) على لافتة صالة السينما يتحول دائماً عند الإدلاء إلى Gene Autry (جين أوترى) . وكلمتا Lucky Rakes (لكى ركس) تصبحان عادة Lucky Strikes (لكى سترايكس) . وهذه الإغلاقات عادة ما تتم فى الإدلاء الأول (ونعنى فى الوصف من الشاشة) ، وهى تؤكد ما يعرفه جميع القائمين بتصحيح البروفات من صعوبة الكشف عن الأخطاء من جانب الشخص المعتاد على الصورة الهجائية الصحيحة الكاملة .

وأحياناً ما يتمخض الميل إلى الإغلاق عن نتائج عجيبة ، كما هو الشأن فى حالة أصيص الأزهار الذى يسقط فى شكل (٦). فهذه « الغرابة » كما قلنا تستوقف انتباه الأشخاص ومن ثم تتواتر فى إدلاءاتهم . ولكن فى أحد البروتوكولات يتصحح هذا الوضع « القلق » ، فيقال إن أصيص الأزهار يبدو « مثبتاً » فى الهواء . وهذا الإغلاق الخيالى يجعل الشخص القائم بالإدلاء يستشعر الرضا ، لأن الحركة المسترسلة قد توقفت .

وصورة أخرى ممكنة من صور الإغلاق هى إدخال التفسيرات والتبريرات . وهذه الصورة هى أقل وضوحاً فى تجاربنا مما هى عليه فى إشاعات الحياة اليومية . فالإبراز عن طريق « إسباغ معنى » كان من السمات الجد مميزة لإشاعات الحرب ، حيث تم — بصورة منتظمة — تفسير حالات النقص فى السلع ، والإعاقات ، وفترات البلبلة والقلق عن طريق « الأقاصيص المروعة » عن الخسائر أو عن طريق « إلقاء اللوم » على « الخوذات النحاسية» أو « اليهود » أو « إدارة التسعيرة » أو غير ذلك . وإن عدداً كبيراً من إشاعات الحياة اليومية لا يعدو أن يكون تفسيرات وتبريرات زائفة لما نستشعره أو نعانيه فى ذواتنا .

الفصل السادس

نتائج التجارب : الإساغة

عادة ما نميز فى أحاديثنا الجارية تمييزاً قاطعاً ما بين « التفكير المنطقى » و« التفكير الانفعالى » . فنحن نقول إن هذا الكاتب أو الفنان أو الملحن إنما « يعتمد على العقل » فهو « منطقى » أو « دماغى » . بينما ذلك الآخر « يعتمد على الانفعالات » فهو « حدسى » أو « رومانتيكى » . ونحن بنفس الطريقة نعنون أحياناً عملياتنا بوصفها إما « منطقية » أو « لامنطقية » ، وأحياناً أخرى إما « معرفية » أو « وجدانية » . وفى حالات عارضة نستخدم كلمة « نزوعى » بمعنى « نضالى » أو « إرادى » فى مقابل « المعرفى » .

ومثل هذه التعارضات القاطعة ، وإن استخدمها علماء النفس أنفسهم ، إنما هى غير دقيقة . فما من نشاط عقلى يمكن أن يكون « معرفياً » خالصاً ، بمعنى أن يكون خالياً لحظتئذ من كل ما هو دوافعى أو انفعالى . فالذاكرة عادة ما ينظر إليها على أنها وظيفة « معرفية » ، ومع ذلك فإننا يستحيل علينا أن نفهم الذاكرة ما لم يكن لدى الشخص « دافع » لأن يتذكر . وقد يكون هذا الدافع قوياً من قبيل الكراهية السياسية أو الاجناسية ، وقد يكون هيناً من قبيل الرغبة فى إرضاء المجرب بتنفيذ تعليماته . ففى كل حالة تمتزج وتنصهر العمليات المعرفية (التى تشتمل على الجوانب الفكرية من الإشاعة) بالعمليات الدوافعية (وهى التى تمثل جانب الاهتمام فى الإشاعة) .

ويتضح التداخل الدفين ما بين العمليات المعرفية والعمليات الانفعالية فى هذه التغيرات التى تعانيها فى تجاربنا المادة ــ المثير خلال انتقالها . وعندما نتساءل عن هذا الذى يؤدى إلى محو بعض التفاصيل وإلى إبراز بعضها الآخر ، وعن هذا الذى يفسر تبدلات الأوضاع والإضافات وغير ذلك من أشكال التزييف التى تطبع مجرى الإشاعة ، فإن الجواب يكمن فى « عملية الإساغة » ، وهى التى ترتبط

بقوى الجذب الفعالة التى تعانيها الإشاعة من جانب الإطار الفكرى والانفعالى القائم فى عقل المستمع .

وعلى الرغم من أننا لا يحق لنا أن نقيم تعارضاً قاطعاً ما بين الأوجه الفكرية والأوجه الانفعالية فى التغير الناتج عن الإساغة ، إلا أننا ، لصالح التحليل ، سوف نتحدث عن الميول « الإساغية » التى هى نسبيًّا « لا انفعالية » ، وعن الميول الإساغية التى هى نسبيًّا « أكثر انفعالية » فى طابعها . ولكن ينبغى علينا طوال الوقت أن نعى تماماً هذه الحقيقة وهى أن الإساغة المعرفية والإساغة الانفعالية يمتزجان فى الواقع بلا تمايز .

الإساغة « اللاانفعالية » نسبياً

لقد كان علماء النفس من أتباع نظرية الجشطلت أول من اكتشف هذا النمط من الانضباط الذاتى الدينامى للتغير ، وذلك فيما يسمونه « آثار التذكر » . تذهب نظرية الجشطلت إلى أنه ما أن يتم الإدراك حتى تنشأ ضغوط تتمخض عن « إعادة انتظام الذكرى » . فى الإدراك المبدئى لا تنطبع جميع الخصائص الفيزيائية الموضوعية للمثير . فالإدراك منذ البداية انتقائى ، يميل إلى تبسيط العالم من حولنا . والذاكرة تواصل هذه العملية وتسرع بها . فالذاكرة ، بالنظر إلى أنها لا تتقيد بتواجد مثير ، تعجل بصياغة « الجشطلتات الحسنة » . فالتغير هنا يسير فى اتجاه البساطة والتناظر والتناسق الحسن . فالعقل ، كما كان يلذ لليبنتز أن يصفه ، ذاتى النشاط . فهو يجاهد ليجعل محتواه فى صيغة من الامتلاء (الاتزان) قدر الإمكان . ولهذا تنطلق عمليات « اقتصادية » من شأنها أن تتمخض فى الذاكرة عن صيغ (جشطلتات) أفضل من هذه التى كان ينطوى عليها المثير نفسه[١] .

---

(١) لقد لخص كوفكا (١٩٣٥) التجارب الأساسية التى أدت إلى الكشف عن قوانين الجشطلت . ويذهب بعض علماء الجشطلت إلى أن منحنى تغير الذاكرة لا يتأثر إلا قليلا بالترابط ما بين المادة الجديدة للذاكرة وموادها القديمة . فالتغيرات التى تحدث إنما تنتج أساساً — بحسب رأيهم — من عمليات المخ البدائية أو الوطينة . أما النقاد فهم ينادون برأى معارض ، مؤداه أن جميع التغيرات فى الذاكرة إنما ترجع أساساً إلى عمليات ترابطاتية — أى إلى تكييف المادة الجديدة مع السياقات العقلية السابقة أو مع العادات العقلية . أما نحن فإننا نقف من هذا الجدل موقف الحياد فى مناقشتنا لحالات « اللوى بالإساغة » ، فنضع تحت « الإساغة » تغيرات الذاكرة سيان منها ما يرجع إلى ميكانيزمات المخ البدائية أو إلى الترابط مع المحتوى العقلى السابق .

الإساغة بالنسبة إلى الموضوع الرئيسى

إن العناصر – كما بينا عند الحديث عن الإدراك والتذكر والإدلاء (فصل ٣) – تتعرض للإبراز أو التسوية تبعاً لمقتضيات الدافع المهيمن فى القصة . وكذلك تتعرض العناصر للّوى بحيث تجعل القصة أكثر تماسكاً ، ومعقولية ، و« استدارة » . وعلى سبيل المثال نجد فى شكل (٥) أن موضوع الحرب يحظى بالاستمرار والتوكيد فى جميع الإدلاءات ، ويتحول إلى بؤرة تجتذب « إضافات » معينة ، ومن هنا ينضاف فى أحد الإدلاءات كاهن خيالى إلى الصورة ، ويتصور إدلاء عدداً من الناس على أنهم قتلى ، وتتحول عربة الإسعاف إلى نقطة للصليب الأحمر والمبانى المهدمة تتضاعف عبر الرواية ، ومظاهر التخريب تعتريها المغالاة . فكل هذه الإدلاءات ، وإن تكن زائفة ، إلا أنها تساير وتضخم الموضوع الرئيسى : معركة حربية . فلو أنها كانت بالفعل موجودة فى الصورة ، لأدت إلى قيام جشطلت « أفضل » . فما من موضوعات غريبة على الموضوع الرئيسى تنضاف إلى القصة – ما من فطيرة تفاح ، وما من راقصات باليه ، وما من لاعبى بيسبول . ولو انضافت مثل هذه الموضوعات لأدت إلى قيام جشطلت « أردأ »[1] .

وفضلا عن « الإضافات » هنالك صور أخرى من التزييف تعمل فى خدمة الموضوع الرئيسى . فالصورة (شكل ٥) تبين عربة الإسعاف وهى محملة بالمتفجرات . ومع ذلك فالإدلاءات تقرر عادة أنها تحمل « مواد طبية » ، وهى ولا شك الحمولة التى « ينبغى » أن تكون . وهذا الخطأ الإساغى نجده أحياناً فى إدلاء الإدراك المباشر ذاته . وفى هذه الحالة « لا يرى » الشخص الذى يصف من الشاشة ما أمامه . وإنما الذى يحدث غالباً هو أن العنصر الزائف ، عنصر المواد الطبية ، يتسلل كخطأ إساغى من جانب الذاكرة .

---

(١) وثمة استثناء واحد لهذه القاعدة . فى أحد الإدلاءات الختامية (التى سترد فى نهاية هذه الفقرة) تنضاف فى القصة رخامة المدفأة ! ومن الواضح أنها تسللت إلى القصة نتيجة الإبراز الشديد للساعة فى الاستعادات المتعاقبة . فالترابط ساعة – رخامة – مدفأة هو ترابط مألوف ؛ ولقد اضطلع به القائم بالإدلاء « بطريقة آلية » . وهذا الشكل الخاص من اللوى يوضح القوة الإساغية للعادات اللغوية (انظر نهاية هذه الفقرة) .

والزنجي فى نفس هذه الصورة يكاد يوصف دائماً على أنه جندى ، على الرغم من أن ملابسه تدل على أنه مشايع مدنى . فإنها لصيغة « أفضل » أن يكون الشخص الذى يعمل فى ساحة القتال جندياً من أن يكون مدنياً بين جنود نظاميين.

وقوات العدو التى تهاجم الكنيسة أحياناً ما تنعت بأنها ألمانية ، على الرغم من أن الصورة لا تنطوى على شىء يسمح بنعتهم على هذا النحو . ولكن حيث أن شارات الطريق فى الصورة فرنسية اللغة ، فإنه يبدو من الطبيعى افتراض أن الأعداء لابد وأن يكونوا من الألمان . وهذا الاستدلال يرد عندئذ على أنه حقيقة .

« الاسترسال الحسن »

أوضحنا فى الفصل السابق كيف أن الميل إلى تحقيق الإغلاق يتمخض عن الإبراز . فالشخص يميل إلى إكمال ما ليس بكامل فى مجال المثير ، سواء أكان الصورة الأصلية أم الإدلاء المسموع . فاللافتة . . . Loew's Pa (لوزبا . . .) فى شكل (٦) تقرأ دوماً وتستعاد Loew's Palace (لوز بالاس)، و Gene Antry (جين أنترى) تصبح Gene Autry (جين أوترى) .

فكل هذا ، وكثير من قبيله ، إنما يعد أمثلة على « الاسترسال » الحسن بلغة الجشطلت . إنها توضح ليس فحسب عملية الإبراز وإنما عملية الإساغة أيضاً ، وذلك من حيث إنها تستغل بوضوح المعارف السابقة لإقامة صيغة عقلية أكثر تماسكاً وانسجاماً .

« الإساغة بالتكثيف »

يبدو أحياناً وكأن الذاكرة تجاهد كيما تحمل من العبء أقله . فبدلا من أن تتذكر عناصر منفصلة ، فقد يكون من الاقتصاد أن تصهرها جميعاً ضمن فئة عامة واحدة . وبدلا من مجموعة من لوحات الإعلان فى الطريق التحت — أرضى فى شكل (٧) ، تستقل كل منها بفرديتها ، فإن الإدلاءات تقتصر أحياناً على الإشارة إلى « لوحة إعلانات » أو ربما إلى « جملة إعلانات » . وفى وصف شكل (٦) يعد من الأفضل للوصف أن يشير إلى « جميع أنواع الفاكهة » بدلا

من تعديد مختلف العناصر الموجودة على عربة البائع . وأيضاً فى وصف شكل (٧) نجد أن الأشخاص الموجودين فى العربة ينعتون بصورة نمطية فى عبارة موجزة من قبيل : « جملة أشخاص جالسين وواقفين فى العربة » .

وكنتيجة لهذا الاتجاه ، فإن ما هو متشابه ومشترك بين عدة عناصر يحظى بالتوكيد ، بينما تضيع الفروق والخصائص الفردية للعناصر . والإساغة بالتكثيف تعيننا على فهم عملية « التنميط الجامد » ، التى تنتج من تبسيط مسرف بدافع من الرغبة فى اقتصاد الجهد العقلى . فالإشاعة لا تذهب إلى حد التمايزات الدقيقة . إنها تقنع بالحديث عن « رجل بدين ضخم »، « جمهرة » ، « يهودى » ، « يابانى ».

الإساغة بالنسبة إلى التوقع

بالإضافة إلى التغيرات التى تعين على تدعيم الموضوع الرئيسى ، فإن كثيراً من العناصر تتخذ صيغة من شأنها أن تدعم العادات الفكرية المألوفة عند العميل . فالأشياء يتم إدراكها وتذكرها على نحو ما تكون عليه « فى العادة » . ومن ثم فمخزن الأدوية فى شكل (٢) ينتقل إلى تقاطع الشارعين ليصبح مخزن الأدوية المألوف « عند الناصية » . وعربة إسعاف الصليب الأحمر تحمل مواد طبية بدلا من المتفجرات (ويعد هذا مثلا على الإساغة بالنسبة إلى التوقع وفى نفس الوقت يعد مثلا على الإساغة بالنسبة إلى الموضوع الرئيسى) . والكيلومترات على شارات الطريق فى شكل (٥) تتحول دائماً إلى أميال لتساير وحدتنا المألوفة فى قياس الأطوال . والأوصاف الخاصة بشكل (٧) غالباً ما تقرر أن الزنجى وعامل الدفاع يتجادلان على شغل مقعد خال — مما يعد مثار جدال « معقول » فى القطارات التحت — أرضية المزدحمة . والإدلاءات الخاصة بشكل (٨) تصف فى العادة الشرطى على أنه يضطلع بالقبض على الزنجى ، وإن كان القليل من الإدلاءات يشير إلى الاحتمال الأكثر وضوحاً فى الصورة وهو أن ضابط الشرطة يحتمل أن يكون قائماً بحماية الزنجى . فالشرطة معروفون « بالقبض » أكثر مما هم معروفون « بالحماية » . وباختصار فعندما تكون واقعة إدراكية فعلية فى صراع مع التوقع ، فمن المحتمل أن يتكشف التوقع عن كونه — كعامل محدد للإدراك وللتذكر — أكثر فاعلية من الموقف ذاته .

ولعل أكثر أشكال اللوى بالإساغة إبهاراً هو ما وجدناه فيما يزيد عن نصف التجارب المتصلة بموسى الحلاقة فى شكل (٧) من أنه يتحول (خلال الإدلاء) من يد الرجل الأبيض إلى يد الزنجى . وهذه الظاهرة ، التى سوف نناقشها فى تفصيل فيما يلى من هذا الفصل عند الحديث عن الإساغة بالنسبة إلى الأحكام القبلية ، إنما تعد مثلا واضحاً على الإساغة بالنسبة إلى « التوقع الجامد النمط » . فالزنوج « يفترض » أنهم يحملون الأمواس ، أما البيض فلا .

الإساغة بالنسبة إلى العادات اللغوية :

غالباً ما يكون التوقع مجرد تكييف لمادة الإدراك والتذكر لتساير « الكليشيهات » اللفظية القائمة من قبل . وعلى سبيل المثال يوصف الزنجى فى شكل (٧) على أنه من لابسى « سترة الزوت » zoot-suiter ، ومثل هذه الصيغة ، الشعاراتية فى طابعها ، تعين ليس فحسب على إبراز الصورة وإنما أيضاً على التنميط الجامد للشخص . فإن صفات الرجل تستوحى وتبقى فى الذهن ابتداء من هذه الإشارة إلى ملابسه ؛ فما دام الرجل من لابسى هذه السترة فإن الموسى تجد طريقها فى سهولة إلى يديه .

ولقد سبق أن أشرنا إلى حالة من اللوى الغريب ترجع بوضوح إلى العادات اللغوية ، وقد وقعت فى التجارب الخاصة بشكل (٥) . فالساعة فى برج الكنيسة تعانى الإزاحة إلى « رخامة مدفأة » . فحتى فى إطار منظر معركة حربية اتضح أن عادات الترابط اللغوى قد بلغت إلى قوة مسرفة عند أحد القائمين بالإدلاء . وإليك الأجزاء التى تعنينا من البروتوكول .

الاستعادة السادسة : هذه صورة ساحة قتال . توجد كنيسة chapel بساعة تشير إلى الثانية إلا عشر دقائق . وفى أسفل لافتة تشير إلى اتجاه باريس ، وباريس على بعد ١٥٠ ميلا ، وشربورج على بعد ٢١ ميلا ، والناس يقتلون فى ساحة القتال .

الاستعادة السابعة : هذه صورة ساحة قتال . يوجد كاهن chaplain[1] ،

---

(١) يبدو هذا التغير إساغة بالنسبة إلى الموضوع ، ساعد عليه أيضاً إساءة فهم اللفظ chapel (كنيسة) . (انظر فصل ٧ تحت عنوان : إساءة فهم اللفظ) .

وساعة على رخامة المدفأة تشير إلى الثانية إلا عشر دقائق . وهنالك لافتة ، كذا من الأميال إلى شربورج .

* * *

والتأثير القوى الذى تنطوى عليه الكلمات فى إثارة الصور عند السامع ، وفى تحديد الأطر التى ينبغى أن يتصور ضمنها الحادثة ، هذا التأثير إنما هو بلا شك خطوة كبرى فى عملية صياغة الإشاعة « مسايرة للعرف » . فكثير من الإشاعات يتم تناقلها دائماً تقريباً فى أنماط لفظية جامدة لا غير . فكثيراً وكثيراً ما تشتمل الإشاعات على عبارات شعاراتية الطابع تكثّف أحكاماً قبلية، وذلك من قبيل : « الزوّاغون من الخدمة » ، « جواسيس اليابان » ، « الخوذات النحاسية » ، « السويدى الأبكم » ، « أساتذة القرون الوسطى » .

الإساغة الأكثر حظاً من الدوافعية :

إن الظروف التى أجريت فيها تجاربنا ، وكما سبق أن بينا ، لم تفسح مجالا طليقاً للميول الانفعالية التى تنطوى عليها فى العادة التقولات والإشاعات والفضائح. بيد أن هذه الميول عميقة الجذور فى الطبيعة البشرية ، وأحياناً ما تعبر عن نفسها حتى فى الظروف المعملية .

الإساغة بالنسبة إلى الاهتمام بالملابس (عند النساء) :

حصلنا بالنسبة إلى شكل (٦) على البروتوكول التالى، من جماعة من طالبات الكليات . وفيه يتجلى الاهتمام متصلا عنيداً خلال السلسلة كلها بالصفقات والملابس . ولم يرد ذكر الملابس بهذه الصورة البارزة فى أى من إجابات جماعات الذكور .

بروتوكول (ح)

(يوضح الإساغة بالنسبة إلى اهتمام خاص)

الوصف من الشاشة : تمثل الصورة منظراً لتقاطع شارع ١٦ وشارع بارتلت . والشيء الرئيسى لافتة كبيرة عليها « خردوات ليفى وأولاده » . وللمتجر فترينتان . على إحداهما مكتوب « أوكازيون اليوم » وتوجد ثلاثة فساتين قبيحة . والفترينة الأخرى عليها لافتة « صفقات » . رجل واقف بجانب عربة فاكهة يصرخ فى صبى يحاول أن يسرق بعض الفاكهة . يوجد قاوون القطعة بخمسة سنتات ، وكمثرى وفواكه أخرى . وفى مقدمة الصورة زنجى على مقربة من عربة الفاكهة . وشرطى زنجى مقبل فى الشارع . والصبى الزنجى يقف بجوار اللافتة « شارع ١٦ وشارع بارتلت » . يوجد كلب واقف فى الطريق ، وقطة تحاول إخراج الفضلات من صندوق . يوجد مسرح « لوز بالاس » ، واسم جين أوترى يمثل فى شيء أو آخر . والمسرح مغلق ولا أحد فى شباك التذاكر . ويوجد غسيل مشدود على حبل عبر الطريق . وتوجد صالة لعب فى أعلى مسرح السينما . ويوجد مستودع على الجانب الآخر من الشارع . وتسير بجوار المستودع امرأة بدينة ضخمة تحمل مظلة .

الاستعادة الأولى : الصورة لمنظر فى مدينة كبيرة . ويوجد العديد من المتاجر ، وكثير من اللافتات على المتاجر . والناصية الرئيسية هى عند شارع ١٦ وشارع بارتلت توجد متاجر كثيرة على اثنين منها « أوكازيون » و « صفقات » . ويوجد متجر اسمه « إخوان ليفى » . وأمام المتجر عربة كبيرة للفاكهة تبيع السودانى والقاوون والكمثرى والتفاح . وشريحة القاوون بخمسة سنتات للقطعة . توجد امرأة بدينة تهبط الطريق ، ودلو قمامة وقطة تنبش فيه . وفى الخلف مسرح « لوز » ، وجين أوترى يمثل ، وهو خال . يوجد متجر به صفقات ، والملابس فيه ليست أنيقة .

الاستعادة الثانية : مدينة كبيرة وبها الكثير من اللافتات . فى كثير من المتاجر لافتات صفقات ولافتات أوكازيون . وأحد المتاجر به ملابس غير جذابة بالمرة .

وإحدى اللافتات عليها شارع ١٦ وشارع بارتلت . يوجد مسرح لوز يمثل فيه جين أوترى ، وهو خال الآن . يوجد دلو قمامة وقطة تنبش فى دلو القمامة . امرأة بدينة تهبط الطريق . ويوجد بائع فاكهة على جانب الطريق، يبيع السودانى ، والقاوون ، والتفاح ، والبطيخ ، الشريحة بخمسة سنتات .

الاستعادة الثالثة : إنها صورة مدينة بشوارع كبيرة . يوجد الكثير من اللافتات والكثير من المتاجر . وكثير من المتاجر بها صفقات . وفى أحد المتاجر الملابس غير جذابة بالمرة . يوجد مسرح لو . حيث كان جين اوترى يمثل ، وهو الآن خال . لافتة عليها شارع ٧ وشارع بارتلت . امرأة بدينة تهبط الطريق . وقطة تأكل من صندوق قمامة . بائع فاكهة يبيع الكمثرى والتفاح ، والقاوون ، والبطيخ بسعر الشريحة خمسة سنتات .

الاستعادة الرابعة : إنها صورة مدينة بها شوارع كثيرة . يوجد عدد جد قليل من المتاجر عليها لافتات صفقات . وفى أحد المتاجر توجد على الأخص ملابس غير جذابة . يوجد مسرح لو حيث كان جين أوترى يمثل ، وهو الآن مغلق . توجد امرأة بدينة ، وقطة تأكل من دلو قمامة . يوجد بائع فاكهة يبيع الكمثرى ، والتفاح ، وشرائح القاوون القطعة بخمسة سنتات .

الاستعادة الخامسة : هذه صورة منظر شارع . يوجد كثير من المتاجر ولافتات مختلفة عن صفقات أوكازيون . يوجد بصفة خاصة ملابس غير جذابة فى أحد المتاجر . توجد امرأة بدينة تهبط الطريق ، وقطة تأكل من دلو قمامة . يوجد بائع فاكهة يبيع التفاح والقاوون ، القطعة بخمسة سنتات .

الاستعادة السادسة : منظر شارع . توجد عدة شوارع ، تلتقى معاً . المتاجر عليها لافتات عن صفقات مختلفة . وتوجد ملابس غير جذابة فى أحد المتاجر . امرأة بدينة تهبط الطريق . قطة تأكل من صندوق قمامة . يوجد بائع فاكهة يبيع القاوون بسعر خمسة سنتات ، والتفاح وفواكه مختلفة الأنواع .

* * *

الإساغة بالنسبة إلى الاهتمام المهنى :

إن الأشخاص العسكريين الذين أجرينا عليهم تجاربنا يمكن أن يقدموا لنا

أيضاً مثالا . فى الإدلاءات عن شكل (٥) كشفت هذه الجماعات عن اهتمام خاص بتعيين الساعة للوقت من النهار ، وبقراءة شارة الطريق المحددة للمسافات والاتجاهات . فالتدريب المهنى قد جعلهم أكثر تنبهاً لهذين الأمرين .

وفى حالة جماعة من الأشخاص المرضى فى مستشفى عسكرى ، لوحظ أنه فى جميع الأوصاف المتعلقة بالمناظر الحربية ، كان الجنود يوصفون فقط على أنهم « الرجال » . ومن ناحية أخرى ففى كل الجماعات المدنية كان نفس الجنود يوصفون على أنهم « الجنود » . وهذه الظاهرة الضئيلة تكشف عن قوى الإساغة التى ترجع إلى إطار مرجعى ، هذا الذى يتبناه الأشخاص بطريقة لاشعورية . فبالنسبة إلى المرضى فى المستشفى العسكرى ، وهم منعزلون عن الحياة المدنية ، يبدو جميع الجنود مجرد « رجال » ، وذلك لأن جميع الرجال فى مجال حياتهم هم جنود . أما بالنسبة إلى المدنيين فالرجال ليسوا بجنود ، اللهم إلا إذا تم تحديدهم على هذا النحو .

الإساغة بالنسبة إلى الاهتمام بالذات :

تنتشر غالبية الإشاعات لأن النـــاس يسعون إلى « سن فؤوسهم » ، و« تربيش أعشاشهم » و « تسكين شياطينهم » . وباختصار فإنها تنتشر بسبب صورة من صور المصلحة الذاتية .

ويمكن توضيح هذه النقطة بالرجوع إلى شكل (٨) ، الذى استخدمناه مع جماعة من ضباط البوليس . ففى البروتوكول الذى حصلنا عليه ، نلاحظ كيف أن الاستعادة برمتها تتمركز حول ضابط البوليس (هذا الذى شعر الأشخاص ولاشك إزاءه بتعاطف شديد أو « بالتطابق ») . فالهراوة ، وهى رمز قوته ، تتعرض بشدة للإبراز ، بحيث تصبح الموضوع الرئيسى فى الخصومة . والقصة فى إجمالها منافحة عن رجل البوليس وفى صالحه .

بروتوكول (ط)

(يوضح الإساغة بالنسبة إلى « الاهتمام بالذات » عند ضباط البوليس)

الوصف من الشاشة : هذه صورة مقتبسة من صور فيلم ظهرت فى مجلة أهلية . والمنظر فى ديترويت أثناء الشغب بين البيض والزنوج . هنالك حشد حول ضابط بوليس يحمل هراوة فى يده اليمنى ، وزنجى جالس على الأرض وقد أمسك بساقيه . وإلى اليمين صبى يجرى مبتعداً . وإلى اليسار وفى مواجهة الضابط رجل ينظر بعداء ولكنه يخاف أن يقترب بسبب الهراوة . والحشد يضم تقريباً ١٠٠ شخص .

الاستعادة الأولى : الصورة على الشاشة مقتبسة من صور فيلم أخذ أثناء الشغب فى ديترويت . وفى الصورة ضابط بوليس بهراوة فى يده اليمنى وهو واقف من فوق رأس رجل جالس على الأرض . وإلى اليمين صبى صغير ، وإلى اليسار رجل يريد أن يتدخل ولكنه يخاف من هراوة الشرطى .

الاستعادة الثانية : هذه صورة مقتبسة من فيلم أخذ أثناء الشغب فى ديترويت . يوجد ضابط بهراوة فى يده ، ورجل على الأرض . ويوجد صبى صغير ورجل يريد أن يتدخل ولكنه خائف .

الاستعادة الثالثة : صورة مأخوذة أثناء الشغب فى ديترويت . يوجد رجل فى الصورة وأيضاً ضابط بوليس . وفى يد الرجل هراوة ويريد أن يتدخل ، ولكنه لا يفعل ذلك لسبب ما . يوجد أيضاً طفل[١] .

الاستعادة الرابعة : هذه صورة للشغب فى ديترويت ، تمثل شرطياً ومدنياً . وبيد الشرطى عصا بوليس ، والرجل يريد أن ينتزعها منه .

الاستعادة الخامسة : صورة للشغب فى ديترويت . يوجد ضابط بوليس بهراوة . وشخص يريد أن ينتزعها منه .

* * *

وفيما يلى بروتوكول عن نفس الصورة لجماعة من الأشخاص ليسوا من رجال

(١) لاحظ التزييف الذى سيتصحح فى الاستعادات التالية ، بفضل « الإساغة بالنسبة إلى التوقع » .

البوليس (فى هذه الحالة بالذات ، جماعة من المدرسين) . والبروتوكول يوضح كيف تختلف تماماً بؤرة الاهتمام ويختلف اتجاه التعاطف باختلاف الجماعات المهنية .

بروتوكول (ى)

(يوضح اتجاه التعاطف فى جماعة مهنية مختلفة)

الوصف من الشاشة : الأمر الأول ، هنالك دلائل على حرب أجناسية . يبدو أن هنالك جماعة من الأفراد تغلب عليهم العدائية . وفى الوسط رجل يبدو أنه زنجي. ومن فوق رأسه يقف شخص بهراوة فى يده . ثم هنالك شخص عدوانى جداً ، منقبض اليد ، فاغر الفم ، تنم ملامحه عن التهديد . وفى أقصى اليسار زنجي آخر يحاول الهرب . واتجاه الجماعة ينذر بالوعيد . والضحية البائسة فى الوسط يبدو بغير حذاء .

الاستعادة الأولى : يبدو أن هذا يمثل مشكلة أجناسية بعنوان « حرب أجناسية ». فى الوسط زنجي فى حالة مؤسفة . إنه فى أشد حالات الفقر ، وبغير حذاء ، وهو فى وسط حشد شديد العدائية من أشخاص يحملون هراوات أو جرائد ملفوفة . وفى الخلف يقف شرطى تؤيده الجماعة . وفى الجانب الآخر زنجي يحاول الهرب .

الاستعادة الثانية : الحادث يتعلق بمسائل أجناسية . من الواضح أنه يوجد زنجي وسط حشد ، رث الملابس وبغير حذاء ، ويحيط به أشخاص يهددون . وبجواره ضابط بوليس تؤيده الجماعة . وليس من الواضح ما إن كان الزنجي فى حالة القبض عليه . وهنالك فى الناحية الأخرى زنجي يحاول الهرب . وهنالك هياج شديد .

الاستعادة الثالثة : كأنما نسير معاً أنت وأنا فنلتقى بجماعة من الناس . هنالك شيء غير عادى . فى الوسط زنجي كان فى مشاجرة . إنه بغير حذاء . وبجواره يقف شرطى يبدو منزعجاً . لست أدرى إن كان الزنجي فى حالة القبض عليه . وفى الجانب زنجي آخر من المشتركين وهو يحاول الهرب .

الاستعادة الرابعة (من زنجى) : هذه « لمة » من الناس . جماعة من الناس مهتمون بحادث . مركز الاهتمام شاب زنجى بملابس ساء وضعها ، حافى القدمين ، ودلائل أخرى تشير إلى أنه تعرض لسوء المعاملة . وعلى مقربة منه ضابط بوليس يحاول فض الموقف . وليس من الواضح ما إن كان ضابط البوليس قد قبض على الزنجى أو أنه يحاول حمايته . وفى الحلقة الداخلية زنجى آخر يحاول فيما يبدو الابتعاد عن التجمع .

* * *

الإساغة بالنسبة إلى الحكم القبلى :

مهما تكن ، فى موقف التجربة ، صعوبة الحصول على أمثلة للوى الناتج عن العدائية ، فإننا مع ذلك نجد فى المادة التى بين أيدينا مجالا لاقتفاء آثار العقد العدائية للاتجاهات الأجناسية . ولقد تكشف شكل (٧) عن خصوبة خاصة من هذه الزاوية .

ففى أكثر من نصف الإدلاءات الخاصة بهذه الصورة ، نجد فى مرحلة ما من مراحل سلسلة الإدلاءات ، أن الزنجى (بدلا من الرجل الأبيض) ينعت بأنه يحمل موسى الحلاقة فى يده . وفى عدد من الحالات قيل عنه إنه « يلوح » بالموسى فى وحشية ، أو أنه « يهدد » به الرجل الأبيض . وفى بعض الحالات تم ارتحال الموسى من الرجل الأبيض إلى الزنجى فى مرحلة باكرة من سلسلة الاستدعاءات ، وفى حالات أخرى تم ذلك فى المرحلة الختامية .

ولا نستطيع أن نجزم ما إن كان هذا اللوى المشئوم يعبر عن العدائية أو الخوف بإزاء الزنوج . ففى بعض الحالات يمكن أن تكون هذه الانفعالات العميقة هى قوى الإساغة الفعالة ، وإن كان التزييف يمكن أيضاً أن يتم من جانب أشخاص ليست لديهم عدائية صريحة ضد الزنوج . فهنالك استعداد كبير لدى الناس لأن يتقبلوا من غير تمحيص النمط الثقافى الجامد والشائع عن الزنجى بوصفه حاد المزاج ولعاً باستخدام الأمواس كأسلحة ، بحيث أن الإدلاء يمكن أن لا يعنى شيئاً أكثر من إساغة بالنسبة إلى « الكليشيهات اللفظية » و « التوقع المساير

للعرف » . ومن هنا فاللوى فى هذه الحالة لا يعنى « بالضرورة » الإساءة بالنسبة إلى الكراهية . والكثير مما يعد حكماً قبليًّا إن هو إلا مجرد مجاراة للأساليب الشعبية الشائعة .

وفيما يتصل بهذا الشكل نفسه (رقم ٧) كانت إدلاءات الأشخاص الزنوج تنم أحياناً عن نمط من اللوى عميق الدوافع . لقد كان دافعهم هو الرغبة (بالنظر إلى مصلحتهم كأعضاء فى الجنس الزنجى) فى التهوين من حدة الصورة الزنجية .

بروتوكول (ك)

(توضح الإساءة بالنسبة إلى الاهتمام الأجناسى بالذات)

الوصف من الشاشة : المنظر فى عربة « السريع » ، تتجه إلى كورتلاند بارك ، وهى تمر الآن بمحطة شارع ديكمان . يوجد رجل جالس يقرأ جريدة . وبجانبه امرأة . ويوجد أيضاً ثلاثة أشخاص آخرون يجلسون هناك : امرأة برضيع ، ورجل بلحية ، ورجل أصلع . فى المقدمة يقف رجلان ، زنجى فى سترة من طراز « الزوت » ، ورجل آخر فى ملابس الشغل . إنهما فى خلاف ، وربما كان ذلك على المقعد الخالى بجوارهما . والولد الذى يرتدى عفريتة الشغل يبدو أنه يحمل سلاحاً فى يده يشبه موسى الحلاقة . وثلاثة من الأشخاص الجالسين يرقبون الشابين ، متسائلين عما يمكن أن ينتهيا إليه . والزنجى فى سترة الزوت ليس مضطرباً ، بينما الرجل الذى فى ملابس الشغل منفعل بكليته ، ويشير بيده إلى لافتة فى أعلى . ويبدو أنه يحتكر الحديث فى تلك اللحظة . وتوجد عدة لافتات فى أعلى . إحدى اللافتات تعلن « دخنوا لكيز » ، واللافتة الثانية إعلان عن صابون جوسلنج ، وبها رسم بطة ، واللافتة التالية إعلان عن معسكر : « اقض إجازتك فى معسكر ايدلوايلد » . واللافتة الأخيرة إعلان سياسى : « انتخب ماكجينيز عن أولدرمان ».

الاستعادة الأولى : يوجد قطار سريع عليه « كورتلاند بارك » ويمر بشارع ديكمان . رجل أصلع يقرأ جريدة . وبجانبه امرأة برضيع وثلاثة أشخاص آخرون . يوجد مقعد خال . شابان ، زنجى فى سترة من طراز الزوت والآخر فى ملابس

الشغل يحمل موسى حلاقة ، ينظران إلى اللافتات . توجد لافتة : « دخنوا لكيز » ، ولافتة أخرى عن نوع من الصابون ، وأخرى عن معسكر أيدلوايلد . وتوجد لافتة انتخاب لمركز ما .

الاستعادة الثانية (من زنجى): الصورة فى قطار سريع . يوجد رجل وامرأة وطفل وأشخاص آخرون فى القطار . يوجد شخص فى سترة من طراز الزوت ، وربما كان زنجياً . توجد صورة فى العربة تعلن عن سجاير وصابون وشىء عن موسى حلاقة لا أدرى ما هو . وحادثة وقعت .

الاستعادة الثالثة (من زنجى) : الصورة تمثل داخل قطار . يوجد رجل وامرأة وطفل . رجل يبدو أنه فى سترة من طراز الزوت . وهم غير متأكدين ما إن كان زنجياً أم لا . يوجد شخص يبيع سجاير وصابون . وقعت حادثة ، بها شىء عن موسى حلاقة .

الاستعادة الرابعة : يجرى المنظر فى قطار . يوجد رجل وامرأة وطفل ورجل فى سترة من طراز الزوت . وهم غير متأكدين ما إن كان الرجل زنجياً أم لا . وقعت حادثة فيها موسى حلاقة .

الاستعادة الخامسة : المنظر يجرى فى قطار . يوجد رجل وامرأة وطفل ورجل فى سترة من طراز الزوت. ولست متأكداً ما إن كان هو نفس الرجل أم رجل آخر . وقعت حادثة ، ولم تقدم عنها تفاصيل .

* * *

ومن هذه الإدلاءات يتضح أن القائمين بالإدلاء من الزنوج ، على الرغم من التعليمات الموجهة إليهم بإعادة ما يسمعونه بأقصى دقة ممكنة ، قد كشفوا عن ميل إلى :

١ — استبعاد واقعة أن الشخص الذى فى الصورة كان زنجياً ، أو على الأقل الإشارة إلى هذه الحقيقة فى سياق عرضى ما أمكن .

٢ — التهوين من حدة الخصائص غير المحببة التى تنسب إلى أفراد الجنس الزنجى . فلقد تم تجنب العبارات من قبيل « الملابس الفاقعة » . وما من زنجى

واحد قد اتجه بتلقائية لنقل موسى الحلاقة من يد الرجل الأبيض ليضعه فى يد الرجل الزنجى .

وثمة شخص زنجى قد استبعد فى نقله للوصف الخاص بشكل (٥) الحقيقة الخاصة بأن الشخص المركزى فى الصورة، والذى يوشك أن يلقى بقنبلة يدوية ، هو زنجى (بروتوكول ل) . ولعله قد استشعر بأنه لو ضمن وصفه إشارة إلى الزنوج (وحتى ولو لم تنطو على التحقير) فإنه بذلك يشجع الأحكام القبلية والأنماط الجامدة .

بروتوكول (ل)

(يوضح أيضاً الإساءة بالنسبة إلى الاهتمام الأجناسى بالذات)

الوصف من الشاشة : هذا منظر معركة حربية . الأشخاص الأربعة الرئيسيون هم جنود يضطلعون بهجمة على جماعة تحتمى فى كنيسة . يوجد جندى زنجى على وشك أن يلقى بقنبلة يدوية . وهنالك رجلان على ركبتيهما فى مقدمة الصورة، أحدهما يطلق النار ، والآخر يرقب من خلال منظار . والشخص الرابع من هؤلاء رجل مجروح فى ذراعه وراقد على الأرض . والمنطقة على مسافة ٢١ ½ كيلومتر من باريس و ٥٠ كيلومتراً من شربورج . وفى الخلف عربة إسعاف ، مع عدد من الجنود « المراسلات » يهرعون إلى مسرح المعركة . أما الكنيسة التى يحتمى بداخلها العدو فهى كنيسة من الطراز القديم ذات برج عال ، تشير ساعته إلى الثالثة إلا عشر دقائق (صياح من جانب جمهور النظارة ينبه إلى أن الوقت هو الثانية إلا عشر دقائق) . والجنود المهاجمون ، الذين لا تعرف هويتهم ، يحتمون خلف حائط حجرى . وفى الناصية توجد لافتة مكتوب عليها « خبز ونبيذ » . وفى الجو طائرتان تتقاتلان . وفى الخلف القنابل تتفجر .

الاستعادة الأولى (من زنجى) : تمثل الصورة منظر معركة حربية . العدو يحتمى فى كنيسة لها برج به ساعة تشير عقاربها إلى الثانية إلا عشر دقائق . توجد قنابل تتفجر فى الخلف ، وطائرتان من فوق : والقوة المهاجمة سقط منها رجل

جريح . إنها تقاتل من وراء حائط حجرى . توجد لافتة عليها ٢١½ ميل إلى شربورج و ٥٠ ميلا إلى باريس .

الاستعادة الثانية : الصورة يفترض أنها تمثل منظر معركة حربية . العدو يحتمى فى كنيسة لها برج تشير ساعته إلى الثانية إلا عشر دقائق . توجد طائرات فى الخلف ، وقنابل تتفجر أيضاً . توجد أيضاً شارة طريق عليها : ٥٠ ميلا إلى باريس و ٢١ ميلا إلى شربورج .

الاستعادةالثالثة : الصورة لمنظر معركة حربية . توجد كنيسة فى الخلف لها ساعة تشير إلى الثانية إلا عشر دقائق . توجد طائرة وقنبلة تتفجر . شارة طريق عليها : ١٥٠ ميلا إلى باريس و ٢١ ميلا إلى شربورج .

والإدلاءات التالية تكشف عن نفس الخصائص المميزة لهذه الإدلاءات .

* * *

وفى الإدلاءات الخاصة بمنظر الشغب فى ديترويت (شكل ٨) قام واحد من الزنوج فى إدلائه بتأويل الموقف المتسم بالغموض فى صالح الزنجى الذى يشغل المكان المركزى فى المنظر . فإن العبارة القائلة بأن الزنجى كان فى « مشاجرة » تصبح توكيداً بأنه قد عانى « معاملة سيئة » .

وهكذ ، فحتى فى الظروف المعملية نجد إساغة بالنسبة إلى الحاجات الانفعالية العميقة . والإشاعة إنما تميل إلى أن تتلاءم مع ، وإلى أن تدعم ، الاهتمامات المهنية ، أو العضوية الطبقية أو الأجناسية ، أو الأحكام القبلية عند الشخص القائم بالإدلاء . حقاً ، إن حالات اللوى الانفعالى التى نصادفها فى تجاربنا هى أقل وأقل جداً مما هى عليه فى إشاعات الحياة اليومية . ومع ذلك فالميكانيزمات هى هى . وعلى الرغم من الظروف المعملية المقيدة ، فلعلنا قد نجحنا فى توجيه الانتباه إلى جميع الأشكال الأساسية التى يتخذها اللوى بالإساغة .

الفصل السابع

نتائج التجارب : خاتمة

تبدأ غالبية الإشاعات كرواية لحدث واقعي — ومعنى هذا أنها تبدأ من تجربة إدراكية عاشها شخص لحدث يراه من الأهمية والجاذبية بحيث يستحق أن ينقل إلى الآخرين .

وعادة ما يستمر محور الإشاعة (موضوعها الرئيسى) حتى النهاية . فأقصوصة معادية لليهود تظل معادية لليهود ، وقصة الرعب تظل قصة رعب . ولقد تبين هارتيجنبوش (١٩٣٣) Hartegenbusch ما يتسم به الموضوع الرئيسى من مقاومة للتغير ، وذلك فى تجاربه التى تم فيها استعادة سلسلية لجمل ولقصص قصيرة على السواء من جانب أشخاص من أعمار مختلفة وثقافات متنوعة . وكيفما كانت طبيعة المادة ، وكائناً ما كان نوع الأشخاص ، فإن الموضوع الرئيسى كان دائماً أبداً أقل العناصر تعرضاً للتغير . وبالمثل فإن تفحص الإدلاءات الختامية فى تجاربنا يرينا فى غالبية الحالات أن الموضوع المحورى ، وإن عانى التهيكل واللوى الشديد ، فإنه ما يزال وشيج الصلة بالحادث الأصلى .

نقلة الموضوع :

بيد أن هنالك حالات تشذ عن هذه القاعدة . فدفعة واحدة أحياناً يمكن لبعض التفصيلات الهامشية أن تحظى بالإبراز على حساب الموضوع الرئيسى ، مما يتمخض عن ظهور موضوع جديد . ففى بروتوكول (ز) نجد أن الإدلاءات فى البداية تتمركز حول الصبى الذى « يسرق » الفاكهة من عربة البائع . ولكن فى الإدلاءات اللاحقة تحدث نقلة فى الموضوع المركزى إلى ما يتصل « باللعب » و« السقوط » : يوجد صبية « يلعبون » الكرة ، وتوجد لافتة عليها « ممنوع لعب الكرة » ، ثمة فيلم عن رواية « تلعب » فى مسرح السينما ؛ «أصيص أزهار » يسقط خارج النافذة ، والسيجار الذى يدخنه شخص فى نافذة أخرى « يسقط » هو الآخر .

وفى البروتوكول التالى ، المستند إلى شكل (٧) ، نجد أن الإعلان الذى يدعو إلى انتخاب « ماكجينيز » ، وهو واحد من عدة ملصقات ، يتعرض للإبراز بدرجة جد مسرفة . فالإدلاء الختامى مؤداه أن ثمة هياجاً فى العربة وأناساً يصيحون « انتخبوا ماكجينيز عن « أولدرمان »[1] . أما الموضوع المركزى الأصلى — وهو الشجار ما بين عامل الدفاع والزنجى — فقد اختفى تماماً . ولكن حتى فى هذه الحالة ، لا يستطيع أحد القول بأن الإدلاء الختامى هو برمته « نسيج من الأكاذيب » فإن نواة من واقع المنظر الأصلى ما تزال باقية : فالطريق التحت أرضى ، والكاهن اليهودى ، والمرأة ، والإشارة إلى ماكجينيز ، كلها تعبر عن مسائل واقعية .

بروتوكول (م)

(يوضح نقلة الموضوع)

الوصف من الشاشة : يجرى المنظر فى قطار تحت أرضى بنيويورك ، متجه إلى كورتلاند بارك أو شارع كورتلاند . يوجد سبعة أشخاص — خمسة جالسون واثنان واقفان . جنتلمان عجوز يلبس قبعة ويقرأ فى « البوسطون جلوب » . توجد امرأة تلبس قبعة . يوجد كاهن يهودى يقرأ فى كتاب صغير . وبجواره رجل أصلع . امرأة فى فستان مشغول (polka-dot) تحمل رضيعاً . يوجد شخصان واقفان — زنجى ورجل أبيض . والزنجى يرتدى سترة من طراز « الزوت » . والرجل الأبيض عامل ويمسك فى يده موسى حلاقة . ويبدو أنهما يتجادلان ، والأشخاص الآخرون على بينة من النقاش . وتوجد عدة لافتات إعلانية : « تعال إلى معسكر أيدلوايلد » ، « انتخب ماكجينيز عن أولدرمان ، الأمين ،

---

(١) إن الإبراز العجيب للافتة الانتخاب فى هذا المثل إنما يعبر أيضاً عن الإساغة بالنسبة إلى الاهتمامات المحلية . فلقد كان الأشخاص فى هذه التجربة من طلبة الكلية ، الذين كان من بين أساتذتهم واحد اسمه « ماكجينيز » . ولقد اجتذب هذا الاسم المألوف الانتباه مما أدى إلى هذه الصورة الدرامية من الإبراز .

المضمون ، الجدير بالثقة ، رجل الشعب » . توجد أيضاً لافتة عن صابون جوسلنج . والقطار سريع .

الاستعادة الأولى : المنظر فى قطار تحت أرضى بنيويورك متجه إلى فان كورتلاندبارك . إنه قطار سريع . يوجد سبعة أشخاص — خمسة جالسون واثنان واقفان . توجد سيدة فى فستان مشغول ، وكاهن يهودى يقرأ كتاباً ، ورجل يقرأ صحيفة البوسطون جلوب ، ورجل ينظر من فوق كتف سيدة . شخصان واقفان — رجل أبيض وزنجى . الرجل الأبيض بيده موسى حلاقة . وهما يتجادلان ولكن لا أحد يصغى إليهما . وتوجد لافتتان أو ثلاث . واحدة عليها : « انتخب ماكجينيز عن أولدرمان » أو « كعمدة » . وأخرى عن الصابون .

الاستعادة الثانية : يوجد قطار متجه إلى فان كورتلاند بارك . به خمسة أشخاص جالسون واثنان واقفان . توجد سيدة فى فستان مشغول ، وكاهن يهودى ، وسيدة أو رجل يقرأ صحيفة البوسطن جلوب . شخص ينظر من فوق كتف السيدة . شخصان واقفان — أحدهما رجل أبيض والآخر زنجى . والرجل الأبيض فى يده موسى حلاقة . وهنالك إعلانان : أحدهما يقول « انتخب ماكجينيز عن أولدرمان » أو لمنصب آخر .

الاستعادة الثالثة : يوجد قطار تحت أرضى متجه إلى فان . . . . حاجة . به رجل واقف وأيضاً رجل جالس يقرأ صحيفة البوسطون جلوب ، وكاهن يهودى . توجد امرأة فى فستان مشغول . توجد لافتات فى القطار التحت أرضى ، إحداها تقول « انتخب ماكجينيز عن أولدرمان » .

الاستعادة الرابعة : هذا قطار تحت أرضى متجه إلى فان . . . حاجة . يوجد حشد فى القطار وأيضاً كاهن يهودى . يوجد نوع من الهياج والناس يصيحون « انتخبوا ماكجينيز عن أولدرمان » ، أو شيئاً آخر . امرأة جالسة مشغولة بشىء لا أتذكره .

الاستعادة الخامسة : يوجد قطار تحت أرضى متجه إلى فان . . . حاجة . يوجد حشد فى القطار ، ويوجد كاهن يهودى فى القطار . يوجد نوع من الهياج والناس يصيحون : « انتخبوا ماكجينيز عن أولدرمان » . توجد أيضاً امرأة فى

القطار جالسة ومشغولة بشيء .

* * *

وثمة حالة أخرى تستند إلى شكل (٧) ، وتعد أكثر تطرفاً إذ تكشف عن نقلتين فى الموضوع خلال البروتوكول . فنى الوصف الأصلى يتمركز المنظر حول خلاف ما بين الزنجى والعامل الأبيض . فى الاستعادة الأولى تعانى البؤرة نقلة إلى اللافتات التى فى العربة . وعندئذ لا يوصف المتخاصمان على أنهما يتشاجران ، وإنما يوصفان على أنهما كليهما ينظران إلى اللافتات . وفى الاستعادة الثانية تقحم حادثة وهمية وتستمر إلى نهاية السلسلة . ولكن حتى فى هذه الأحيولة تظل الواقعة الموجّهة على صحتها ، ونعنى أن هذه الحادثة الخيالية تقع فى قطار تحت أرضى .

وعلى الرغم من أن نقلات الموضوع هذه لا تقع إلا فى قلة قليلة من الحالات ، فإنها تعد مع ذلك من أهم النتائج المستلفتة للنظر فى تجاربنا . وحين تقع هذه النقلات يبدو أنها ترجع إلى ما ينال بعض التفصيلات الثانوية من « إبراز » . وما إن يبرز موضوع جديد حتى يبدأ فى ممارسة تأثيره ، وفى إساغة — ما أمكن — كل التفصيلات الجزئية الأخرى فى القصة بالنسبة إليه .

الاختلاق والتطوير التشكيلى :

ثمة عدد قليل من الحالات نستطيع أن نتحدث فيها عن الاختلاق الصريح ، وذلك حين يظهر أحد العناصر على نحو لا يمكن تفسيره على أنه مجرد لوى لعنصر من العناصر التى وردت فى الاستعادة السابقة . وبتعبير آخر فإن الاختلاقات تكاد تكون دائماً حالات من الإساغة . فالتفصيلات الوهمية الملائمة للموضوع المركزى يمكن أن تصدر عن الراوى . ونذكر على سبيل المثال فى شكل (٦) كيف تمت مناغمة « القسيس » ضمن المنظر الحربى . وفى البروتوكول الأخير الذى عرضناه ، رأينا كيف أن أحد الرواة قد أضاف حشداً انتخابياً صاخباً فى القطار التحت أرضى « ليسبك » قصة ترشيح ماكجينيز . وفى الإدلاءات الخاصة بشكل (٨) قام أحد الأشخاص (بروتوكول ى) بتزويد الدهماء بالهراوات أو الجرائد الملفوفة . وإنه لمن « المعقول » ، ليس فحسب أن نتوقع من أفراد الدهماء أن يحملوا الهراوات ،

وإنما أيضاً أن يجد هذا الاختلاق فى الإساغة بالنسبة إلى هراوة رجل البوليس ما يعجل به ، تلك الهراوة التى يجرى الإدلاء عنها بصورة صحيحة . فإذا كان هنالك سلاح ، فلم لا يوجد غيره ؟

وفى حالة تجاربنا التى أجريناها ، لا نجد إلا أقل الشواهد على ما يسمى عادة « بالتطوير التشكيلى » . فالقصص تمضى أقصر فأقصر ، لا أطول فأطول ، ولقد وجد بارتلت أيضاً نفس هذا الميل إلى الانكماش فى تجاربه على الذاكرة عند الفرد ، ولكنه يذهب إلى أننا يمكن أن نتوقع الازدهار والتطوير التشكيلى فى الاستعادات السلسلية . (بارتلت ، ١٩٣٢ ص ١٦٥) . ولكننا لا نجد أن الأمر كذلك . فاستعاداتنا السلسلية تكشف عن حالات واضحة من الإبراز والتسوية على السواء ، بل وتزيد على ما وجده بارتلت فى تجاربه على الأفراد . وكما أوضحنا من قبل ، فإن جانباً من هذه الظاهرة يرجع إلى تواجد جمهور نظارة ، وإلى بعض التعليمات الخاصة بالتجربة (الإدلاء « بأقصى ما يمكن من الدقة ») . ومع هذا فإن دراسة إشاعات الحياة اليومية (انظر « حدود التسوية » فصل ٥) تكشف أيضاً عن أن الإشاعات تمضى فى انتشارها إلى الاقتضاب المسرف بل وتتخذ صيغة الأقوال المأثورة . وليس من شك فى أن درجة الاقتضاب تتوقف إلى حدما على طبيعة الإشاعة . فإشاعات الرعب لا تميل إلى أن تصبح شعاراتية الطابع ، وذلك لأن تعديد التفاصيل البشعة يدعم القصة . وعلى العكس من ذلك فإن إشاعات الكراهية من قبيل : « اليهود يفرون من الخدمة » ، ربما تكون قد تضاءلت إلى هذه العبارة القصيرة الأخاذة بعدما بدأت بطريقة موقفية مرتبطة بإحصائيات زائفة أو « س » من الناس .

وفى بعض الحالات تحدث فجأة « رجعات إلى الحقيقة » مدهشة ، وذلك أثناء تناقل الإشاعة . فى حالات نادرة يمكن لشخص من أفراد سلسلة الإشاعة يتصف بالحذر والتشكك أن يقحم أوصافاً أو تفسيرات يكون من شأنها أن تعرقل تدافع الإشاعة فى طريق اللوى . فمثلا نجد الشخص المضطلع بالاستعادة الرابعة فى بروتوكول (ى) يمارس تأثيراً صحياً إن جاز القول . فإن ما يقوله هذا الشخص الرابع إنما هو بالفعل تأويل أكثر صدقاً من هذا الذى تنطوى عليه الاستعادة

السابقة . فلقد قال مشيراً إلى الموقف الغامض الموصوف فى هذه الصورة : « ليس من الواضح ما إن كان ضابط البوليس قد قبض على الزنجى أو أنه يحاول حمايته » . وفى تعبيره هذا عن تردده إنما يتحول بالصدفة إلى التأويل الوحيد الذى تبرره الصورة نفسها . كما أن بعض الأشخاص يعنون أحياناً بالتنبيه إلى أن أقوالهم لا يمكن التعويل عليها . فأحياناً ما تستخدم العبارات التحفظية من قبيل « لست أدرى . . . » و « فى تقديرى أن . . . » ، و « قيل لى . . . » . ومع ذلك فمن الضرورى أن ننبه إلى أن مثل هذه التحفظات إنما تمثل الاستثناء لا القاعدة ، وذلك حتى فى ظروف التجربة التى توحى بالحذر . بل إن هذه التحفظات هى أقل تواتراً فى إشاعات الحياة الواقعية .

السعى وراء معنى :

كيما نفسر مجرى الاختلاقات ، لابد لنا من أن نعود ثانية إلى فكرة « السعى وراء معنى » . ففى الإشاعات المألوفة نجد عند ناقل الإشاعة ميلا واضحاً إلى اختلاق « أسباب » تفسر الأحداث ، وإلى افتراض « دوافع » عند الأشخاص ، وباختصار إلى توضيح « علة وجود » الحدث موضوع الإشاعة . وفى تجاربنا كانت التعليمات تعمل بقوة على مناهضة مثل هذه التفسيرات التبريرية . ومن هنا فإن الكثير من البروتوكولات فى تجاربنا تنحط إلى مستوى التعديد الصبيانى المحض لعناصر غير مترابطة . فالتعديد هو طريق الأمان . ولكن معظم الإدلاءات فى تجاربنا تحتفظ مع ذلك بطابع الأقصوصة . وفى الإشاعات ، فإن الاستنباطات المعقولة ما أن يستخرجها عميل من عملاء الإشاعة حتى تلقى من جانب المستمع تقبلا فى غير تفحص . وعلى الرغم من أن دلالة المنظر فى شكل (٨) تتسم فى الواقع بالغموض ، إلا أن الأشخاص يسبغون عليه تأويلات متباينة : الزنجى كان ضحية لعنف الدهماء ؛ الزنجى قد قبض عليه ؛ الزنجى يلقى الحماية من الضابط الأبيض .

إساءات الفهم اللفظية :

وثمة مصدر للاختلاق والتزييف أقل شأناً ، وإن كان مع ذلك على جانب من الأهمية ، يرجع إلى إساءات الفهم اللفظية . فالشخص حين لا يرى الحادث الأصلي ، وحين لا تكون لدية سابق معرفة عن طبيعته ، فإنه يصبح معتمداً فى فهمه اعتماداً كلياً على انطباعاته السمعية . والجهاز السمعي غير محكم عند كثير من الناس ، وحتى الذين يستمتعون بسمع حاد سويّ غالباً ما يخطئون سماع ، أو يخطئون تأويل الألفاظ التى لا تستند عندهم إلى سياق عقلى . ولننظر فى هذه الاستعادات المأخوذة من بروتوكول خاص بشكل (٧) .

الاستعادة الرابعة : الصور لقطار تحت أرضى أو عربة طريق . يوجد بها زنجي وعامل بيده موسى حلاقة . إنهما يسيران فى الطريق . توجد لافتات فى الخارج : دعاية لانتخاب شخص ما ولمعسكر ما . وفى الجانب الأيمن امرأة ناعسة ، ورجل بلحية ، وكاهن .

الاستعادة الخامسة : الصورة لعربة طريق أو قطارتحت أرضى . يوجد شخص أو آخر ، زنجي وعامل بيده موسى حلاقة . وفى الجانب الأيمن من العربة سيدة ناعسة ، ورجل بلحية ، ولافتات حملة دعاية لانتخاب شخص ما ، وكاهن .

الاستعادة السادسة : المنظر لعربة طريق أو قطار تحت أرضى . يوجد رجل زنجي وعامل بيده موسى حلاقة . وتجلس سيدة ناعسة ، ورجل عجوز بلحية ، وكاهن . توجد لافتة معسكر ، ولافتة لانتخاب شخص ما .

* * *

فى الاستعادة الرابعة تمثل « لافتات » و « انتخاب » و « معسكر » تصورات منفصلة . وفى الاستعادة الخامسة يحدث تكثيف لها فى فكرة واحدة تتمثل فى « لافتات حملة دعاية » . وسوء الفهم اللفظى يعيد « معسكر » من جديد كياناً مستقلا يأخذ مكانه ضمن القصة . وهذه الحادثة الغريبة ترينا استحالة الاعتماد على الصيغة الختامية للإشاعة لاستنتاج ما كانت عليه المراحل الوسطى . فالأقصوصة

التى نسمعها يحتمل أنها فى وقت ما كانت تشتمل على عناصر ليست بها الآن ، ومن المحتمل أن تكون الصيغة التى نسمعها الآن أكثر صدقاً من بعض الصيغ الوسطى .

وفى بعض الحالات تكون الخسارة جسيمة ، كما هو الشأن فى البروتوكول التالى المستند إلى شكل (٦) . كان الأشخاص الذين أجريت عليهم التجربة من تلاميذ الصف الخامس . (فالتعديد غير المترابط وانعدام طابع القصة ، من الخصائص المميزة للأفراد فى هذه السن) . فى الاستعادة الأولى نقرأ : « فى إحدى النوافذ يقيم طبيب (doctor) » . وفى الاستعادة الثانية نجد : « فى إحدى النوافذ بطة (duck) » . والقائمون بالإدلاءات بعد ذلك لا يملكون وسيلة لتحديد الغلطة ، ومن ثم يستمر سوء الفهم حتى نهاية السلسلة . وبالمثل فإن كلمة plant (نبات) فى الإدلاء الخامس تتحول إلى plane (طائرة) فى الإدلاء السادس، وربما كان ذلك راجعاً إلى إساءة فهم لفظى .

بروتوكول (ن)

(يوضح الميل إلى التعديد فى إدلاءات الأطفال وإساءة الفهم اللفظى)

الاستعادة الأولى : توجد عربة وصبى يحاول أخذ شىء منها . ممر جانبى . قطة . صناديق فضلات . فى إحدى النوافذ يقيم طبيب doctor . يوجد أصيص أزهار يسقط . بعض أصص أخرى للأزهار . حبل غسيل . اثنان من الصبية .

الاستعادة الثانية : عربة . اثنان من الصبية . واحد من الصبية يحاول أن يأخذ شيئاً من العربة . منزل . بطة duck فى إحدى النوافذ . أصيص أزهار يسقط من إحدى النوافذ . حبل غسيل . ممر جانبى . بعض أصص أخرى للأزهار .

الاستعادة الثالثة : عربة . صبى يحاول أن يأخذ شيئاً من العربة . بطة . بعض أصص الأزهار فى الممر الجانبى .

الاستعادة الرابعة : بطة . عربة . كلب . نبات plant .

الاستعادة الخامسة : بطة . وعربة . كلب . نبات plant .
الاستعادة السادسة : بطة . وعربة . وكلب . وطائرة plane .

أخطاء الوقت والمكان :

إن الكثير من الإشاعات يقدم أحداثاً « على أنها » وقعت فى نقطة بعينها من المكان والزمان ؛ ولكن تجاربنا تكشف عن أن العبارات « المحددة » للزمان والمكان وكذا أسماء الأعلام تعد من أكثر العناصر تعرضاً للوى فى سلسلة الإدلاءات .

وتقل الأخطاء فى الموضع « الجغرافى » العام للمنظر . فتحديد الموضع العام للحادث (من قبيل القول « منظر شارع » « ساحة قتال فى فرنسا » ، « منظر قطار تحت أرضى ») عادة ما يظل على حاله خلال سلسلة الاستعادات كلها ، دون أن يتعرض للوى جسيم . فمثل هذه العبارات تزود كل مستمع من المستمعين المتعاقبين بأهم ما يعينه على التوجه المكانى . وبغير هذه « المراسى » يغدو من الصعوبة بمكان على المستمع أن يقيم بنية منتظمة للموقف المتسم بالغموض ، والذى هو بصدده . تبقى هذه العبارات على حالها خلال السلسلة ، وذلك إلى حد ما بفضل سبب آخر ، هو أنها عادة ما تقدم فى بداية الوصف . وتكشف تجارب التعلم عن أن العناصر التى ترد فى بداية السلسلة (وفى نهايتها) هى أسهل حفظاً من غيرها . وبفضل هذين العاملين ، ألا وهما حاجة الشخص إلى أن يتوجه فى موقف يتسم بالغموض وتأثير الأولوية ، يندر أن يتعرض الموضع العام للمنظر لأن يحذف أو لأن يلوى بصورة جسيمة .

أما الخصائص التفصيلية للمكان فعادة ما تكون قصيرة العمر ، وغالباً ما تتعرض لحالات جسيمة من البتر خلال النقل . ولنأخذ على سبيل المثال شكل (٧) . فأسماء كل من المحطة ووجهة القطار السريع ، وكلاهما مبين بوضوح على اللافتات ، لا يبقيان على حالهما أبداً حتى نهاية السلسلة . فهما إما أن يعانيا الحذف فى مرحلة مبكرة من السلسلة وإما أن يعانيا اللوى بحيث يغدو التعرف مستحيلا . وكذلك الحال فى أسماء الشوارع المبينة فى شكل (٦) فإنها نادراً ما تحظى باستعادة صحيحة . ولو أن أسماء هذه الأماكن كانت مألوفة للأشخاص ، لقل ولا شك تعرضها للضياع .

فأسماء المدينتين الفرنسيتين فى شكل (٥) — باريس وشربورج— غالباً ما حظيتا بالتذكر ولم تتعرضا أبداً للوى . فاسم كل من هاتين المدينتين كان مألوفاً عند معظم الأشخاص ، ليس فقط من زاوية معارفهم السابقة وإنما أيضاً بالنظر إلى المناقشات الصحفية الدائرة وقتئذ . بيد أن المسافتين المبينتين على شارة الطريق نادراً ما حظيتا باستعادة أمينة ، فالرقمان ٥٠ و ٢١ كثيراً ما تعرضا للتبديل فى ربطهما بالمدينتين ، كما أن الرقمين تعرضا للتزييف . وهنالك أيضاً ميل إلى « تدوير » الأرقام ، فالرقم ٢١$\frac{١}{٢}$ يصبح ٢٠ .

وأسماء الأشخاص كأسماء الأماكن تعد من العناصر جد البعيدة عن الثبات وخاصة عندما لا تكون مألوفة عند الراوى . فمعظم هذه الأسماء تسقط فى مرحلة مبكرة من السلسلة ، ولكنها قبل أن تتعرض للحذف فإنها عادة ما تعانى التشويه الشديد .

وثمة مثال طريف على تحور أسماء الأشخاص نجده فى بروتوكول (ز) المستند إلى شكل (٦) . فى البداية يرد اسم محل الخردوات صحيحاً « ليفى Levy وأولاده » . ولكنه خلال الإدلاءات المتعاقبة يصبح أولا « ديبى » Debe ، ثم يصبح « اسما فيه حرفاً (ى) (e) » . وهذا اللوى قد وجد ولا شك ما أعان عليه فى صورة من صور إساءة الفهم السمعى . وأسماء الأعلام حين لا تسمع إلا قليلا تفتقر إلى ما يتوفر للأسماء الشائعة من « مرسى » الألفة ، ومن ثم تتعرض بصورة خاصة للوى .

ويبين جدول (٢) ما تتعرض له أسماء الأعلام خلال التناقل الشفوى لها . ومنه نتبين أنه حتى فى أوصاف البداية تتعرض ٨٪ من الأسماء للخطأ . وهذه الحقيقة تثبت مرة أخرى أن إدراك شاهد العيان لا يمكن هو الآخر التعويل عليه دائماً . فهذا الإدراك يتعرض لنفس أشكال اللوى والإساغة التى تتعرض لها الذكريات ، وإن يكن ذلك بدرجة أقل ، وذلك بلا شك يرجع إلى التأثير المقيد للمثير . فإذا ما بلغنا الاستعادة الخامسة فإن ١٨٪ فقط من الأسماء هى التى تحظى بإدلاء صحيح ، و ٥ ٪ منها تذكر ولكن بصورة خاطئة ؛ أما بقية الأسماء فقد حذفت تماماً.

جدول (٢)

يبين النسبة المئوية للأسماء الواردة فى الإدلاءات المتعاقبة .

العدد الإجمالى لأسماء الأعلام فى أوصاف البداية يمثل مستوى ١٠٠٪ . والأرقام الواردة فى الجدول هى نسب مئوية محسوبة على هذا الأساس .

رقم الاستعادة	النسبة المئوية للأسماء الواردة بصورة صحيحة	النسبة المئوية للأسماء الواردة بصورة خاطئة	النسبة المئوية للأسماء المحذوفة
وصف البداية	٩٢	٨	صفر
١	٥١	١٨	٣١
٢	٤٣	١٦	٤١
٣	٣٠	١٧	٥٣
٤	٢٣	١٣	٦٤
٥	١٨	٥	٧٧

والتفصيلات النوعية الخاصة « بالزمان » شأنها شأن أسماء الأماكن وأسماء الأشخاص عادة ما تتعرض للاستبعاد أو اللوى . وفيما عدا جماعة العسكريين (راجع بروتوكول د فصل ٥) نجد أن الوقت الذى تشير إليه ساعة البرج لا يحظى بالإدلاء الصحيح فيما يزيد عن استعادة أو استعادتين . وكذلك الحال بالنسبة إلى الوقت المبين على ساعة المحطة فى شكل (٧) فإنه لا يكاد يتخطى ذلك إلا قليلا . فتحديد الوقت الذى تجرى فيه الأحداث ليس بأمر جوهرى للقصة ، ومن ثم يتم استبعاده بسهولة أو يتم تزييفه دون أن ينال ذلك بصورة جدية من تماسك القصة . « فاللاوى الزمنى » يزداد بفعل هذا الميل فى الإدلاءات إلى أن تكون دائماً — وبغير استثناء — فى صيغة المضارع . والصورة التى تقدم لقطة لحادث تاريخى مضى ينظر إليها المشاهد وكأنها « لازمنية » . فالشخص فى حديثه عن الصورة إنما يضطلع « بأقلمتها الزمنية » ضمن إطار الحاضر . فترى القصة وكأنها تجرى « الآن » .

إدلاءات الأطفال :

تختلف إدلاءات الأطفال من عدة زوايا اختلافاً واضحاً عن إدلاءات الكبار .

التسوية أكثر وضوحاً :

إن الأطفال الأصغر سنًّا . يحفظون عناصر أقل فى إدلاءاتهم المتعاقبة بالقياس إلى الأطفال الأكبر سنًّا ، وهم يحفظون عناصر أقل بكثير بالقياس إلى الكبار . وعلى الرغم من ضآلة عدد الحالات التى أخذناها من كل سنة من سنوات الدراسة فإن إحصاء العناصر فى الإدلاءات الختامية يكشف عن المتوسطات التالية :

السنة الدراسية	العناصر
الرابعة	٣
الخامسة	٣,٥
السادسة	٦
السابعة	٥,٥
الإعدادية	٨,٥
الكبار	٩

وزيادة القدرة على الحفظ مع زيادة العمر هى بالطبع ظاهرة جد معروفة . فمقاييس الذكاء المقننة مثلا تتوقع من طفل فى الثالثة من عمره أن يكرر بصورة صحيحة ثلاثة أرقام آحاد بعد سماعها لمرة واحدة، أما الطفل فى العاشرة فستة أرقام. ولقد وجد ماكجوش McGoech (١٩٢٨)، فى دراسته لقدرة الأطفال على « تأليف » قصة ابتداء من حادثة شاهدوها ، أن ثراء الإدلاءات يتزايد بصورة مطردة مع العمر . وفى الظروف التى تمت فيها تجربته ، كان متوسط العناصر التى يستعيدها بصورة صحيحة — فى إدلاءاتهم — أطفال الرابعة عشرة هو ٢٨,٥ عنصر ، بينما كان هذا المتوسط هو ١٨,٢ عنصر لأطفال التاسعة . وعليه فعملية التسوية ترجع فى جانب منها إلى نقص النضج فى القدرة على التذكر .

الإدلاء التحديدى :

ويكشف التسجيل التالى المأخوذ من أطفال فى السنة الخامسة عن شكل (٥) ما يتسم به الإدلاء من طبيعة مفككة فى هذه السن .

بروتوكول (س)

(يوضح الميل إلى التعديد ، والتسوية السريعة فى إدلاءات الأطفال)

الوصف من الشاشة : يوجد رجل ، وعربة صليب أحمر ، وبندقية ، وثلاث لافتات ، وكنيسة . توجد بعض الطائرات ، وبعض المدافع المضادة للطائرات ، وبعض القنابل ، وعدد من الجدران الحجرية المهدمة . توجد جبال على بعد . رجل راقد . ويوجد رجل واقف يراقب من خلال منظار . يوجد سور محل مهدم عتيق وشجرة فى حالة سيئة (Shabby) وبعض الشجيرات. يوجد زنجى . معركة دائرة. توجد طائرات معادية تسقط القنابل وتحاول إصابة الناس فى المدينة . وعربة الصليب الأحمر تحاول العناية بالجرحى .

الاستعادة الأولى : عربة صليب أحمر . توجد شجرة شعثاء (shaggy) . وزنجى . ورجل راقد . ورجل يرقب من خلال منظار . جدار حجرى قديم مهدم . طائرات فوق الرءوس . قنابل . بندقية .

الاستعادة الثانية : عربة صليب أحمر . قنابل . طائرة . حائط حجرى .

الاستعادة الثالثة : عربة صليب أحمر . قنابل . طائرة وحائط حجرى .

الاستعادة الرابعة : الصليب الأحمر . بعض القنابل . طائرة .

الاستعادة الخامسة : قنابل وطائرة والصليب الأحمر .

الاستعادة السادسة : قنابل . طائرة وصليب أحمر .

هذه الإدلاءات خليط مفكك ، ليس فيه ما يكشف عن أية محاولة للإدلاء بقصة متماسكة . والموقف فى سنوات المدرسة الإعدادية يعد أفضل بدرجة طفيفة كما يتضح ذلك من بروتوكول (ع) .

بروتوكول (ع)

(يوضح إدلاءات الأطفال فى سن ١٣ – ١٤ سنة)

الوصف من الشاشة : منظر معركة حربية . عشر دقائق قبل الساعة الثانية فى ساعة برج الكنيسة . يوجد تمثال زنجى عبد . رجل جريح . ورجل راقد بجانبه ومعه منظار . شخص يطلق النار من فوق حائط . لافتة عليها « باريس ٢١½ كيلومتر » و « شربورج ٥٠ كيلو متراً » . فى الخلف عربة إسعاف ورجلان من الممرضين . بالكنيسة ثقب فى السقف . ألواح خشبية تستند إلى مبنى مهدم . تمثال أو لا – لست متأكداً . حائط حجرى على مقربة . طائرتان على بعد فوق الكنيسة – طائرة صغيرة وأخرى كبيرة . انفجارات فى خلف الكنيسة .

الاستعادة الأولى : المنظر فى ساحة قتال . تمثال زنجى عبد على مقربة . كنيسة قريبة . طائرتان من فوق – طائرة صغيرة وأخرى كبيرة . طلقات قريبة . حوالى العاشرة فى ساعة البرج . حائط على مقربة من الكنيسة . رجل جريح وبجانبه رجل راقد يستخدم منظاره .

الاستعادة الثانية : ساحة قتال . تمثال زنجى عبد . جندى جريح وبجانبه رجل يستخدم منظاره . حائط على مقربة من الكنيسة . طائرتان – صغيرة وكبيرة . نيران تنطلق . إنها الساعة العاشرة .

الاستعادة الثالثة : ساحة قتال . تمثال زنجى عبد . رجلان راقدان فى ساحة القتال جريحان ، أحدهما يستخدم منظار الآخر . الساعة العاشرة . الطائرات من فوق . حائط وكنيسة على الجانب الآخر .

الاستعادة الرابعة : ساحة قتال وتمثال زنجى . رجلان يرقدان فى ساحة القتال جريحان ، وكل منهما يستخدم منظار الآخر . الساعة العاشرة . طائرات من فوق . توجد كنيسة .

الاستعادة الخامسة : ساحة قتال . تمثال زنجى . رجلان جريحان راقدان ،

كل منهما يستخدم منظار الآخر . إنها الساعة العاشرة . توجد طائرات وفناء كنيسة .

الاستعادة السادسة : يوجد تتال فى فناء كنيسة . تمثال زنجى . طائرات فوق الرءوس . رجلان جريحان .

* * *

ومن المحتمل جداً أن تكون التعليمات التى أعطيت للأطفال بأن يضطلعوا بالإدلاء « بأقصى ما يمكن من الدقة » قد ساعدت على اتخاذهم اتجاه « التعديد » بإزاء المهمة . ومن المعروف على أية حال أن صغار الأطفال فى وصفهم للصور إنما يقتصرون على تعديد الأشياء . وفى سن الثانية عشرة ، وليس قبل ، يبدأ الأطفال عادة فى نسج هذه العناصر فى قصة تأويلية . وفى الظروف التى أجرينا فيها تجاربنا ، وحيث ينصب الاهتمام على دقة الإدلاء ، فإن اتجاه التعديد يستمر حتى إلى مستويات أعلى من العمر (سن ١٣ و ١٤) . وهذا الميل إلى التعديد يكشف فيما يبدو عن أن الأطفال لا يستشعرون ضرورة فهم وتبرير وتأويل وتوحيد عناصر التجربة التى يعيشونها بقدر ما يستشعر ذلك الكبار .

وحيث إن الأطفال ينظرون إلى الكثير من أحداث الحياة على أنه يتخطى بصراحة حدود عالمهم ، فإنهم بالتالى لا يستشعرون الحاجة إلى تصنيف كل ما يقابلونه تحت فئات ملائمة من المعانى . ولهذا السبب لا نجد فى إدلاءاتهم إلا القليل من التغييرات الإساغية . فالتسوية تتم بحيث تجر الإدلاء إلى هذا المدى من الذاكرة الصبيانية المساير للعمر ، فيتم إبراز مناظر للعناصر المحفوظة . ولكن لا النمط الترابطى من الإساغة ، ولا النمط الانفعالى من الإساغة يضطلع بأى دور فى عملية اللوى .

العامل الأجناسى يقل اتضاحاً :

إن المادة — المثيرة التى استخدمناها فى هذه التجارب تتيح لنا فرصة طيبة لنتبين كيف يستجيب الأطفال للجوانب الأجناسية من المشاهد . ونستطيع أن نقرر بلا تحفظ أن الأطفال يميلون إلى الإقلال من أهمية الجانب الأجناسى . ففى عدد من البروتوكولات استبعدت تماماً الخصائص الأجناسية للأشخاص — ومن

هذه الزاوية كانت الإدلاءات مماثلة لإدلاءات الزوج (انظر بروتوكول ك فصل ٦). وبمراجعة جميع البروتوكولات للأطفال وللكبار ، نجد أن ٨٣٪ من استعادات الكبار تنطوى على الهوية الأجناسية للأشخاص الذين فى المشاهد ، فى مقابل ٤٣٪ فقط عند الأطفال .

وفى حالة ما ترد العناصر الأجناسية فى إدلاءات الأطفال ، فإنها ترد كخاصية من بين الخصائص الكثيرة التى يعددونها . ولا نجد فى أية حالة أية إساءة بالنسبة إلى التحقير . فمثلا لا نجد فى أى من الإدلاءات عن شكل (٧) أن موسى الحلاقة ينتقل من العامل الأبيض إلى الزنجى ، وإن كان هذا الانتقال قد تم فى أكثر من ٥٠ ٪ من استعادات الكبار .

والبروتوكول التالى ، وهو نمطى بالنسبة إلى إدلاءات الأطفال عن هذا الشكل (شكل ٧) ، يوضح انعدام انفعالية الصغار فى تناولهم للمسألة الأجناسية ، وسرعة اختفاء هذه المسألة .

بروتوكول (ف)

(يوضح تناول الأطفال للمسألة الأجناسية)

الوصف من الشاشة : توجد عربة تروللى يجلس فيها كثير من الأشخاص . صبى صغير يلبس «كاب» فى مؤخرة رأسه يتحدث إلى رجل زنجى . توجد امرأة جالسة . الرجل الأسود يحكى شيئاً مشوقاً للصبى . وخلفهما سيدة بنظارات تلبس قبعة من طراز (الكاكو) . لافتات فى أعلى الحائط . لافتة تبين وجهة الترولى . جبال فى الخارج . رجل ناعس على المقعد . يوجد خمسة أشخاص جالسون ، واثنان واقفان . ويبدو الولد الصغير صلباً .

الاستعادة الأولى : إنه منظر جانبى لعربة ترولى . يوجد صبى صلب ، قبعته فى مؤخرة رأسه ويتحدث إلى رجل زنجى . توجد سيدة بقبعة من طراز الكاكو . لافتات فى أعلى العربة . وأيضاً لافتات تبين وجهة العربة . توجد جبال فى الخارج . خمسة أشخاص واقفون .

الاستعادة الثانية : منظر داخل عربة ترولل . صبي صغير صلب بقبعة على رأسه جالس يتحدث إلى رجل زنجي . يوجد خمسة أشخاص واقفون . توجد سيدة بقبعة من طراز الكاكو cuckoo . ولافتات تبين وجهة الترولل . تظهر جبال من النافذة .

الاستعادة الثالثة : داخل عربة ترولل . صبي صلب بقبعة على رأسه . رجل جالس إلى جواره . سيدة بقبعة مدببة cute ، ورجل من ورائها . جبال فى الخارج . لافتة تبين وجهة الترولل .

الاستعادة الرابعة : داخل عربة ترولل . صبي صلب يجلس فى مقعد . وإلى جانبه امرأة تلبس قبعة مدببة . خارج النافذة جبال . لافتات تبين وجهة الترولل .

الاستعادة الخامسة : داخل عربة ترولل . صبي صلب بجواره رجل . وإلى جانبه امرأة بقبعة طراز كرو crew . فى الخارج جبال . لافتات تبين وجهة الترولل .

الاستعادة السادسة : عربة ترولل فيها صبي صلب . رجل فى مواجهته . توجد سيدة . يافطة عليها وجهة الترولل . جبال خارج النافذة .

نلاحظ انعدام العبارات الجامدة النمط فى وصف الزنجي . فهو يوصف ببساطة على أنه « رجل أسود » . ما من ذكر للسترة من طراز « الزوت » أو للملابس الفاقعة ، مما يرد كثيراً فى إدلاءات الكبار . إن الزنجي « يحكى شيئاً مشوقاً » « للصبي » الأبيض ، بينما يصف الكبار الاثنين على أنهما يتشاجران . وانعدام الانفعالية هذا إنما يميز كل إدلاءات الأطفال .

وانعدام الاهتمام بالجانب الأجناسى ربما يرجع إلى حدما إلى أن الأطفال الذين أجريت عليهم هذه التجربة هم تلاميذ فى مدرسة تعمد فى سياستها إلى تطوير علاقات الصداقة بين الجماعات المختلفة ، الأجناسية والدينية . وفى المدرسة بعض التلاميذ من الزنوج ، وبعض المدرسين الزنوج الذين يعلمون أطفالا من البيض والزنوج على السواء . ومن ثم فإن انعدام الاستجابة النسبي بإزاء العامل الأجناسى عند هؤلاء الأطفال ربما يعكس أيضاً أفكار المساواة فى مدرستهم . ولكن بصرف النظر عن السياسة التحررية لهذه المدرسة بالذات ، فإنه لمن الحقائق المعروفة أن الأطفال « ليسوا » متفتحي الحساسية للفوارق الأجناسية ، وذلك حتى تقحم عليهم

بفعل الأحداث أو بفعل مجاراة التعاظم الآبائى والثقافى . وهنالك على سبيل المثال ، حالة « جونى » بأعوامه السبعة عشر ، الذى سأل أمه ذات يوم ما إن كان يستطيع أن يدعو « تومى » إلى البيت ليتناول الغداء معه . ولما كانت الأم تعلم أن الكثيرين من التلاميذ الزنوج يتعلمون فى مدرسة ابنها ، فقد سألته : « هل تومى أبيض أم زنجى ؟ » . وأجاب الابن : « لست أدرى ، فقد فاتنى أن أتبين ذلك ، ولكنى سأتبين ذلك حين أراه فى المرة القادمة . » ومثل هذه البراءة فى الوعى الأجناسى لا تصمد كثيراً فى مجتمعنا .

الفصل الثامن

النمط الأساسى للوى

ترى فى عرضنا التفصيلى للنتائج المعملية لانتشار الإشاعة ، ترى هل شردنا بعيداً عن باقة متنوعات الإشاعات اليومية ، والتى هى موضوعنا الرئيسى ؟ وكيما نتبين أن الأمر لم يكن كذلك ، فلنأخذ عينة من الإشاعة ونرى مدى ما ينطبق عليها من مفاهيمنا الأساسية فى التحليل .

ونحن نختار هنا إشاعة تافهة ، ونختارها تبعاً للصدفة من بين حصيلة أقاصيص وقت الحرب ، والتى انتشرت فى منطقة ريفية من المين Maine فى صيف ١٩٤٥ ، قبيل استسلام اليابان :

مدرس صينى ، فى عطلة انفرادية كان يقود سيارته فى المنطقة ، واستفسر عن الطريق إلى قمة تل يستطيع منها أن يشهد المنظر الممتع المرسوم فى دليل للسياحة أصدرته « الغرفة التجارية » فى مدينة مجاورة . ولقد تقدم أحد الأشخاص فدله على الطريق ، ولكن لم تمض ساعة حتى كانت المنطقة كلها تطن بالأقصوصة القائلة بأن « جاسوساً يابانياً قد صعد إلى قمة التل ليصور المنطقة » .

إن الوقائع البسيطة المجردة التى تكوّن نواة الحقيقة فى هذه الإشاعة لم ترد قط فى الإدلاء ولكنها تعرضت للّوى منذ البداية ، وذلك فى اتجاهات ثلاثة قد أصبحت الآن مألوفة لدينا . فلقد تعرضت تلك الوقائع « للتسوية » و « الإبراز » و « الإساغة » ولننظر فى كل نمط من هذه التغيرات على الترتيب :

(١) **التسوية :** لقد استبعدت الإشاعة الكثير من التفصيلات التى تعد ضرورية للفهم الصحيح للحادث : الطريقة اللطيفة الحيية ، ولكنها الأمينة أيضاً التى كانت من الزائر بإزاء هذا الشخص من الأهلين الذى طلب إليه أن يرشده إلى الطريق ، وكون الجنسية الحقيقية للزائر كانت مجهولة وإن كان بالتأكيد شرقياً . كذلك استبعدت الإشاعة هذه الواقعة ، وهى أن الزائر قد أتاح للناس طوال الطريق أن يتأكدوا من شخصيته ؛ هذا إلى أن أحداً لم ير معه آلة تصوير .

وهذه الوقائع المستبعدة من الإشاعة لا يسهل إرجاعها إلى ضعف ذاكرة الناس . فهى بالحرى « استبعادات منهجية » . فلقد سقطت هذه الوقائع لأنها لو ذكرت لعملت على نقض التأويل المفضل : « جاسوس يابانى بيننا » . ونحن لا نعلم إلى أى حد ترجع هذه الاستبعادات إلى إساءة إدراك الموقف من جانب هذا الشخص من الأهالى الذى كان أول من تكلم مع الزائر الغريب ، كما لا ندرى إلى أى حد استمر سقوط التفاصيل من القصة فى انتشارها من شخص إلى شخص . ومن المحتمل أن شاهد العيان لم يدرك جميع شواهد الموقف فتكون رؤيته لشخص « شرقى » قد بعثت فيه للتو تحزباته القديمة وتصوراته القبلية . فالإدراك والتذكر هما جانبان من عملية واحدة . وكما يقول بارتلت : « مما يمتزج بالإدراك امتزاجاً لا يمكن فصله التخيل والتقويم وباكورة الحكم » . (بارتلت ، ١٩٣٢ ص ٣١[١]) .

(٢) الإبراز : عندما تسقط بعض التفصيلات فإن التفصيلات المتبقية يزداد بالضرورة حظها من التوكيد والأهمية . والإبراز كما رأينا هو مناظر التسوية . وعملاء الإشاعة وقد تقبلوا تأويلهم الخاص للمدرس الصينى الزائر ، فإنهم يبرزون بعض الملامح مقللين من شأن بعضها الآخر . وإبراز التفاصيل المنتقاة يفسر لنا ما يطبع القصة الختامية من مغالاة درامية . فما كان فى الموقف الأصلى « شرقياً » قد تخصص فأصبح « يابانياً » . وما كان مجرد « رجل » قد تحدد فأصبح « جاسوساً » . و « تأمل المناظر » وهو الهواية البريئة للعطلات قد ناله الإبراز فاستحال إلى هدف مشئوم هو « التجسس » . والواقعة التى مؤداها « وجود صورة » فى يد الزائر قد عانت الإبراز فأصبحت « التقاط صور » . كما لم يتنبه أحد إلى هذه الحقيقة الموضوعية والتى تنحصر فى استحالة التقاط أية صور من هذه المنطقة الريفية يمكن أن تكون ذات قيمة للعدو . فلم تكن هنالك أية منشئات صناعية أو حربية يمكن رؤيتها من ذلك التل . وأكثر من هذا أنه كان من المعلوم أن الحرب قد دخلت مراحلها الأخيرة ؛ والتجسس وخاصة فى المناطق النائية لم يكن

---

(١) لقد ميز بايسو Bysow (١٩٢٨) انطلاقة الإشاعة بثلاث مراحل (١) يدرك الحادث باهتمام شخص أو عدة أشخاص . وينشأ اهتمامهم من الأهمية الاجتماعية للحادث . (٢) تنقيح الحادث وتقويمه من جانب من أدركه . (٣) ومتى نقحت الإشاعة فإنها تنطلق . ويمكن قبول تحليل بايسو شريطة ألا نفترض أية فترة زمنية فاصلة ما بين المرحلتين (١) و (٢) .

من الناحية الموضوعية أمراً محتملا. ولكن هكذا كانت الانفعالات والريب فى وقت الحرب بحيث تمخض عنها الإبراز ، مسبغاً الأهمية على الحادث ، ومكثفاً إياه ، ومعطياً له دلالة ، وجاعلا منه نذير خطر . هنا شيء يستحق الذكر ، يستحق الاجترار ، يستحق الاعتبار .

(٣) الإساغة : إن التسوية والإبراز لا يتمان بالطبع تبعاً للصدفة، وإنما يتمان أساساً فى مجاراة مع الخبرات الماضية والاتجاهات الحالية عند ناشرى الإشاعة . فى المنطقة الريفية من « المين » لم يكن للسكان من اتصالات سابقة تذكر مع الشرقيين . فهم كغيرهم من غالبية الغربيين لا يقتدرون على التمييز ما بين شخص صينى وشخص يابانى . فليس لديهم غير عنوان واحد للشرقيين وطيد الرسوخ فى أذهانهم بفعل أخبار وأقاصيص وقت الحرب : ألا وهو « الجاسوس اليابانى » . لم تكن لديهم أية فئة أخرى أو عنوان آخر يستطيعون ضمنه أن يصنفوا هذه الزيارة غير المألوفة . «مدرس صينى فى عطلة » كان تصوراً بعيداً عن أن ينبثق فى أذهان الغالبية من الريفيين ؛ ذلك أنهم لم يكونوا يعرفون أن بعض الجامعات الأمريكية تستخدم مدرسين صينيين ضمن هيئات التدريس فيها ، وأن هؤلاء المدرسين ، كغيرهم ، لهم الحق فى عطلات الصيف. ومن ثم فإن الموقف الجديد كان ولابد أن يعانى الإساغة بالنسبة إلى أقرب الأطر المرجعية للتناول .

و « تصوير المنطقة » هو مثل آخر واضح على الإساغة . لم يكن مع الزائر آلة تصوير ، ولكن نتيجة للحملات الحكومية من أجل « عدم تسرب الأنباء » ، ونتيجة لتحريم استخدام آلات التصوير فى المناطق الحربية الاستراتيجية ، والأفلام الجذابة عن الجاسوسية ، فقد تولد عند عملاء الإشاعة دافع معقول تجاه الزائر الغريب . وترابط الأفكار يتسم بالركاكة : رجل أصفر — يابانى — جاسوس تصوير للجاسوسية . كل فكرة تؤدى إلى الأخرى بما يشبه الحتمية الميكانيكية حتى تنبثق النتيجة الختامية .

ومثل هذه الترابطات الميكانيكية للأفكار ، تفسر إلى حدما تلك الأقصوصة التى انتشرت . ولكن كان هنالك أيضاً عامل دينامى لا يمكن تجاهله . فى تلك المنطقة النائية ، منطقة المين ، كان السكان يستشعرون الحرب بعمق . فقد كان

لكل عائلة تقريباً ابن فى الحرب. وكانت الكراهية لليابانيين قوية ، وكانت الرغبة فى الدفاع عن أمريكا شديدة ، وكان التوجس من الأجانب خاصية ثقافية مستقرة فى تلك المنطقة . وإنه بالنسبة إلىهذه الاتجاهات المتأصلة قد تمت إساغة الإدراك لهذا الحدث . ومن هذه الاتجاهات نفسها تولد الدافع لتلفيق هذه الإشاعة ؛ فوقت الحرب قد أوجد الظروف التى أتاحت لهذه العوامل الدينامية أن تعمل عملها ؛ لقد كان هذا الحادث ينطوى بالنسبة إلى الأهالى على « أهمية » ممكنة . كما كان الحادث ينطوى على قدر كبير من « الغموض » ، إذ كان الأهالى تنقصهم المعلومات الصحيحة عن جنسية الزائر وهدفه .

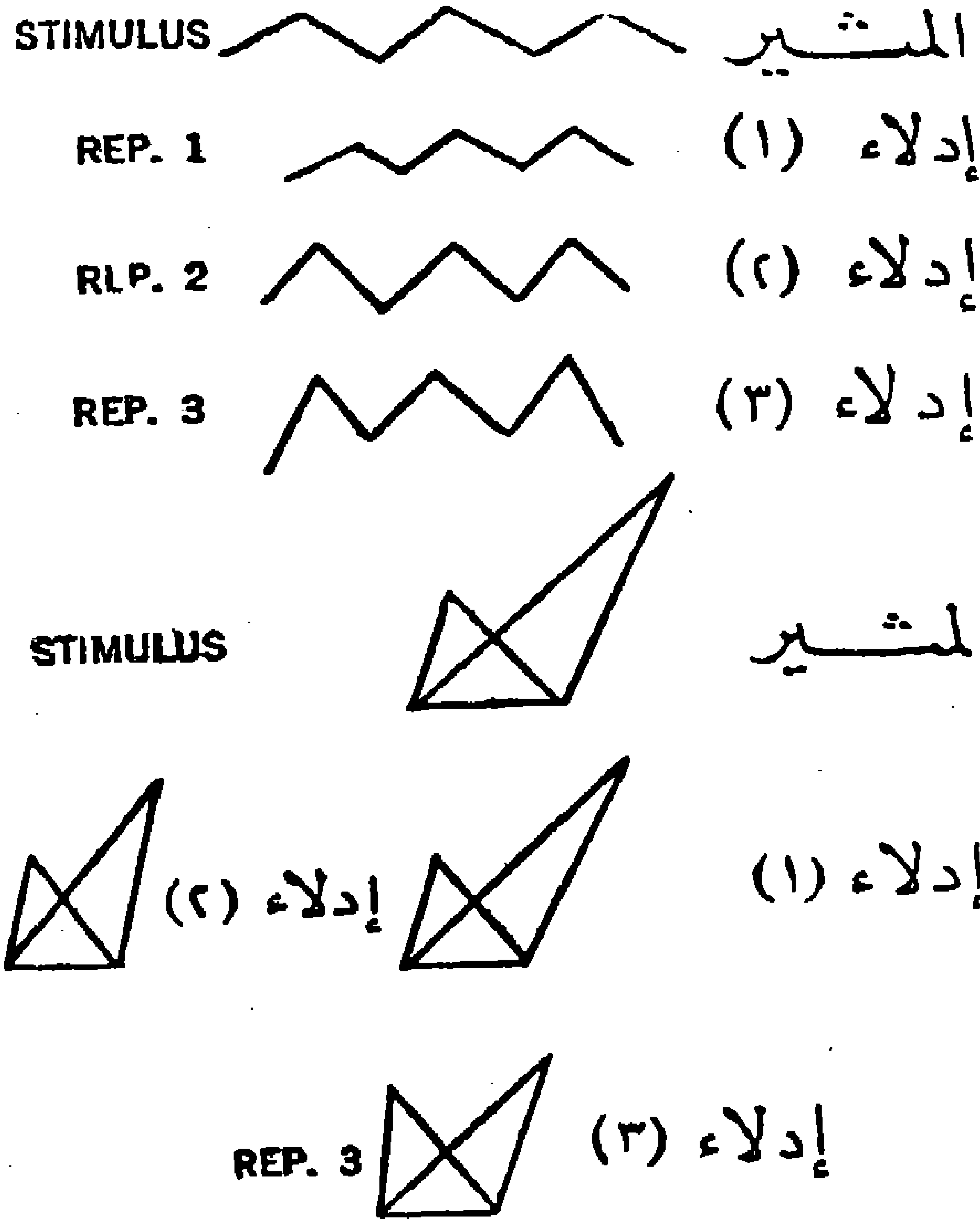
وهذه العملية الثلاثية الجوانب ، من التسوية والإبراز والإساغة ، إنما تعكس « السعى وراء معنى » عند عملاء الإشاعة » . فوقائع الموقف ، التى لم تفهم إلا بصورة غامضة ، لا تتيح التفسيرالذى تتطلبه زيارة الغريب . ومن ثم زحفت فكرة وحيدة موجهة — فكرة الجاسوس — . وبما يساير ذلك تمت « تسوية » جميع التفاصيل المخالفة ، كما تم « إبراز » الوقائع لتتلاءم مع الموضوع المختار وتمت « إساغة » الحدث — برمته — بالنسبة إلى بنية المشاعر والأفكار القائمة من قبل والمميزة لأعضاء الجماعة التى انتشرت فيها الإشاعة .

عمومية نمط الملوى الثلاثى الأوجه :

اضطلع فولف Wulf (١٩٢٢) منذ سنوات بدراسة التغيرات التى تطرأ مع الوقت على الذكريات الفردية . وتتألف المواد — المثير التى استخدمها فولف من رسوم بسيطة غير متناظرة ، مما نجد عينة منه فى شكل (١٠) .

قدمت هذه الرسوم ، رسماً رسماً ، إلى الأشخاص الذين أجريت عليهم التجربة . وبعد ثلاثين ثانية تقريباً ، طلب إلى الأشخاص استعادة الرسم بأقصى دقة مستطاعة . ثم طلب إلى الأشخاص استعادة الرسم مرة أخرى بعد يوم ، ومرة أخرى بعد أسبوع ، وأخيراً بعد فترة تتراوح ما بينأسبوعين وشهرين . ومن ثم فقد حصل فولف على قدر هائل من المعطيات لدراسة مصير الذكريات ، والتغيرات التى تعتريها مع الوقت .

فلو كانت النظرية القديمة على حق ، ونعنى النظرية الميكانيكية عن الذكرى



شكل (١٠) الرسوم – المثير والاستعادات المتعاقبة ، بحسب فولف .

الجزء العلوى يوضح « التوكيد » أو « السن » (الإبراز) ، والجزء السفلى يوضح التسوية (بمعنى التحويل إلى العادى المألوف) normalizing أو التسوية (كمقابل للإبراز) leveling . وكلا هذين الضربين من التغيرات يوضح ميل الذكريات إلى تحقيق قانون الامتلاء Prägnanz (قانون أحسن صيغة) .

(انطباع على الشمع) ، لكان من المحتم مع الوقت ، كما يقول فولف ، أن تسير الذكريات فقط إلى الانطماس . ولكنه قد اكتشف أن الرسوم تميل إلى أن تتخذ صيغة « أحسن » أو « أبسط » أو « أكثر دلالة » . وهذه التغيرات تتبع نفس الطريق ، بصرف النظر عن طول الفترة المنقضية ما بين الإثارة والاستعادة . ولقد عبر فولف بالألمانية من هذا الميل بوصفه ميل الذكرى المحفوظة إلى تحقيق « البراجنانز » Prägnanz ، بمعنى الامتلاء (أى إلى تحقيق صيغة أكثر اكتمالا وأكثر جوهرية) . ولقد ذهب إلى أن هنالك ثلاثة عوامل تؤدى بالرسوم إلى « الامتلاء » المطرد :

(١) التسوية : بالتحويل إلى العادى ، وهى عملية معادلة بصورة أساسية

لمفهومنا عن « التسوية » كمقابل للإبراز .

(٢) **التوكيد أو السن** : وهى عملية تعادل مفهومنا عن « الإبراز » .

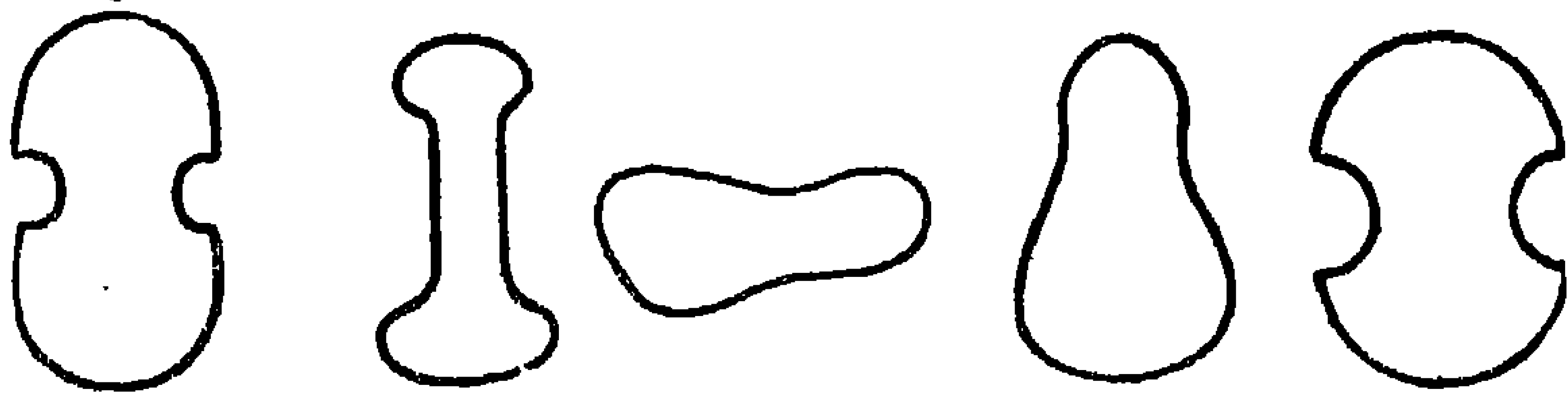
(٣) **التغيرات الذاتية** : وهى التى تكون لصيقة بنمط الذكرى نفسه . وهذه الفئة الثالثة تشتمل على بعض التغيرات التى تحدثنا عنها تحت اسم « الإساغة » .

وطريقة فولف فى التفسير تتبع فى خطوطها نظرية الجشطلت ، وهى النظرية التى تنظر إلى العقل كمحرك ذاتى النشاط ينتج – حين يترك لنفسه – نماذج أمعن فى الجوهرية والإبراز . ويلخص بارتلت هذا الميل فى قوله إن الذكرى الخاصة بشىء ما هى فى العادة أمعن فى التماسك وفى التسلسل من شكلها الأصلى . (بارتلت ١٩٣٢ ص ١٢٧) .

ولقد قام جيبسون (١٩٢٩) فيما بعد بإعادة تجارب فولف فى ملامحها الأساسية ، وانتهى إلى توكيد الصميم من نتائجه . ولقد كانت الرسوم التى استخدمها جيبسون أقل حظاً من الألفة بالقياس إلى رسوم فولف .

قدم جيبسون مثيراته على « أسطوانة الذكريات » بحيث يظهر كل رسم للمشاهد لمدة ثانية ونصف ثم تمضى به الأسطوانة ويظهر الشكل الذى يليه . ولقد قدمت سلسلة المثيرات عدة مرات ، وفى نهاية كل سلسلة كان يطلب إلى الشخص أن يرسم من الأشكال بقدر ما يستطيع أن يتذكر وبأى ترتيب يشاء . وعلى الرغم من أن الأشكال الأصلية لم تكن تحمل أسماء ، فقد كان يطلب إلى الشخص أن يحدد ماهية الشىء الذى يرسمه . وبإرغام الشخص بهذه الصورة على أن يستعين بعاداته اللفظية ، فقد تبين أن هيئة الشكل المستعاد كانت تعانى التغير بصورة ملفتة لتساير التسمية المحددة للشىء . فشخص رسم «جذع إنسان» ، وآخر رسم « أثر قدم » وثالث رسم « دمبل » (قبضة من حديد لتمرين العضلات) . وليس من شك فى أن إساغة الشىء هذه قد بدأت حتى منذ اللحظة الأولى للإدراك ، ولو أن الشخص لم يقم بتسمية مسموعة للشىء قبل أن يفرغ من رسمه . ولقد كشفت استعادة الرسوم بعد عام وخمسة أسابيع عن مدى ما للافتة اللفظية من أهمية فيما تمارسه من أثر « إرسائى » – أثر المراسى – على الشكل الذى يتخذه الحفظ والإدلاء .

ولقد أبرز جيبسون ، فى تفسيره للنتائج ، بأكثر مما فعل فولف ، الدور الحاسم



شكل (١١) الرسم المثير وعينات من الاستعادات التى قام بها أشخاص مختلفون – بحسب جيبسون .

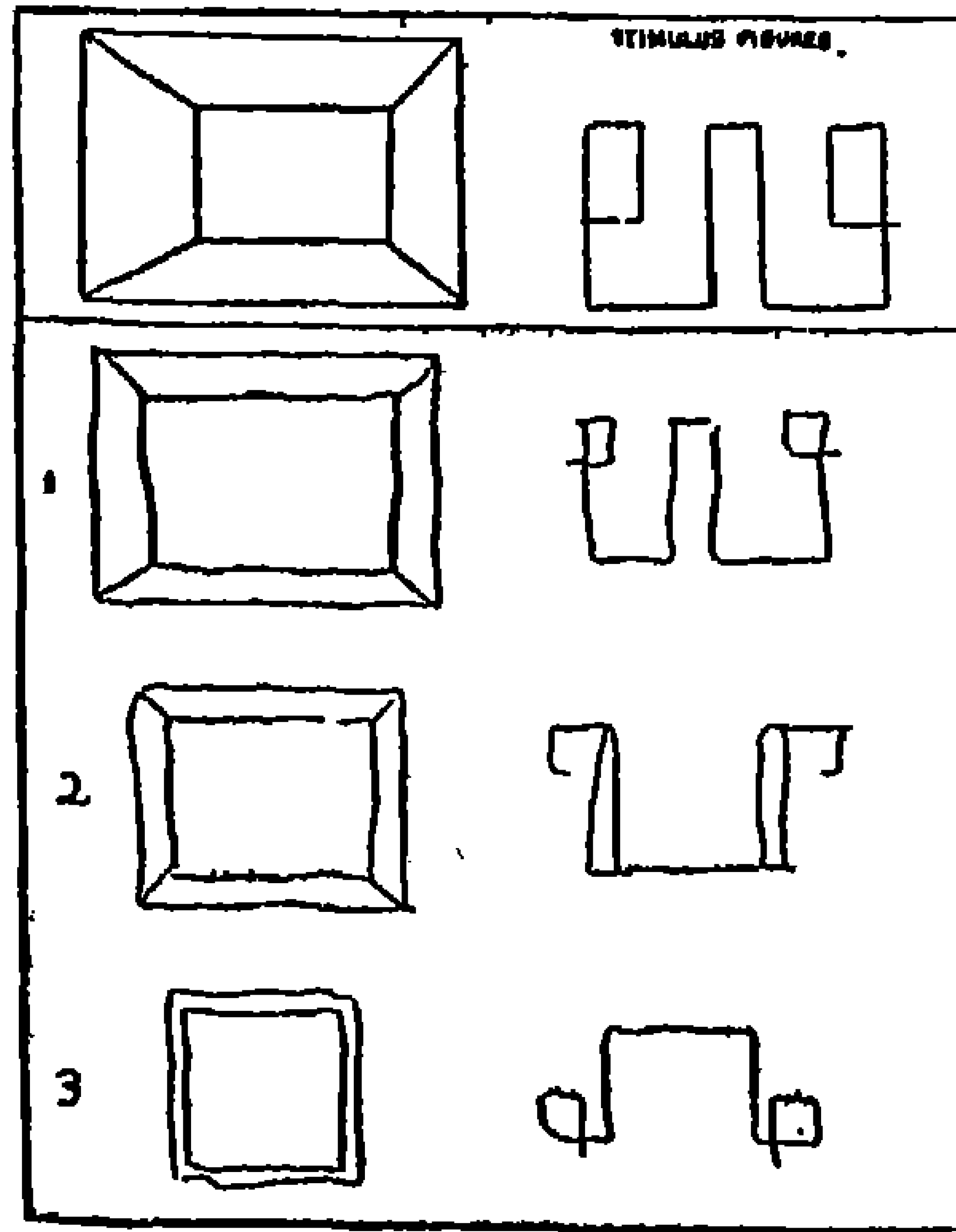
الذى تلعبه « الإساغة الترابطية » . فالرسوم تميل ليس فحسب إلى أن تحقق التناظر والاسترسال الحسن كما قال فولف ، ولكنها تميل ، بل وبصورة أكثر استلفاتاً ، إلى مشابهة الأشياء المألوفة ، وإلى أن تتأثر بعملية التسمية .

وفى تجربة مماثلة أجرى أولبورت (١٩٣٠) التجربة على ٣٥٠ من أطفال المدارس ، وقدم إليهم رسمين كانا فى مظهرهما أكثر « انغلاقاً » وأكثر اتساماً بالطابع الهندسى بالقياس إلى رسوم فولف وجيبسون . كان يعرض المثير على الأطفال لمدة عشر ثوان ثم يطلب إليهم أن يقوموا برسم الشكلين فى التو من الذاكرة . وبدون سابق تنبيه أعيدت التجربة بعد أسبوعين ، ثم مرة أخرى بعد أربعة أشهر ، وكان المجرب يطلب إلى الأطفال فى كل حالة أن يرسموا من جديد ما سبق لهم رؤيته على اللوحة . كان الرسمان من الرسوم المستخدمة فى اختبار ستانفورد بينيه لقياس الذكاء .

ونلاحظ فى المجموعات النمطية للاستعادات الموضحة فى شكل (١٢) كيف أنه مع الوقت يميل الانطباع إلى البساطة والتناظر . فاختلاف بعدى الجانبين داخل الهرم المبتور هو أحد التفاصيل التى اعترتها التسوية فى لحظة مبكرة . والعمود الأوسط فى المفتاح يبدو فى الاستعادة الثانية وكأنه يحارب معركة خاسرة ليبقى فى مجال الحفظ . فهو يختفى كلية فى الاستعادة الثالثة ، بينما يعانى المفتاح الانقلاب . والشكل الختامى للرسم هو أكثر صلابة واندماجاً ، فهو مجرد هيكل بالقياس إلى ما كان عليه . لقد عانى التسوية والإبراز ، كما عانى الإساغة بالنسبة إلى الاتجاهات العقلية إلى تفضيل التناظر والتوازن والامتلاء[1] .

---

(١) وأما أن هذه الاتجاهات ترجع إلى ميكانيزمات أساسية للمخ ، أو إلى ميول ترابطية بفعل التجارب السابقة ، أو إلى بعض الاستعدادات القبلية والتى ربما تستند إلى تناظر الجانبين فى الجسم ، فتلك مسائل لا محل لمناقشتها هنا . وهناك مناقشة مفصلة لهذه المشكلة يوردها اولبورت (١٩٣٠) .

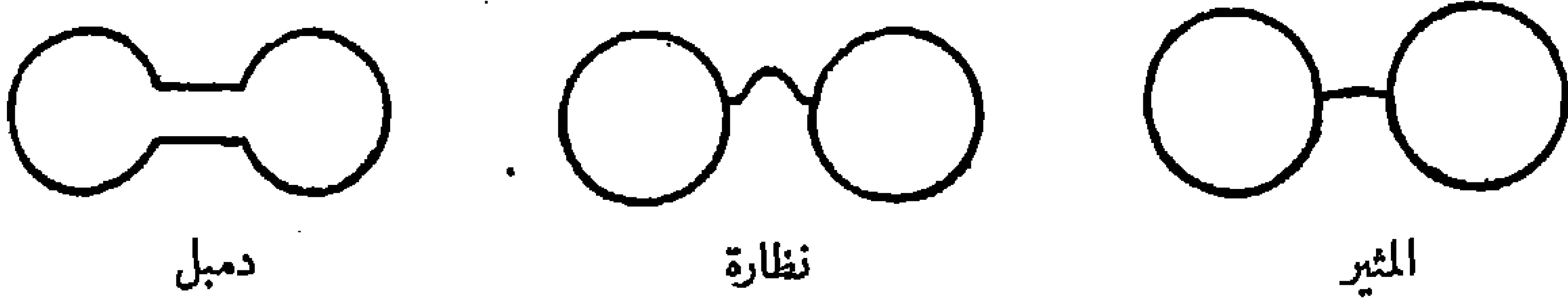


شكل (١٢)

الشكلان المثيران هما الأعليان يليهما شكلا الاستعادة الأولى فشكلا الاستعادة الثانية فالثالثة

ونورد فيما يلى تجربة توضح الآثار المستلفتة التى تنتج عن الإساغة بالنسبة إلى العادات اللغوية . قام كارميكايل وهوجان وولتر (١٩٣٢) بتقديم سلسلة من اثنى عشر رسماً تمثل أشكالا هندسية بسيطة ، وذلك إلى الأشخاص الذين أجريت عليهم التجربة .

لقد تم إعداد هذه الرسوم بحيث يمثل كل واحد منها شيئين على الأقل من الأشياء الواقعية . كذلك عند عرض هذه الرسوم على الجماعات المختلفة فى التجربة اختلفت الأسماء المصاحبة . ثم طلب بعد ذلك إلى الأشخاص أن يرسموا من الذاكرة أكبر عدد ممكن من هذه الأشكال بأعظم ما يمكن من الدقة . ولقد كانت الرسوم التى رسمها الأشخاص فى استعاداتهم تكشف عن مسايرة الأشكال المحفوظة فى الذاكرة للأسماء التى كانت مصاحبة لها . وشكل (١٣) ، الذى يمثل أحد هذه « الرسوم — المثير » مع اسمين مصاحبين واستعادتين نمطيتين ، يوضح هذا التأثير



شكل (١٣) الشكل – المثير واستعادتان لشخصين – عن كارميكايل وهوجان و ولتر
كانت الكلمة المصاحبة للمثير هى « نظارة » بالنسبة إلى أحد الشخصين ،
وكانت « دمبل » بالنسبة إلى الشخص الآخر .

الذى تحدثه التسمية اللفظية فى ذكريات الأشكال المرئية . هاهنا نجد برهاناً صريحاً على الحقيقة التى مؤداها أننا ندرك ونتذكر ليس فحسب ما يأتينا عن طريق أعضاء الحس وإنما أيضاً ما تهيئونا عاداتنا اللفظية والثقافية وتجاربنا الماضية لأن ندركه ونتذكره .

ولنرجع الآن إلى تجارب بارتلت (١٩٣٢) التى عرضنا لها فى الفصل الثالث . وفى تلخيصه للنتائج المتصلة بالتغيرات التى تعترى القصص فى استعاداتها المتعاقبة ، حدد بارتلت ثلاثة خطوط رئيسية للوى . وسيتبين القارئ هذه الخطوط بحسبانها برهاناً آخر ، وقائماً برأسه ، على وجود التسوية والإساغة والإبراز :

١ – « القصة ينتابها القصر إلى حد بعيد ، وخاصة عن طريق الاستبعاد » (التسوية) .
٢ – « عبارة القصة تصبح أكثر عصرية » . (حالة من حالات الإساغة) .
٣ – « القصة تصبح أكثر تماسكاً وتسلسلا مما كانت عليه فى صورتها الأصلية » . (الإبراز) .

وفى دراساته المنصبة على كثرة من الأفراد (الاستعادات السلسلية) ، يورد بارتلت نفس هذه العمليات الثلاث ، ولو أنه لا يستخدم نفس مصطلحاتنا . فقد كتب يقول (١٩٣٢ ص ١٣٨) : « يبدو تحت ظروف التجربة أن التغيرات التالية هى الأنماط الرئيسية للتغيرات المحتملة الحدوث :

١ – « يتجه التغير إلى تحقيق مزيد من التبسيط العام ، وذلك عن طريق استبعاد العناصر التى تبدو غير ملائمة ، وعن طريق الإقامة التدريجية لوحدة كلية أكثر تماسكاً ، وعن طريق تغيير ماهو مألوف إلى بديل أكثر حظاً من الألفة » . (التسوية والإساغة) .

٢ — « يتجه التغير فى طريق التبرير العنيد، سواء للقصة فى كليتها أو لتفصيلاتها وذلك حتى يتم الوصول إلى صيغة يمكن فى سهولة أن يتقبلها وأن يتعامل بها جميع الأشخاص المنتمين إلى الجماعة المعنية . وقد يتمخض ذلك عن تطوير تشكيلى بالغ . (الإساغة والإبراز) .

(٣) « يتجه التغير فى طريق يتحدد بميل بعض الأحداث العارضة إلى أن تصبح مهيمنة ، بحيث تتجمع حولها سائر العناصر الأخرى . « (الإبراز) .

ولقد أوردنا هذه التجارب المتباينة لندلل على أن البحاث ، على الرغم من استخدامهم لمثيرات مختلفة ولطرائق متباينة، قد انتهوا المرة تلو المرة إلى الكشف عن نفس العملية الرئيسية الثلاثية الأوجه التى تكمن تحت التغيرات التى تطرأ على مجرى الذكريات الفردية والجماعية .

والوجه الرئيسى بين هذه الأوجه للعملية هو — فيما يبدو — الإساغة ؛ ذلك أنه من من الواضح فى جميع هذه التجارب أن الخبرات الماضية ، والعادات اللغوية ، والأنماط الثقافية للتفكير ، والدوافع والاتجاهات الشخصية ، كلها تعد المرسح لنمط اللوى الذى يتم ، وتحدد بالذات العناصر التى يتحتم أن تعانى التسوية وتلك التى يتحتم أن تعانى الإبراز .

ولنمض الآن ممعنين التأمل ، داخل الحقل ، فى بعض المكتشفات الخاصة بدراسة الشخصية والمستندة إلى استخدام ما يعرف بالتكنيكات الإسقاطية . فى هذه التكنيكات يجد الشخص نفسه أمام مثير غير منتظم البنية يتسم بالغموض . وعبر الدلالة الخاصة التى يسبغها على المثير فإن الشخص يكشف — وغالباً دون تنبه منه إلى ذلك — عن نمط البنية العقلية الخاصة به . فى اختبار الرورشاخ مثلا يجد الشخص نفسه أمام مجموعة من لوحات بقع الحبر ويطلب إليه «ماذا يمكن أن يكون هذا ؟» . فإذا ما أجاب الشخص مثلا : « تبدو لى وكأنها صورة أسد مهدد » ، فمن الواضح أنه يغفل (يضطلع بتسوية) الكثير من الملامح غير المحددة . والشخص بذلك إنما يختلق دلالة أمعن فى الإبراز مما تنطوى عليه بقعة الحبر ذاتها . إنه يقوم بإساغة بقعة الحبر بالنسبة إلى اهتماماته الخاصة، وبالنسبة إلى خبراته ، وربما أيضاً بالنسبة إلى مخاوفه . فى بقعة تتسم بالغموض، يرى الشخص ما تجعله

استعداداته العقلية القبلية « يتوقع» رؤيته . ونظراً لأن الإدراك ينغرس عميقاً فى حياته الشخصية ، فإن ما يدلى به غالباً ما يعبرعن شخصيته أكثر مما يعبر عن المثير . وتتوقف كل القيمة التى للتكنيك الإسقاطى على ما لدى الشخص من استعداد قبلى لإساغة إدراكه بالنسبة إلى بنيته العقلية وللإدلاء « بالسبيكة » الناتجة .

والتكنيكات الإسقاطية يمكن أن تستخدم مثيرات جد متنوعة ، شريطة أن تسمح هذه المثيرات للشخص بأن يسبغ عليها دلالة وتأويلا من عنده . ففى أحد هذه التكنيكات يطلب إلى الشخص أن يصغى إلى تسجيل خفيض لصوت بشرى . والصوت فى الحقيقة يتألف فحسب من سلسلة حروف متحركة تسمع بالكاد . وعندما يطلب إلى الشخص أن يدلى بما سمعه من كلمات فمن المحتمل أن يجيب : « يبدو الصوت وكأنه احترس ، احترس ، احترس » ، ومن المحتمل أن يجيب : « لا بد من أن تتم الأمر ؛ فلم لا تتمه ؟ اشرع فى العمل » ؛ إنه بذلك يؤول ما يسمعه تبعاً لاهتماماته الخاصة ، وصراعاته الشخصية .

وثمة نمط آخر للطرق الإسقاطية هو«اختبار الإدراك الداخلى للموضوع » T.A.T. تقدم إلى الشخص صورة ليتأملها وهى تشتمل على الأقل على شخصية من نفس الجنس (ويستحسن لو كانت من عمر مقارب) . وفى تأويل الشخص للصورة (بتكوين قصة عنها) فإنه كثيراً ما يقدم صورة صريحة من الرسم الذاتى للحياة ، دون أن يتنبه إلى ذلك . وهو يفعل ذلك لأنه يتطابق مع هذا الشخص فى الصورة الذى من نفس جنسه ، ومن ثم يحكى آلامه وآماله مع تنكر طفيف يتيح للقصة أن تتلاءم مع الصورة .

ودراسة الطرق الإسقاطية لفهم الشخصية توحى بأن الإشاعة نفسها يمكن أن تكون اختباراً ممتازاً للشخصية . فما الذى يصنعه الشخص بإزاء القصة التى يسمعها ؟ إنه يستجيب لها — ما اتسمت بشئ من « الغموض » (لا يقيدها دليل جامد متاح فى سهولة) وما انطوت على شىء من « الأهمية » المحتملة بالنسبة إلى حياته — كما يستجيب الشخص فى موقف الاختبار الإسقاطى . فمن بين أصباغ حياته العقلية ينتقى الألوان التى يرسم بها القصة . وقلما يعى أنه يحكى عن طبيعته الخاصة أكثر مما يحكى عن الحادثة التى يقصد إلى تصويرها .

الغرس الخلاّق

لقد غدا الآن واضحاً الشبه ما بين الإشاعة وذكريات الرسوم أو الذكريات على نحو ما تقاس فى استعادات القصص ، أو على نحو ما تقاس فى الأداءات الإسقاطية . ولكن عملية التعميم التى نعرض لها الآن تمتد إلى ما هو أبعد من ذلك .

إن الحياة العقلية كلها إنما هى عملية « تذييت » (بمعنى إحالة إلى الذاتية) للعالم الخارجى . نعم ، إننا كيما نستمر فى البقاء نكيف أنفسنا بطريقة ملائمة إن قليلا أو كثيراً بالنسبة إلى البيئة الجغرافية والفيزيائية ؛ ولكننا نعيش بصفة أساسية تبعاً لنظراتنا وتقويماتنا الخاصة للعالم المحيط بنا . وإن ما ندركه إنما نغرسه دائماً أبداً فى شخصياتنا ، ثم نفسره بعد ذلك لأنفسنا وللآخرين فى مسايرة لطبيعتنا العقلية والانفعالية القائمة من قبل .

ولنتأمل حالة الفنان — لأن الفنان من حقه أن يفعل عن عمد ما نفعله جميعاً بغير قصد . إنه يدير انتباهه إلى موقف بعينه — ربما منظر طبيعى أو نقيصة بشرية . وإن ما يدركه يحيله عن عمد إلى ذاتيته ، ويشربه بتأويلاته الباطنية . وأخيراً يسقطه إلى الخارج فى لوحاته أو أعماله الأدبية . فمن شأن الفنانين أن ينالوا « بالتسوية » كل ما لا يتلاءم ، و « بالإبراز » الملامح التى يرغبون فى توكيدها ، وهم بذلك يبلغون إلى « إساغة » الكل بالنسبة إلى معاييرهم الخاصة فى التقويم ، هذه المعايير التى لا حاجة إلى القول بأنها تتحدد من ناحية بالمعايير الثقافية ومن ناحية بطبائعهم الخاصة .

وسيان كانت لنا أو لم تكن الموهبة الفنية ، فإننا جميعاً من الزاوية السيكولوجية ، فنانون . فإن العالم الذى ندركه والعالم الذى نعبر عنه يتأثران دائماً أبداً بما نكون نحن عليه .

والإشاعة حين ننظر إليها من هذه الزاوية إنما هى عمل فنى ساذج . إنها تمثل غرس مدرك حسى فى السياقات العقلية وفى الميكانيزمات العقلية التى تؤلف طبيعتنا . فإن ما نراه أو نسمعه « ينبغى » أن يناله التبسيط فى مسايرة للعملية الاقتصادية للذاكرة ؛ و« ينبغى » تشريبه بالدلالة وذلك إرضاء لدافعنا العقلى إلى السعى وراء

معنى وإلى تجنب العماء العقلى ؛ والدلالة الناتجة يتحتم علينا أن تساير ما اعتدناه من تأويلات للطبيعة وللسلوك البشرى . وعملية غرس الإشاعة ــ التى نسمعها ــ فى فى حياتنا الخاصة لا يمكن إلا أن تنال بالتأثير طبيعة الإشاعة التى نحكيها .

ألا تصدق الإشاعة قط ؟

إننا الآن فى وضع يسمح لنا بمواجهة سؤال يكثر ترديده : « هل الإشاعة دائماً أبداً زائفة ؟ » أفلا نستطيع أبداً ، فى أى ظرف من الظروف ، أن نصدق إشاعة ؟

من الواضح أن هذا السؤال إنما ينطوى على مسألة تتصل بمعانى الكلمات . فلو قمنا بتعريف الإشاعة على أنها أى شىء نسمعه من الفم الثانى ، لكان من المحتمل جداً أن تكون بعض الإدلاءات التى تصل إلينا على درجة كافية من الدقة ، بحيث تصلح للتصديق . ولكن عندما يتكشف إدلاء كهذا عن أنه جدير بالتصديق ، فغالباً ما نتبين أن ثمة معايير أكيدة للتدليل قد كانت متاحة للأشخاص فى سلسلة « الإشاعة » . إنهم عندئذ يتحدثون عن أحداث يعرفونها من نبعها الأول ، أو أنهم قد توفرت لديهم الفرصة والرغبة للتحقق من صحة هذه الأحدث وروايتها تمضى فى طريقها . هل نسمى مثل هذا الإدلاء الذى تم التحقق منه إشاعة ؟

لقد اقترحنا فى مقدمة هذا الكتاب ، كأكثر تعريفات الإشاعة صلاحية ، أن نعد الإشاعة عبارة أو قضية مقدمة للتصديق ، تنطوى على إيماءة موضعية ، دون أن تكون هناك معايير أكيدة على صحتها . ويتميز مثل هذا التعريف بأنه يعين على تمييز قاطع ما بين الإشاعة والخبر . ولو قبلنا هذا التعريف فمن الممكن القول : إن أشكال اللوى التى تنتج من عملية « الغرس » (أى من التسوية والإبراز والإساغة للمشاعر الشخصية) إنما هى من العظم بحيث يكون من غير المأمون فى أى ظرف من الظروف أن نقبل الإشاعة على أنها سبيل حق إلى الاعتقاد والسلوك .

لقد أبانت تجاربنا كيف أنه لا يمكن التعويل حتى على الاستعادات الثانية أو الثالثة فى الترتيب ، والتى حصلنا عليها تحت ظروف معملية تعد نسبياً مواتية .

ومن المحتمل أن تتعرض إشاعات الحياة اليومية لضروب من الإتلاف المسرف .

ولكن أفليس من الجائز مع ذلك أن تنطوى الإشاعة ، كيفما كان تعريفها ، على نواة من الحقيقة ، ومن ثم لا ينبغى رفضها كلية ؟ ونواة الحقيقة هى ببساطة ما يلى : كل إشاعة تقريباً تبدأ من مدرك حسى ؛ وبافتراض أن هذا المدرك يتفق مع الحقيقة الخارجية ، فلابد عندئذ وأن يكون هنالك لب يمكن التعويل عليه فى إدلاء شاهد العيان . وأكثر من هذا ، فإن الموضوع الرئيسى للإشاعة ، كما رأينا ، هو أكثر العوامل مقاومة للتغير ، ومن ثم نستطيع فى العادة أن نثق من أن القصة التى نسمعها لها علاقة « ما » بالحادثة التى نقصد إلى روايتها . غير أن نواة المعلومات الموضوعية تصبح من الانغراس فى الحياة العقلية الذاتية لعملاء الإشاعة بحيث لا يمكن بطريقة مأمونة التعويل على النتاج كسبيل عملى إلى الفعل . فإشاعة الجاسوس اليابانى التى أوردناها فى مطلع هذا الفصل لم تكن برمتها جديرة بالتصديق ، لأغراض عملية . فإنها قد شوهت من شكل نواة الحقيقة إلى حد أن هذه النواة لم يعد من الممكن التعرف عليها .

وهنالك ولا شك حالات حدودية لا نستطيع بإزائها أن نجزم ما إن كانت « مضغة » ما ينبغى أو لا ينبغى أن تسمى إشاعة ، فإنه من العسير تحديد معيار لتبين الصحة فى هذا الأمر ، وخاصة إذا كانت تلك « المضغة » تستند إلى نواة من المعلومات الذاتية الجديرة بالثقة . فجماعة من علماء الذرة يناقشون بعض وقائع الذرة لا يمكن بحسب تعريفنا أن يكونوا قائمين بنشر إشاعة ، ذلك لأن لديهم جميعاً فى عقولهم الخاصة معايير دقيقة يستندون إليها فى الحكم على مدى صدق ما يسمعونه . ومع ذلك فإن الإدلاءات التى تتم حتى تحت مثل هذه الظروف المواتية ، يمكن ألا تكون بريئة تماماً من عملية « الغرس » . والعلماء مع ذلك حذرون فى العادة ، لأنهم يعرفون أكثر من غالبية الناس أن الحقيقة إذا انزلقت إلى رحم الأمانى والرغبات والتصورات القبلية فإنها تصبح غير جديرة بالتصديق .

المبالغة :

كل إنسان يعرف أن الإشاعات تميل إلى المبالغة . وتحليلنا للإشاعة يضع فى

اعتباره هذا الميل المقيت ناظراً إليه من زاوية «الإبراز» . فجوهر القصة ، أو ما يعده المستمع جوهرها ، إنما يتضح عن طريق « وضع النقط على الحروف » . فقصد أية إشاعة هو أن «تنقل» انطباعاً موحداً عن الشيء بعد هاماً . وهل من سبيل لنقل هذا الانطباع أفضل من الأسلوب البيانى فى المغالاة ؟ فإذا ما هاجم رذيل شخصاً ما ، فلم لا نقول عن هذا الأخير بأنه كان ضحية مجنون ؟ وفى حالة ما يكون الاهتمام بعنصر المعاداة لهذا الشخص هو المسألة الرئيسية ، فلم لا نقول إنه قد تعرض للهجوم من جانب « ثلاثة » ، أو حتى من جانب « جمهرة » ؟ وإذا ما نال شخص وصية دسمة قدرها مائة ألف دولار ، فلم لا ننقل فكرة الثروة العريضة بشكل أوضح فنقول إن قيمتها مليون دولار ؟ وإذا تعرض أمننا للخطر فى بيرل هاربور بفقدنا الكثير من السفن ، فلم لا نجعل التأثير أكثر فاعلية فنقول إن أسطولنا قد انمحق بكليته ؟ إن الدلالة الانفعالية للخبر — وهى هدفه الأساسى — تظل هى هى ، سواء كان العدد دقيقاً أو منطوياً على المبالغة . ولكن القيمة التعبيرية للخبر تكون أعظم عندما يتم « التبدل الوضعى » للخبر بنقله من التسجيل المتواضع إلى أعلى نغمة فى « السلم » .

ومن الطرائق المألوفة للمبالغة تضخيم الأعداد . ولقد رأينا فى تجاربنا كيف أن بروز الزنجى فى شكل (٥) قد نقل فى بعض الحالات بعبارات من قبيل « أربعة زنوج » ، وكيف أن الأشخاص السبعة فى منظر القطار التحت أرضى (شكل ٧) قد أصبحوا «الجمهرة» المألوفة فى القطارات التحت أرضية . ويندر فى الواقع أن نجد التقدير العددى لأى عنصر من عناصر الإشاعة يتضاءل أثناء تناقلها . وإذا كانت العناصر غير الفردية — أى المشتملة على أكثر من واحد — تعد جديرة بالحفظ على الإطلاق ، فإنها تعد جديرة بالتكثير .

وتتخذ المبالغة أيضاً أشكالا أخرى . فالدوافع التى تنطوى عليها القصة تلقى فى العادة المزيد من الإضاءة اللونية — وذلك إلى حد أن يصبح بطل القصة بؤرة الانفعال — ومن اختلاق الأهواء . فالمتفرج الصينى البرئ يصبح جاسوساً خطيراً . والجار الجديد الذى يصرخ طفله بكثرة هو أب فظ . والجنود فى المعسكر القريب ، وهم لا يختلفون غالباً عن معظم الناس ، يقال عنهم أنهم مطبوعون على الاغتصاب والنهب .

وكل ما هو أساسى فى القصة يميل إلى معاناة الإبراز . وقد يصل الإبراز حد الغرابة حين تأخذ بعض المبالغات العارضة فى التزايد حتى تحتل المكان المركزى من المرسح ، بل وحتى إلى حد إنزال « التسوية » والاستبعاد التام بالموضوع الرئيسى . ففى إحدى التجارب المستندة إلى شكل (٢) قرر الإدلاء أن متفرجاً كان « منحنياً قليلا » . ولقد أثر هذا الإدلاء فى القائمين بالإدلاء على التوالى ، ولقى التوكيد أثناء الرواية ، مما تمخض فى الصيغة الختامية عن ضياع الحدث الأساسى ، واقتصارها على رجل منحن ويحمل رجلا آخر على ظهره ؛ وبهذه الطريقة يمكن للموضوعات الأصلية أن تتغير تماماً وذلك بفعل المبالغة العارضة لعناصر كانت فى الأصل ثانوية .

التطوير التشكيلى :

يقال عادة إن الإشاعات تتعرض للزركشة عند الرواية ، أو إنها تكبر ككرة الجليد المتدحرجة . وتلك إساءة فى الفهم . وعلى الرغم من أننا نجد ولا شك الكثير من الإقحامات ، إقحامات للأسباب والتفصيلات الموقفية ، فإنها فيما يبدو إنما تتم فحسب فى خدمة الإبراز . والتطوير التشكيلى الذى يخدم غرضاً غير التماسك وغير توكيد الموضوع الرئيسى للقصة نادراً ما يحدث — وهو لم يحدث مطلقاً فى تجاربنا .

وكذلك بارتلت ، فإنه لم يجد أية حالة من حالات التطوير التشكيلى تنطوى على ما لا يتلاءم مع ما ذكرناه ، وذلك فى دراساته لاستعادات الذكريات ، سيان المكتوبة أو المرسومة . ويتساءل بارتلت مع ذلك عما إن كان لا يحتمل — فى تناقل الألفاظ المنطوقة — أن يكون هنالك ميل أكبر إلى إضافة بنية فوقية خيالية . (بارتلت ، ١٩٣٢ ص ١٦٥) . ولعله يقصد إلى الحقيقة التى لا يرقى إليها الشك والتى مؤداها أن الراوى الممتاز يضيف من الاستطرادات ما يضمن الحيرة والترقب عند المستمع ، ويستجلب من الطرائف المساعدة ما يحشو به قصته . ولكن هذا الحشو قل أن يوجد فى المجرى العام للإشاعة . وحتى حين يضطلع متحدث فنان بتكبير مضمون الإشاعة فإن الاتجاه العادى لها هو دائماً أبداً إلى التناقص . وبصورة أساسية فإن الإشاعات تتقلص ، فتصبح مقتضبة منكمشة ، حتى تأخذ

صورة الخلاصة أو الحكمة . (انظر الأمثلة تحت عنوان « حدود التسوية » فصل ٥) . والتطوير التشكيلى الذى يحدث ، وإن بدا ذلك متناقضاً ، إنما هو فى الواقع فى خدمة البساطة ، ويتجه إلى توكيد الموضوع الرئيسى . ويوضح شكل (٣) وهو مأخوذ من أبحاث بارتلت ، حالة التطوير التشكيلى فى تغير الدوائر ؛ ولكن الشخص فى استعادته كان يعبر قبل كل شىء عن مجرد البساطة الأساسية فى تصوره .

ومن المحتمل أن تكون هنالك حالة واحدة يحدث فيها التطوير التشكيلى بمعنى الكلمة ، وإن لم تكن قد أجريت بعد دراسات خاصة عن هذه الحالة . فإننا نلاحظ أحياناً عقب وقوع حادث ينطوى على توتر انفعالى شديد ، من قبيل حادث خطير أو أزمة عائلية ، قيام ميل مثابر عنيد . فالناس الذين يعنيهم الحادث بعمق يجترونه ، ويتحدثون عنه بلا توقف ، مستطلعين فى خيالهم كل النتائج المحتملة . إنهم يقدمون إلى كل قادم جديد تفصيلات أكثر ، ملائمة أو غير ملائمة تمام الملاءمة . إنهم يحكون أفكارهم مقتفين آثارها ، متناولين بالتطوير التشكيلى الظروف الكامنة وراء الموقف ، متمخضين فى طريقهم عن تبريرات أكثر فأكثر . « فالمثابرة الانفعالية العنيدة » يمكن إذن أن تكون الدعامة لتطوير بمعنى الكلمة من جانب الأشخاص الذين يعنيهم الحادث الجلل بصورة مباشرة . ولكن ما يزال صحيحاً أن الرواة « المتلاحقين » يميلون إلى إنزال الإبراز والتسوية بالإشاعة وذلك على نحو بحيث يكون مجراها أقرب إلى التكثيف منه إلى التطوير .

وينبغى أن تتم دراسات خاصة ، فى هذا الصدد ، لتطور الأساطير . فأسطورة البطولة عند أهل الشمال ليست بحال قصيرة . فليالى الشتاء الطويلة فى الشمال تناهض الإيجاز ، وتولى الأهمية للحشو اللفظى . والظاهرة هنا تعد بالحرى ظاهرة خاصة : فإن شخصية مركزية فى القصة ، أو مجموعة من الشخصيات تصبح بؤرة التأثيرات المتلاقية لكثير من الإشاعات المترابطة فيما بينها . فالأسطورة تستحيل إلى جزء من « روح الشعب » . إنها تزيد على أن تكون مجرد « عبارة مقدمة للتصديق تنطوى على إيماءة موضعية » ، ومن ثم فهى تعلو على صنف الإشاعة المجردة . ولكننا نعرف أنه حتى فى الآداب الشعبية (الفلولكلور) يوجد ميل فى

العناصر المستقلة إلى أن تتبع مجرى الإشاعة الذى ينتهى إلى الخلاصة والحكمة . فقصة جورج واشنطون وشجرة الكريز تعد قصة قصيرة بدرجة كافية ، وكذلك أيضاً قصة نيوتون والتفاحة . فعلى الرغم من إمكانية وجود أسباب تدعو إلى التطوير فى الأساطير ، فإن الميل إلى « الخلاصة » لا يغيب بأى حال .

ومن الممكن أن تكون هنالك فروق ثقافية فيما يتصل بالميل إلى الاقتضاب أو إلى التطوير فى الأقصوصة . فإن بارتلت يذكر هذه الواقعة ، وهى أن الأشخاص الهنود فى تجاربه كانوا يميلون إلى الإطناب والتفاصيل المزركشة فى القصص أكثر من الأشخاص الأنجلوسكسون فى نفس التجارب . وكذلك يقال إن الإشاعات الصينية تمضى متزايدة فى أبعادها وأيضاً فى حدتها . ومن هنا فإن التقلص الذى لاحظناه سواء فى تجاربنا أو فى حصيلتنا من الإشاعات يمكن أن يكون إلى حدما نتيجة لولع الأمريكيين بما قل ودل .

التكثيف :

إن الذاكرة البشرية لهى من التغير بحيث يستحيل عليها أن تحفظ كل حادثة جزئية بهوية مصونة ، ومصنفة إن جاز القول للرجوع إليها فى المستقبل . ونظرية الذاكرة « كمخزن » قد تم استبعادها منذ زمن بعيد .

فإن ما يحدث فى العادة هو أن الحادثة متى عاشها الشخص لا تلبث أن تنسبك مع الأحداث السابقة المماثلة ، بحيث تنتهى كلها إلى « ذكرى عامة » . وكلنا قد صدمه يوماً اكتشافه أنه قد خلط ما بين شخصين مختلفين فى الذاكرة ، أو اكتشافه أن إحدى ذكريات الطفولة قد تكشفت عن كونها ليست واحدة وإنما هى مزيج من أحداث متمايزة تماماً . والأحلام جد معروفة بتكثيفاتها : فالعديد من فتات التجارب الحية غير المترابطة فى الوقع تصبح سبيكة محكمة فى قصة أخيولية ، تنحصر أصالتها على الأخص فى انبثاقة من الترابطات الغريبة فى تجمعها .

ولقد اكتشف بارتلت فى تجاربه بأن ما من فرد واحد فى تجاربه كان بمنجاة من خلط وسبك ما كان فى الإصل مثيرات مستقلة تماماً . (بارتلت ١٩٣٢

ص ١٠٣) . أما فى تجاربنا فإننا لم نستخدم « المثيرات المتآنية » ، ولكننا لاحظنا انصهاراً لتجارب حية متنوعة يتم فى عملية الإساغة (فصل ٦) .

والمغزى المستفاد هو أن القصة التى تنطوى عليها إشاعة الحياة اليومية يمكن فى الحقيقة أن تكون سبيكة من جملة أحداث متشابهة . ويمكن على الخصوص اعتبار « الأنماط الجامدة » نوعاً من التكثيف . والخبرات المتباينة مع أفراد جماعة أجناسية ، أو جماعة دينية ، أو غير ذلك ، هذه الخبرات يمكن أن تنسبك ضمن تعميم غير مشروط يطبق بغير تمييز على جميع أعضاء الجماعة المعنية . فالإشاعة التى تبدأ « كان يهودى . . . » غالباً ما تحدد الموضوع الذى يلى . فقد بعث نمط جامد قائم من قبل ، لا يمثل بدوره أكثر من تكثيف لأفكار غرستها كثرة من الإشاعات والأساطير السابقة وغير المشروطة .

وثمة شكل خاص من التكثيف نجده فيما تنطوى عليه بعض أنماط الشخصيات من قوة الجذب لبعض أنماط القصص . فإذا كانت هنالك قصة فاجرة تريد لنفسها الترديد فمن الممكن أن تلصق نفسها بالنجمة الناهدة ماى وست . فمستر أنتونى ، وكال كولدج ، والبارون مونشوسن ، وتل يولنسبيجل ، وغيرهم من الشخصيات القديمة والحديثة قد عملت كأعمدة جاذبة للصواعق بالنسبة إلى الملح الدائرة . وتفسير ذلك أن القصة التى تتم إساغتها إلى شخصية مشهورة تكتسب تحدداً ودلالة منضافة . وراوى القصة يكاد يتبنى أية وسيلة لإبراز النقطة الأساسية فى قصته بجعلها عيانية ومشخصة فى طابعها .

مسايرة العرف :

على الرغم من أن لكل واحد منا أنماطه الجامدة الخاصة به ، فإن غالبية أنماطنا الجامدة مستقاة من بيئتنا الاجتماعية . ومع انتشار الإشاعة يتحتم على الإشاعة أن تتجرد من لونها التجميلى الخاص . فالكلمات المألوفة تستخدم لنقل المعانى المألوفة . أما الكلمات غير المألوفة ، واللطائف اللفظية ، والتأويلات الفردية فكلها تنمحى . فعندما تضطلع شخصيات متباينة بنشر أقصوصة فإن أصغر قاسم مشترك هو وحده الذى يستطيع البقاء . تهبط القصة فى البساطة اللفظية إلى مستوى أقل الناس — ضمن سلسلة النقل — تثقيفاً ، وأقلهم ثروة لغوية .

القطة الفصيحة

بريشة بدفيش

ما من شيء يولد المبالغة قدر المبالغة





وفيما يلى مثل على الإساغة إلى الفئات اللغوية الدنيا . كانت السيدة المشرفة على إحدى الدور الدبلوماسية تهيئ لاستقبال أحد الدبلوماسيين الأجانب . فقالت للخادمة إنها تريد « كل شيء على ما يرام ، لأن الوزير minister السويدى سيحضر للعشاء » . وفى روايتها لإحدى صديقاتها قالت الخادمة : « يا إلهى : إن القسيس minister قادم للعشاء ، ولم يفكروا حتى فى رفع السجاير عن المائدة » . كانت السيدة المشرفة تعرف على الأقل مدلولين لهذا اللفظ minister ، أما الخادمة فلا تعرف له غير مدلول واحد . فإساغتها لما سمعته قد جاءت وفق النمط اللغوى الوحيد المتاح لها .

والخادمة فى هذه القصة لم تقتصر على تغيير المعنى الذى قصدت إليه السيدة فى عبارتها ، وذلك بملاءمة العبارة لأنماطها اللفظية الخاصة ، ولكنها أضافت من عندها تأويلا أخلاقياً تبعاً لمعاييرها فى التقويم ، والتى تماثل بالطبع معايير طبقتها الاجتماعية . « فمسايرة العرف » غالباً ما تتخذ صورة توجيه المديح أو اللوم تبعاً للمعايير السائدة فى الجماعة التى تسرى فيها الإشاعة .

ويعرض بارتلت صورة أخرى هامة من صور مسايرة العرف ، فى العملية الثلاثية الإدراك ــ الحفظ ــ الإدلاء . فأحد أمثلته ينصب على فرد من قبيلة السوازى Swazi فى إفريقية كان يزور إنجلترا . وعند عودته إلى بلاده جعل يحكى عن الرقة وروح المودة إلى يتحلى بها موظفو المواصلات فى بريطانيا . فما السبب فى أنه أدرك فيهم روح المودة وتحدث عنهما ؟ يقول بارتلت إن ذلك يرجع إلى أن السوازى يحيى زائريه بيد مرفوعة . ولقد وجد الرجل هنا هذه الحركة المألوفة ، الحارة بالمودة فى بلد أجنبى . ولقد كانت هذه الحركة من الأشياء القليلة التى يراها الزائر والتى يمكن مباشرة أن تندرج ضمن إطاره الاجتماعى القائم . فكان أن أحدثت عنده انطباعاً آنياً وأثراً متصلا . (بارتلت ١٩٣٢ ص ٢٤٨) .

وكل الإشاعات متاحة لمثل هذه « الإساغة الثقافية » . ولقد ذكر بارتلت أن الأشخاص الهنود فى تجاربه ، فضلا عن كونهم أكثر ميلا من الأشخاص البريطانيين إلى إبراز القصص عن طريق الزركشة والتطوير ، فإنهم أيضاً كانوا يميلون إلى إقحام لون مميز لمغزاها بحيث تساير المجرى المألوف للأقاصيص الهندية . (بارتلت ١٩٣٢ ص ١٣٨ ــ ١٤٦) .

وهكذا تتحايل الثقافة بوسائل مختلفة لتبسيط وتجميل الأقاصيص . والثقافة بما لها من قدرة على جعل الأقاصيص مسايرة للعرف ، تعد أحد المحددين الرئيسيين للنمط الأساسى للوى ؛ أما المحدد الآخر فجملة الميول الفردية التى تعمل عملها فى الإدراك والحفظ والإدلاء ، وهى التى وجهنا إليها حتى الآن الجانب الأكبر من اهتمامنا . وسنتناول فى الفصل التالى طرائق أخرى تتكامل بها الإشاعة ضمن حياة المجتمع

الفصل التاسع

الإشاعة فى المجتمع

لقد شغلنا حتى الآن — إلى حد بعيد — بالعمليات العقلية عند الشخص العميل ، ناقل الإشاعة . ولكن الإشاعة ، شأنها شأن كل شكل من أشكال التعبير الإنسانى ، إنما هى بصورة أساسية ، ظاهرة اجتماعية هى فى بعض اللحظات ترتسم موجات متناقلة من الحديث ، وفى لحظات أخرى تنحدر شلالات من العنف . هى فى بعض اللحظات تقتصر على حفنة من الناس ، وفى لحظات أخرى تحتضن الملايين ، وذلك قبل أن تستنفد طاقتها وتهجع ساكنة . وليس من النادر أن يكون موضوع إشاعة من الإشاعات بحيث يعلو على الاستنفاد ، ومن ثم يتواتر هذا الموضوع فى صور مختلفة عبر فترات متعاقبة من التاريخ . فقد يتكشف شكل من أشكال الإشاعة عن قيمة كبيرة ، فيتجمد هذا الشكل فى أسطورة خالدة . ولكن الإشاعة ، مسالمة كانت أم مدمرة ، واسعة المجال أم ضيقته ، طويلة الأمد أم قصيرته ، فإنها ظاهرة قائمة ضمن نسيج كل ثقافة من الثقافات البشرية . فمن المستحيل أن نتصور مجتمعاً بغير إشاعات .

الإشاعة والتاريخ :

كان أباطرة الرومان يعانون وباء الإشاعة ، إلى حد أنهم عينوا « حراس إشاعات » (باللاتينية delatores) ، كانت مهمتهم تنحصر فى مخالطة الأهالى ، ونقل ما يسمعونه إلى القصر الإمبراطورى . كانت التقولات الشائعة تعد بمثابة بارومتر دقيق للمشاعر الشعبية . وكان لحراس الإشاعات ، حين يقتضى الأمر ، أن يشنوا من جانبهم حملة مضادة من الإشاعات (شادويك ١٩٣٢) . فالحرب النفسية ليست بالجديدة .

وتقدم لنا حادثة حرق روما عام ٦٤م مثالا طريفاً . وبحسب تحليل شادويك للوقائع ، فإن الجماهير المنكوبة تقبلت ونشرت الأقصوصة الذاهبة إلى أن نيرون ،

وهو حاكم أبعد ما يكون عن الشعبية ، إن لم يكن قد أشعل النيران بنفسه بالفعل ، فإنه على الأقل قد تهلل بالجمال البربرى للـهب ، وغرّد نشيده فى تمجيدها ولم يكن فى افتقار الإشاعة إلى أساس من الواقع ما يعين نيرون . وفى دفاعه عن نفسه ، نجده يطلق إشاعة مضادة ، يتهم فيها المسيحيين ، الذين كانوا ممقوتين من الشعب أكثر منه ، بأنهم هم الذين أشعلوا النار فى المدينة . ولقد تبين أن هذا الشكل الأخير للإشاعة كان أكثر مسايرة للمخاوف والأحكام القبلية السائدة . لقد كان من « المستساغ للأفهام » أن تصدر مثل هذه الفعلة عن المسيحيين « الحقراء » ، ومن ثم صبت الغوغاء جام غضبها على هذه الضحايا السهلة من كباش الفداء ، متناسية إلى حين عدائيتها لنيرون .

ولو افترضنا أن الوقائع كانت ، فى هذه الحادثة ، على نحو ما وصفها شادويك ، فإننا نتبين هنا فاعلية الديناميات الخاصة بالإشاعة فى صورتها النمطية . فمصدر الحريق غير معروف (غموض) ، وتأثيره على حياة الناس (أهمية) بلغ حد الكارثة . كان الناس يتلهفون على تفسيره ، وفى نفس الوقت على التخفف ، هذا الذى يتحقق بلصق التهمة . ولقد أوحت لهم كراهيتهم ، التى كانت قائمة بإزاء حاكمهم المستبد ، بصيغة معينة . ولكن خوفهم من سطوته ، وعاداتهم الراسخة فى طاعته ، قد جعلتهم جد راغبين فى تحويل نقمتهم إلى «كبش فداء» أضعف ، إلى العقيدة المسيحية المستغلقة على أفهامهم ، والجد مثيرة لريبهم . ومن هنا فعلى المسيحيين ، شأنهم شأن كل الأقليات المهيضة الجناح عبر عصور التاريخ صبت الجماهير المحبطة الغاضبة نقمتها .

هذا إلى أن الحادث ينطوى على جانب آخر من الأهمية . فعلى الرغم من أن إشاعة اتهام نيرون قد توارت حيناً من الزمن فإنها فيما بعد قد عادت لتستقر راسخة . فاللحن الذى استوحاه نيرون من النيران قد غدا أسطورة تاريخية ، بل إنه قد بلغ مع الوقت إلى مرتبة الأمثال. فهذا الطاغية الغليظ القلب يستطيع أن « يعزف على قيثارته وروما تحترق »وليس يعنينا أن يكون نيرون قد فعل ذلك بالفعل ، فحسبنا أن الفعلة المنسوبة إليه هى « عنوان » على شخصيته ، ورمز لها ؛ فهذه الفعلة الشنعاء الواهية الأساس ، والصحيحة مع ذلك من الناحية المجازية ، قد ارتبطت باسمه إلى الأبد . وحيث

إن الاستخفاف بالويلات الكاسحة للبشر ليس من النقائص النادرة ، فإننا نلتقى بمناسبات لا حصر لها ينطبق عليها هذا المثل ، الذى نبت فى الأصل من مجرد فرية حاقدة .

والإشاعة هى التى ساقت سقراط إلى الموت إذ اتهمته بإفساد الشباب وحضهم على الثورة . وفى القرون الوسطى كانت الحروب الدينية والصليبية تجد ما يسندها فى الأقاصيص المسرفة التى تدور حول المعجزات والأسلاب والخطايا . وبعد ذلك بقليل انتشر المستكشفون فى أرجاء الأرض سعياً وراء ما صورته الأقاصيص من كنوز ومن ينابيع للشباب الدائم ، وليظفروا برؤية ما رسمته هذه الأقاصيص عن مسوخ البحار . وكانت أبهة البلاط البابوى ، كما كانت الجوانب الحميمة من حياة الأساقفة ، معيناً لا ينضب للأساطير ، هذه التى أسهمت ولا شك فى تمهيد السبيل أمام حركة الإصلاح الدينى .

ويمكننا أن نتساءل بحق : ما هو — فى التاريخ الإنسانى — القدر الذى يمكن اعتباره استجابة من جانب الجماعات البشرية الهامة للإشاعات الجارية ؟ إنه لقدر كبير فيما نظن ، فإلى وقت جد قريب قلما وجد سكان الأرض ما يعولون عليه غير أنباء الإشاعات . فالصحافة والبرق والإذاعة إن هى إلا مخترعات متأخرة . فلقد كان على الجمهور قبل اختراعها أن يعول على مسافر قادم يأتيهم بما تتناقله الأفواه ، على شخص من أمثال بول ريفير P. Revere ليدق ناقوس الخطر ، أو على «منادى المدينة» ليقدم بطريقته الخاصة أخبار اليوم . ولم يكن هنالك غير القلائل من الحكام والملوك الذين كانوا يتسلمون الأخبار فى رسائل مكتوبة ومختومة ، ومع هذا فلم تكن مصادر أخبارهم بمنجاة من الإشاعات . ولقد رأينا فى تجاربنا المعملية البسيطة ، ما يحدث فى العادة من تحريف حتمى فى « النقلة » الرابعة أو الخامسة ، بل وأحياناً أيضاً فى « النقلة » الأولى أو الثانية أو الثالثة . وعليه فما أبعدها عن الدقة هذه الصورة عن العالم الخارجى التى تصرفت الجماهير ، بل وزعماتها ، وفقاً لها خلال مجرى التاريخ !

وعلى العكس من ذلك ، فإن المصادر التى نستقى منها اليوم الحقائق لهى أكثر بكثير وفرة ودقة . فالبريد والصحافة والإذاعة والبرقيات والرسائل اللاسلكية قد

حرتنا – بما يعلو على القياس – من استرقاق الإشاعة . فمن النادر أن يوجد شخص « يرغب » فى أن يكون بمعزل عن الأخبار . ويبدو من المؤكد أن صرح التاريخ منذ الآن سيقوم أكثر فأكثر على الحقائق الواقعية ، وأقل فأقل على معتقدات الإشاعات .

ومع ذلك فليس فى وسعنا أن نخلص إلى القول بأن الدور الذى تضطلع به الإشاعة اليوم يقل عما كان لها من دور فى العصور السابقة . فالحقائق الموضوعية المتصلة بالحرب ، والنكبات والمحاكمات ، والكشوف ، والتصريحات العامة ، كلها قد غدت متاحة بصورة أدق وأسرع مما كانت عليه فى أى وقت مضى ، ولكن فى نفس الوقت الذى انفسحت فيه الآفاق أمامنا ، اتسعت أيضاً مجالات « الغموض » . فالحرب الأهلية فى الصين ، ومولد التوائم الخمسة ، والحياة الحميمة للممثلات إلخ . . . بدخولها إلى مسرح انتباهنا إنما هى تعبير عن اتساع عالمنا ، عالم الأحداث ، هذا الذى وإن كانت أخبارنا ضمنه رسمية فى بعض جوانبها إلا أنها ما تزال مع ذلك تتسم بالنقص والغموض . ومن ثم فإننا ما نزال نلجأ إلى الإشاعة لنسبغ بنية منتظمة على هذه البيئة المنفسحة . هذا إلى أن حاجاتنا الانفعالية والمعرفية ، برغم المخترعات الحديثة ، لا تختلف عنها عند أسلافنا . وإننا ما نزال مثلهم جد بعيدين عن إقامة تفسير متين للأسرار السحيقة فى حياتنا الشخصية . ومن هنا فغالباً ما نعتمد مثلهم على الأسطورة .

الإشاعة والأسطورة :

يمكن النظر إلى الأسطورة بوصفها « إشاعة مجمدة » . وعلى وجه الدقة ، فإن الأسطورة قطعة من أقاويل ، تتميز ، بقدرة غير عادية على المقاومة ، قطعة قد توقفت ، بعد تاريخ من التحريفات والتبديلات ، عن أن تتغير فى انتقالها عبر الأجيال . وكما يقول لابيير وفارنزورث La Piere & Farnsworth (١٩٣٦) : « إن الأسطورة هى إشاعة استحالت جزءاً من التراث الشفوى لشعب ما » . ومن الناحية اللغوية كثيراً ما يستخدم اللفظان كل مكان الآخر [١] .

---

(١) يستخدم الصينيون لفظاً واحداً للدلالة على كل من الإشاعة والأسطورة ، ألا وهو «شوان» Chuam=

وكيما تستحيل الإشاعة إلى أسطورة يتحتّم أن يتسم موضوعها « بالأهمية » بالنسبة للأجيال المتعاقبة . وإن الموضوعات المتعلقة بنشأة قومية من القوميات ، أو بالكرامة القومية لهى من هذا القبيل . وكذلك الحال بالنسبة للموضوعات المتعلقة بالميلاد والزواج والموت . بل إن كل ما يمكن أن تكون له دلالة طاغية فى عموميتها يصبح جزءاً من فنوننا الشعبية (فولكلور)[1] .

والأساطير يمكن أيضاً أن تستمر فى البقاء بفضل ما يكون لها من قدرة على تصوير الخلال الإنسانية فى صورتها المطلقة . فعزف نيرون والمدينة تحترق ليس بشىء يختص به وحده وإنما يميز كل الناس من أمثاله . وقد حاقت اللعنة بسسفوس

= وكتاب فان لانجهوف ، على الرغم من عنوانه « ازدهار أسطورة » (١٩١٦) فإنه لا يعالج بالفعل غير « إشاعات الفظائع » إبان الحرب العالمية الأولى .

(١) ومع ذلك فقد يحدث بين حين وآخر أن نجد أسطورة عتيقة ، وقد بلغت إلى صورة مستقرة ، تنتهى إلى الاندثار ، مخلفة فحسب ، فى مكانها ، قولا شعبياً مأثوراً . ويوضح لنا المثل التالى ، الذى تفضلت به مس ينج ليو ، هذه العملية ، وهو مثل مستمد من الفولكلور الصينى : .

يذهب القول الشائع إلى أن « شيخاً » عجوزاً هو الذى يضطلع — فى ضوء القمر — بترتيب الزيجات ، وأنه يضع علامة للشريكين اللذين يختارهما ، خيطاً أحمر (وهو لون العرس) يلفه حول قدم كل من الشريكين . وعلى الرغم من شيوع هذه القصة بين الجماهير إلا أن أصلها منسى . ويبدو من الناحية التاريخية أنها ترجع فى أصلها إلى قصة أكثر اكتمالا لا نجدها إلا فى السجلات النادرة لهذه الأساطير التى كانت شائعة منذ ألف سنة . كانت الأسطورة القديمة كما يلى : كاى واى كو — من أسرة التانج الملكية — يقضى ليلة فى فندق أثناء إحدى رحلاته . وهنالك التقى برجل عجوز ينكب على كتاب تحت ضوء القمر . قال العجوز — وهو يجيب على سؤال من واى كو — بأن الكتاب يشتمل على توليفات الزواج بالنسبة إلى جميع الأفراد فى العالم كله . وما هى إلا لحظات حتى كان الرجلان يمضيان معاً فى مدينة (مى) . هنالك التقيا بامرأة كفيفة تحمل طفلة على ذراعيها ؛ وتوقف الشيخ العجوز ليصيح مشيراً إلى الطفلة الصغيرة « تلك زوجتك المقبلة يا واى كو ! » واستولى الغضب على كو فأمر حراسه بقتل الطفلة . فضرب الحراس الطفلة وفروا هاربين . وبعد ذلك بأربعة عشر عاماً طلب كو يد شابة رائعة الجمال ، هى ابنة لشخصية رسمية مرموقة . وأحبها كو بكل جوارحه ، ولكن كان لا يفهم العلة التى تدفع عروسة الساحرة إلى أن تضع دائماً أبداً زهرة من اللؤلؤ على حاجبها . ولشد ما كانت دهشته حين علم أنها كانت تلك الطفلة الصغيرة التى ضربها أحد حراسه ، وأن الحلية كانت تخفى ندبتها . عندها شعر كو بالغبطة وحمد الله على نجاة زوجته الجميلة ، بل إنه ازداد تفانياً فى حبها . أما الفندق الذى التقى فيه أولا بالرجل العجوز فقد سمى منذ ذلك الحين « فندق الخطوبة » .

ومن الواضح أن هذه الأسطورة التى ترجع إلى ماض مجهول قد اتخذت الصورة المكتملة البنية . ولكنها عانت خلال العصور المتعاقبة من « التسوية » و« الإبراز » بحيث لم يبق منها إلا الرجل العجوز تحت القمر و « وظيفته فى التزويج » . وضمن هذه المتخلفات تمت « إساغة » عنصر جديد ، هو الخيط الأحمر رمز الأواصر الزوجية .

فكتب عليه أن يدفع حجراً هائلا إلى أعلى التل ، لا لشىء إلا ليراه المرة تلو المرة وهو يهوى إلى القاع . وتصدق الأسطورة اليوم على البائسين من الأحياء ممن يعانون فيما يبدو نفس المصير . ووردة عيد الميلاد تتفتح بحسب الأسطورة ، رغماً عن الثلج والجليد ، فى منتصف ليلة عيد الميلاد ، ببلاد الشمال ، مما يترجم عن الفرحة القائمة بالضرورة فى قلوب الناس فى تلك الآونة .

وهكذا يتصل بقاء الأساطير لأنها تجسد حقائق أبدية عن العقل البشرى . فالأساطير تتيح إجابات على الألغاز الدائمة للحياة ، أو أنها تتيح تعبيراً دقيقاً ، وإن يكن مجازياً عن خبايا المشاعر البشرية العميقة . فبفضل الأساطير « تكتسى الحياة — بحسب تعبير كمبال ينج — دلالة ، فلا تتطلب منا صياغة متجددة »[1]. ويضيف ينج أن النسيج الذى تمدنا به الأسطورة يتيح لنا مشاعر الأمن فى ظل من اتصال إيديولوجياتنا وثباتها . وأساطير الجبروت عند أهل الشمال تتيح للسامع مشاعر الاستقرار ، والاعتزاز بالأجداد الأولين ، ناهيك عن تفسير لمشكلات الكون ترضى عنه النفس . فهذه الأساطير — ككل الأساطير — إنما هى أدوات تفسير نافعة للإنسان خلال حياته القصيرة الغامضة على الأرض .

وتعرف الأساطير التى تتناول القوى الرئيسية ، والكون ، والمعتقدات الدينية « بالميثولوجيا » . وهذه الأساطير إذ تنطوى على جانب كبير من فلسفة الحياة التى يعتنقها أفراد جماعة ثقافية واحدة ، فإنها تتميز بصفة خاصة بالقدرة على مقاومة التغير . فإنه وإن تكن هنالك أشكال مختلفة لقصة الخليقة ، وطبيعة الحياة الأخرى ومجىء المسيح ، فكل شكل من هذه الأشكال راسخ فى محيطه الثقافى الخاص به . وإن ما ينتقل منها عبر الأجيال إنما يكتسى دائماً أبداً بألفاظ عيانية . فلا الأساطير ولا الإشاعات تنطوى على ألفاظ تجريدية ، حتى حين تتناول الموضوعات الكونية العامة . والموضوعات التى تتناولها الميثولوجيا تعد — بين الموضوعات التى يتحتم على البشر أن يواجهوها — من أكثرها اتساماً بالأهمية ، كما أن الأدلة المتصلة بها تتسم دائماً أبداً « بالغموض » .

ولما كانت المشكلات الكونية قديمة قدم الزمن ، فإننا نجد أن « الأسطورة »

---

(١) كبال ينج K. Young ١٩٣٦ ، ص ٤٣٧ .

أقدر من « الإشاعة » على مواجهة هذا المطلب . ومع ذلك فهنالك حقب زمنية أقصر تتميز بإشاعاتها العابرة التى تبدو كأنها قد اصطنعت بصورة مؤقتة لتروى غلة الإنسان للتعرف على الحقيقة ، وشرهه إلى الاعتقاد . وكل هذه الإشاعات غالباً ما تنشأ متصلة بنهاية وشيكة للعالم ، أو بمجىء المسيح ، أو بمعجزة من معجزات الشفاء فى أحد المزارات ، أو بأشياء تظهر فى السماء . وإننا لنذكر « قصة » الملاك الذى ظهر فى السماء أثناء الحرب العالمية الأولى فوق خنادق فلاندرز .

وعمليات « التسوية » و « الإبراز » و « الإساغة » التى تتمخض عن الأساطير إنما تتضح أكثر ما تتضح فى « القصص التاريخية » عن حياة الأبطال القوميين . فحكايات الأعمال العجيبة للملك أرثر ، وفردريك باربروسا ، وجان دارك ، إنما هى مزاج من الخيال والواقع الذين يستحيل عزلهما ، مزاج حظيت فيه الأسطورة بالنصيب الأوفى . ولا أحد ، اللهم إلا أن يكون مؤرخاً فذّا ، يستطيع أن يستخلص لب الحقيقة ، ولا أحد فيما يبدو « يرغب » فى ذلك . وتعتبر الصورة المستقرة للأسطورة مرشداً كافياً . « ولم لا ؟ » على حد تساؤل النفس الشاعرية . أفلا تجسد جان دارك ، مثلا ، مطامح وأمانى قطاعات كبيرة من الجنس البشرى ؟ أفليس دور الأسطورة كرمز للأمانى الروحية ، أكثر أهمية من دور الناقد فى عزل الحقيقة التاريخية مجردة من صورها التى توالت عليها عمليات « الإساغة » و « الإبراز » ؟

ولا يحتاج الأمر إلى الكثير حتى تستحيل الشخصية التاريخية شخصية أسطورية. فى الولايات المتحدة تتخذ الشخصيات البارزة صورة ميثولوجية وخاصة، هؤلاء الذين ماتوا قبل مولد الجيل الحاضر ، الذين تمجدهم الأغانى والأعمال الأدبية . فقصة جون سميث والأميرة بوكاهونتاس Pocahontas تستند إلى أسس واهية من الواقع . ففى تقريره الأصلى عن رحلته لا يكاد الكابتن سميث يذكر الأميرة . ولكنه حين كتب كتابه General Historie بعد ذلك بستة عشر عاماً ، وضعها فى وسط المرسح . وليس من الممكن أن نتبين إلى أى حد أسبغ جون سميث على قصته طابعاً دراميًّا بقدر ما كانت الأحداث الفعلية تتوارى فى ذاكرته . ولكن من المؤكد أن الكتاب اللاحقين والجمهور المتعطش للروايات قد فضلوا الصيغة

« المتبلّة » من القصة ، والتى عانت « الإبراز » أو « السن » .

وأسطورة جورج واشنطون وشجرة الكريز التى يسمعها الأطفال تستقر فى الذاكرة فى إعزاز . ويرجع السبب من ناحية إلى البساطة والوضوح فى صور القصة ، ويرجع من ناحية أخرى إلى التطابق الانفعالى من جانب المواطن الصغير مع الأب الروحى لوطنه . ولكن القصة مشكوك فى صحتها . ويبدو أن مصدر هذه الأسطورة هو أحد رجال الدين، الذى روى أنه سمعها من سيدة عجوز أتيح لها — كقريبة من الدرجة الثانية — أن تتردد على أسرة واشنطون بين الحين والحين . (نفنز Nevins ١٩٣٨ ، وبريت Britt ١٩٤١) . ما أوهاه من أساس لأسطورة قومية !

ولكن هاهنا أيضاً تصيح النفس الشاعرية شاكية : « لم هذه العقلية الضيقة الحرفية ؟ » . « لقد كان جورج واشنطون رجلا مستقيما وجديراً بالإعجاب . فالقصة فى الصميم . فلتكن هذه القصة رمزاً لتقديرنا للرجل ، وإعجابنا بفضائله . لا تكن متحذلقاً » .

الدلالة المجازية للإشاعة والأسطورة :

إن شكل التعبير فى كل من الأسطورة والإشاعة بسيط وإيضاحى : « فقدت سفينة مع ألف من الأنفس» . قال واشنطون : « إنى أبترها ببلطتى الصغيرة » . « ثور Thor يقذف بمطرقته فيكون الرعد » . مثل هذه الأقوال تقدم على أنها تقرير لوقائع (بمعنى أنها قضايا للتصديق والاعتقاد كمرجع فى الموضوع) . وعليه فإننا حين نتحدث عما تنطوى عليه الإشاعة من « لوى» ، وعن الكيفية التى تنحرف فيها عن صورتها الأصيلة ، فإنما نستخدم معياراً حرفياً . إننا نحكم على المضمون بمقارنته بالوقائع الموضوعية ، « بالمثير المعيارى » .

ولكن هل تدعى الإشاعة « بالفعل » إنها تبيينية وإعلامية ؟ إن شكل إعلاماتها ليجعلها تبدو كذلك . ومع ذلك فإن النظرة الفاحصة تكشف عن أن شكل التعبير ، فى كل من الأساطير والإشاعات ، ينطوى فى الغالب على دلالة خفية . إنه « يقول » أكثر مما يبدو للنظرة السطحية أنه يقول ، ومن الممكن أن تكون الدلالة المتخفية هى الأكثر أهمية ، والأكثر صدقاً . فلو أننى أشرت إلى أن

اليهود يملكون « وول ستريت » أو أنهم يهربون من الخدمة العسكرية ، أو أنهم يحصلون على الأعمال المريحة فى الجيش ، فإننى على الرغم من الظواهر لا أقصد إلى أن أعلمك بالوقائع بقدر ما أنبهك إلى انعدام ثقتى فى اليهود . فإنى فى قرارة نفسى أضطلع بعملية تقويم . وفى وسع موريس Morris أن يصف أقوالى بأنها « تقويمات شاعرية » . (موريس ١٩٤٦ ص ١٣٤ وما يليها) . وإننى حين أردد تقويمات الثقافة بحكايتى لأسطورة الخليقة ، أو لأسطورة بطل قومى ، أو لأسطورة عن الحياة الآخرة ، فإننى مرة أخرى لا أتحدث بطريقة تبيينية أو إعلامية ، ولكن بطريقة ميثولوجية تقويمية .

وبقدر ما تدعى الإشاعات أنها إعلامية — تبيينية فإنها دائماً ما تكون فى جانب منها على الأقل مخطئة . ولما كان ادعاء الإشاعات هذا قائماً على الدوام ، فإنها أقوال خادعة دائماً أبداً . ولكن بقدر ما نفهم الإشاعات على أنها « تقويمية » appraisive ، فإنها تعبر فى دقة عن الحالة العقلية لقائلها .

وكلما تطورت الإشاعات أكثر فأكثر إلى صورة الأقوال « المأثورة » ، أو إلى صورة الأساطير ، ازداد حظها من هذا الطابع التقويمى أو المجازى .. فالقول بأن « النعامة تدفن رأسها فى الرمال » هو خرافة كاذبة من الزاوية الإعلامية — التبيينية . فالنعامة فى الواقع لا تفعل ذلك . ولكنه صحيح مع ذلك أن الكثير من الآدميين ، ممن ينطبق عليهم هذا المثل ، يخفون أعينهم من الخطر المقترب . والقول بأن الأسكا منطقة دائمة البرودة خاطئ فى الواقع . ولكننى حين أريد التعبير عن حالة عقلية بعينها بتشبيه ملائم ، فلن تعوقنى « خطوط الحرارة المتساوية » ، وإنما أعلن دون خجل : « برودة . . . كألاسكا » .

ويستطيع المستكشف ستيفانسون Stefansson أن يقول الكثير عن المعتقدات الزائفة التى لا حصر لها ، والتى نشأت مع الوقت ، وأصبحت شيئاً مألوفاً فى الأحاديث المتداولة بالبلدان المتحضرة ، وذلك على الرغم من الأدلة المضادة الواضحة . وهو يطلق على هذه التبلورات الفولكلورية اسم « تقنين الخطأ» . — بمعنى إحالة الخطأ إلى نمط ثابت — (ستيفانسون ١٩٢٨) . ولكن قبل أن نبلغ إلى نقد مثل هذه « الأخطاء المقننة » ينبغى أن نتبين إلى أى حد ينطوى الأمر فى الواقع

على خطأ . فقليل هم الأشخاص الذين يهمهم أن يعرفوا أن الذئاب ترتحل فى أزواج ، أو فى جماعات « أسرية » صغيرة . فهم لا يهتمون فى الواقع بالحقائق العلمية عن الذئاب . وإن ما يحتاجون إليه فى أحاديثهم هو مجرد مجاز . فالتهديد المروع هو الجو الذى يرغبون فى تصويره ؛ « قطيع الذئاب » تعبير يحقق المطلوب ، كائنة ما كانت الوقائع العلمية .

وهكذا فكثير من الناس الذين يرددون الإشاعات أو يحكون الأساطير إنما يدركون — ولو بصورة جزئية — أن ما يقولونه لا ينبغى أن يؤخذ على أنه حقيقة حرفية ، حتى ولو صيغ فى ثياب الوقائع . إنهم يدركون — نصف إدراك — أنهم إنما يستخدمون وسيلة تصويرية جذابة لنقل الأفكار . والأدباء من أصحاب النزعة الفنية إنما يفعلون ذلك على وجه الدقة عندما يستعينون بالخيال ليعبروا تعبيراً عيانياً عن حقيقة عامة ؛ وأحياناً ما يكون إطلاق الإشاعة صياغة خيالية نصف شعورية . فالأقصوصة التى ننقلها ، وإن لم تكن صحيحة من الناحية الواقعية فإننا نعتبرها صادقة من الناحية المجازية . وعلى سبيل المثال ، « فأنا » لا أعرف ما إن كانت القنبلة الذرية تحدث سرطانات كامنة ، أو موتاً بطيئاً على بعد أميال حول الهدف . فإذا ما قررت ذلك فى نشرى للإشاعة ، فإنى أشير إلى شىء أعرض وأصدق من مجرد الوقائع التى أذكرها (والتى يحتمل أن أكون أنا نفسى نصف متشكك فيها) . فأنا أقول : « يا للقنبلة الذرية من شىء مخيف ! » ومن ذا الذى يشك فى أننى محق كل الحق فى عبارتى من زاوية « التقويم الشاعرى » ؟

وهكذا فالإشاعات والأساطير تنطوى على دلالة « تعبيرية » كبيرة ، ولا ينبغى أن نحكم عليها فحسب وكأنها مجرد هذه العبارات الإعلامية التى تبدو عليها ، وإنما أيضاً على أنها عبارات « تقويمية » كما هى فى العادة . فى المجتمعات الحرة نعتز بحق الفرد فى التعبير عن مشاعره ، فإذا ما رغب الشخص فى استخدام « المأثورات » الإشاعية ، فلم لا يفعل ؟

وتنشأ المشكلة الاجتماعية للإشاعة من هذه الحقيقة ، وهى أن المستمع لا يتلقاها فى العادة من زاوية المقاصد « التقويمية » للمتحدث ، وإنما بالحرى على أنها تعبير « تبيينى » عن الواقع . ومع أن المتحدث يكشف عن وحدة انفعالية

معرفية وقد أساغ ضمنها حادثة أو خبراً ، فإن المستمع ، حين لا يكون حذراً ، يأخذ العبارة على أنها نقل لواقعة يمكن التحقق من صحتها . والمستمع بذلك يخلط ما بين الدلالة التعبيرية والدلالة الموضوعية . ويتطلب الأمر قدراً كبيراً من الاستبصار حتى ينصت الشخص إلى عبارات الإشاعة فى اهتمام وحذر ممتزجين بالمقادير اللازمة .

تصنيف الإشاعات :

حيث أن علاقاتنا الاجتماعية مفعمة بالإشاعات والأساطير ، فإنه يحق لنا أن نتساءل عما إن كان هناك أى مبدأ للتصنيف نستطيع بمقتضاه أن نرتبها . أم ترى أن « القضايا ذات الموضوعات المحلية الهامة والمتاحة للاعتقاد » تعلو على الحصر بحيث تصبح مهمة التصنيف مستحيلة تماماً ؟

إن الإجابة على هذا السؤال ، كما هو الشأن بالنسبة إلى الأسئلة المماثلة المتعلقة بترتيب الظواهر الاجتماعية والنفسية ، إنما هى مسألة تتوقف على اهتمامات القائم بالتحليل . وحين ينصب الاهتمام على أعراض خاصة ومحدودة ، يكون جد ميسور أن نصنف فى فئات الإشاعات السائدة فى فترة بعينها ، وذلك على افتراض أننا قد حصلنا على مجموعة كافية منها . وعلى أية حال فلا يمكننا أن ننعت بالصدق المطلق طريقة بعينها فحسب من بين طرائق الفرز . فمن الممكن أن ينصب اهتمام أحد البحاث على : (ا) سرعة انتشار الإشاعة ، أو زمن دورتها ، أو أى جانب آخر من جوانبها الزمنية ؛ وقد ينصب اهتمام آخر على (ب) الموضوع الذى تدور حوله الأقصوصة ؛ وقد ينصب اهتمام ثالث على (ج) الحالات العقلية والدوافع المحتملة التى تكمن وراء تيارها الدافق ؛ ورابع على (د) الآثار الاجتماعية المترتبة على الإشاعة ، وبيلة هى أم مفيدة أم حيادية . ومن الممكن لبحاث آخرين أن يستندوا إلى فئات أخرى ، فى محاولة للتمييز ما بين (هـ) الإشاعات المحلية والإشاعات الواسعة الانتشار ، (و) الإشاعات الجديدة والإشاعات القديمة ، (ز) الإشاعات المحتملة الصدق وغير المحتملة الصدق ، (ح) الأقاصيص الطويلة الأمد والأقاصيص القصيرة الأمد . وهكذا يمكن تقطيع الإشاعات إلى

شرائح بطرائق جد مختلفة .وسوف نوضح هنا المبادئ الثلاثة الأولى من بين مبادئ التصنيف الآنفة الذكر :

(ا) أما المعيار « الزمنى » فقد استخدمه عالم روسى من علماء الاجتماع ، هو بايسو Bysow (١٩٢٨) . فهنالك أولا بحسب رأيه الإشاعة « الحابية» ، تنمو ببطء ويتسع انتشارها فى جو من السرية ، حتى يكاد أن يسمع بها كل فرد . وإشاعات « كاساندرا Cassandra » ، المنبئة بالشر ، تعد نمطية فى هذا النوع . وكذلك أيضاً الإشاعات التى تدور حول الأعمال المشئومة للمولين الدوليين ، وصناع الذخيرة ، و الشخصيات الرسمية ، وزعماء العمال. والإشاعات العدائية هى عادة من هذا الصنف ، فحاملوها يأتلفون سلسلة لا تنتهى حلقاتها مما يتيح انتشارها بصورة متزايدة .

وهناك إشاعات ذات طبيعة « اندفاعية » . فهى تنتشر انتشار اللهب لأنها تتعلق بوعيد أو بوعد مباشر . إنها تجتاح المجتمع فى وقت مذهل فى القصر ، وتنطوى على إشاعات العنف ، أو إشاعات الحوادث ، أو الكوارث أو النصر الحاسم فى وقت الحرب . والإشاعات من هذا الصنف إذ تنطلق فى جو مكهرب للغاية فإنها تميل إلى إثارة استجابات سريعة وعنيفة ، وذلك لاستنادها إلى انفعالات قوية من الهلع أو الغضب أو الفرحة المفاجئة .

وأخيراً نجد فى قائمة بايسو الشاعرية « الإشاعات الغاطسة » . إنها إشاعات تنتشر برهة ، ثم « تغطس » إن جاز القول — ربما تعود فتطفو من جديد فى وقت لاحق ، حين تسمح الظروف . وعلى الرغم مما هناك من اختلافات سيكولوجية بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، فإننا لا نجد بينهما من فارق من زاوية الإشاعات . فأقاصيص ما بين عام ١٩١٤ و ١٩١٨ قد بدت وكأنها قد ظلت غائصة حتى أتاحت لها انفعالات القلق فيما بين عامى ١٩٣٩ و ١٩٤٥ أن تنجذب إلى السطح من جديد . ومن قبيل ذلك إشاعة « طابع البريد واللسان المقطوع » . ومؤداها أن أسير حرب أمريكيا (فى معسكر ألمانى فى الحرب العالمية الأولى ، وفى معسكر يابانى فى الحرب العالمية الثانية) بعث بخطاب إلى أسرته ، لا ينطوى على أية أخبار تستلفت الانتباه اللهم إلا ما يطلبه إليهم من احتفاظ بطابع البريد الملصق على الخطاب . وحيث إن هذا الجندى لم يكن يوماً من هواة جمع الطوابع فقد

لاندهشت الأسرة لطلبه وحاولت أن تجتلى الأمر . ولم تكد الأسرة تنزع طابع البريد حتى قرأت على الظرف فى موضع الطابع ما يعلنهم بأن حراس المعسكر قد قطعوا لسانه . ولقد انتشرت هذه الأقصوصة البعيدة الاحتمال خلال الحربين ، وذلك على الرغم من تناقضها تناقضاً تاماً مع حقيقتين : فخطابات أسرى الحرب ليس عليها طوابع بريد ، وقطع اللسان يكاد يؤدى بصورة أكيدة إلى النزيف حتى الموت ، مالم تتوفر عناية من إخصائى فى الجراحة .

والإشاعة التى مؤداها أن قوات العدو قد سممت مياه الآبار تعاود الظهور فيما يبدو فى كل حرب من الحروب ؛ وكذلك الحال بالنسبة إلى الإشاعات المتعلقة بفظائع العدو (قطع أيدى الأطفال ، وأثدية النساء) . وحملات الافتراءات الهامسة ضد رؤساء الولايات المتحدة المتعاقبين تتشابه بصورة رتيبة . (انظر « حملات الهمس » فى هذا الفصل) .

وهذه « الإشاعات الغاطسة » يمكن تفسيرها بطريقتين : فمن المحتمل أنها ترقد فى حالة سبات فى عقول بعض الأفراد ، حتى يستخرجوها بعد سنوات ، وربما يتم ذلك دون تنبه منهم ، عندما يجدون أنفسهم فى موقف بيئى مشابه لهذا الذى سمعوا فيه الإشاعة أول مرة . ومن المحتمل أن لا يكون هنالك أى اتصال حقيقى بين الإشاعتين . فمن الممكن جداً أن تتمخض الحاجات البشرية فى الظروف المتشابهة عن توليد أقاصيص متماثلة . وعلى سبيل المثال فإنه من المعقول أن يبدو تسميم الآبار تهديداً محتمل الوقوع من جانب عملاء العدو ، وفى أى وقت من أوقات الحروب . والناس القلقون الذين يعتمدون اعتماداً كلياً على مصدر واحد محدود للمياه ، ينساقون بسهولة إلى « إبراز » و « تضخيم » مخاوفهم دون أن يتنبهوا إلى أنهم فى ذلك إنما يعيدون تمثيل صفحة مألوفة فى تاريخ الإشاعة .

(ب) وتحليل الإشاعات من زاوية الموضوع الذى تدور حوله إنما يعد مبدأ آخر للتصنيف . وفى هذه الحالة تنحصر مهمة الباحث فى إحصاء عدد الإشاعات التى تتناول موضوعاً موضوعاً من الموضوعات . فى الأحوال العادية يمكن أن نبحث على سبيل المثال عن نسبة الأقاصيص التى تتناول المسائل السياسية ، والأمراض ، والنواحى الجنسية ، والساسية الخارجية ، وجماعات الأقليات . وفى الحق أن مدى

اختلاف الموضوعات هو من السعة بحيث تتعرض مثل هذه الطريقة للكثير من الصعاب ، وخاصة بالنظر إلى ما هنالك من تباين واضح تبعاً لاختلاف الأقاليم ، والجماعات المهنية ، والمستويات الثقافية .

وعلى أية حال فإن هذه الطريقة تعد ذات نفع أكبر فى وقت الحرب ، وذلك لأن جميع الإشاعات تقريباً تصبح إلى حدما منصبة على الحرب ، وواسعة الانتشار . ولقد وجد عالم النفس الكندى أرفنج Irving (١٩٤٣) أن إشاعات وقت الحرب فى كندا كانت تدور حول ستة موضوعات رئيسية : (١) الرعب والبشاعة والموت ، (٢) التبذير والإسراف ، (٣) الغزو والغارات ومهددات الأمن ، (٤) المشاعر المناهضة لبريطانيا ، (٥) نوايا الحكومة فيما يتصل بالتموين ، وتمويل الحرب ، والتجنيد ، (٦) عدم الكفاءة فى إدارة دفة الحرب . ومهما تكن قيمة هذا التصنيف من حيث الهدف المباشر الخاص بتدعيم المعنوية ، وعلاقات الحكومة بالشعب ، فإن هذه الطريقة ، فى خير حالاتها ، تكشف عما يتحدث عنه الناس . فهى لا تبلغ إلى الدوافع التى تحرك ناشرى الإشاعات ، ولا تعين فى الكشف عن القوانين العامة للإشاعة .

(ج) سبق أن ذكرنا فى الفصل الأول مبدأ للتصنيف أكثر تميزاً بطابعه السيكولوجى ، وهو المبدأ الذى يستند إلى « نمط التوتر الدوافعى الغالب » الذى تنطوى عليه الإشاعة . ويذكر القارئ هذا التحليل لألف إشاعة فى وقت الحرب ، مما كان شائعاً عام ١٩٤٢ ، والذى كشف عن أنها تعبر جميعها تقريباً عن العدائية أو عن الخوف أو عن الرغبة . وعلى وجه الدقة فإن قليلا منها لم يكن فيما يبدو غير تعبير عن توتر عقلى غالب ،عن نوع من الرغبة فى الاستطلاع . ولو ألقى القارئ بنظرة على جدول (١) فصل (١) ، فإنه يتبين أن هذه الدوافع الرئيسية قد استخدمت كفئات أساسية فى التحليل ، كما يتبين أن الجدول يتضمن أيضاً تحليلا للمضمون يوضح « الموضوعات » التى تتجه إليها الكراهية ، وتلك التى يتجه إليها الخوف ، وتلك التى تتجه إليها الرغبة . وهكذا يجتمع هذان المبدآن فى نفس التصنيف .

وتصنيف الإشاعات بالرجوع إلى الدوافع الأساسية هو فيما يبدو أيسر بكثير

وقت الحرب منه وقت السلم . ولكن حتى بالنسبة إلى وقت الحرب فإن القسمة الثلاثية « كراهية — خوف — رغبة » تعد تبسيطاً مسرفاً . فى الواقع يمكن « لإشاعة خوف » (تتعلق مثلا بفظائع العدو) أن تنطوى على عناصر من الاهتمامات الجنسية ، أو حب المغامرة ، أو على عناصر سائدة من مشاعر التفوق الخلقى . وشبكة الدوافع التى ترد إليها الإشاعة إنما هى مسألة شخصية ، وإذا أردنا أن نتبين العلة فى أن شخصاً بعينه ينجذب إلى إشاعة بعينها فإن ذلك يتطلب دراسة كلينيكية لذلك الشخص . وبالنظر إلى شدة تباين « الخلطات الدوافعية » ، أو امتزاجات الدوافع التى يمكن أن تغذى إشاعة بعينها ، فإن أى تصنيف سيكولوجى مقضى عليه بأن يكون مسرف التبسيط ، وتقريبيًّا .

انصهار بعض الانفعالات الوجدانية ومشاعر النفور :

وهكذا نخلص إلى أننا لا ينبغى أن نتوقع أن ثمة إشاعة من الإشاعات لا ترتبط فحسب إلا بانفعال واحد ، أو لا ترتبط فحسب إلا باتجاه معرفى واحد . فالإساغة لا تتم بالاستناد إلى عنصر واحد . وحتى حين تكون الأقصوصة منتظمة البنية بصورة جيدة وواضحة البساطة ، فإنها يمكن أن تكون بمثابة تفسير أو تبرير أو وسيلة تخفف بالنسبة إلى خليط من المشاعر .

ونجد فى الإشاعات العدائية المألوفة ما يوضح ذلك . فمن الممكن أن تنصب هذه الإشاعات على وغد واحد لا غير . (ولكنها ، حتى حين تكون على هذا النحو ، فإن الحالة العقلية الكامنة هى فى الغالب بعيدة عن البساطة) . فهى غالباً ما تهاجم ، بصورة مباشرة أو ضمنية ، أكثر من وغد واحد . ولقد انتشرت قطعة زجلية منفرة ، هى بمثابة إشاعة افتراء موزونة ، وذلك خلال الحملة الانتخابية عام ١٩٤٤ ، وكانت كما يلى : قيل أن روزفلت قد قال مخاطباً زوجته :

حضنى لى فى السود
واحضن لك فى اليهود
نقعد فى البيت الأبيض
ويطول القعود .

هنا تنصهر ثلاثة مشاعر من النفور ، وتتبدى العدائية ثلاثية الأفرع . وتكشف مجموعة من الإشاعات المناهضة لليهود عن أن أكثر الأنماط انتشاراً يطابق ما بين اليهود والشيوعيين — كراهية ذات شعبتين . والأشخاص الذين يحتقرون إلى جانب اليهود « وول ستريت » لا يجدون صعوبة فى صهر أحكامهم القبلية تحت لافتة « رجال البنوك العالميين » . وهذه البطاقة الخاصة يمكن أن تنسحب فى بعض الحالات على مخاوف مرضية أخرى ، بإزاء الأجانب أو العلاقات الدولية فى أية صورة من صورها . ولعل الرقم القياسى فى صهر مشاعر النفور قد تحقق على يدى هتلر فى تشهيره « بالديمقراطيات الجهنمية اليهودية الشيوعية العالمية » .

وفى ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى انتشرت أقاصيص الفظائع التى تصور غدر البلجيكيين وتجردهم من الإنسانية فى معاملتهم للجيش الألمانى . (ولقد كان الكثير من هذه الأقاصيص مطابقاً للأقاصيص التى شاعت فى دول الحلفاء مع تغير فى جنسية الأوغاد) . كانت تلك الأقاصيص فى العادة تتهم الكهنة الكاثوليك بأنهم « مهيجون للغوغاء » ، و « محرضون على الفظائع » . وهكذا انصهرت الكراهية التقليدية التى يستشعرها الكثيرون من البروتستانت الألمان ضد الكاثوليكية المسرفة فى التعالى ، مع مشاعر الحقد ضد البلجيكيين الذين يقاومون الألمان . (فان لانجنهوف Van Langenhove ١٩١٦) . وفى الحرب العالمية الثانية كثيراً ما ربطت الإشاعات الألمانية ما بين الكهنة الكاثوليك والديمقراطيين الاشتراكيين المناهضين للفاشية والشيوعيين ، فى حين كانت الإشاعات الروسية أحياناً ما تتهم الكهنة الكاثوليك بالتآمر مع النازيين .

وإننا لنجد انصهاراً ليس فحسب ما بين مشاعر الكراهية وحدها وإنما أيضاً مع مشاعر الخوف والإثم والارتباك الاقتصادى ، وذلك فى الأقاصيص العجيبة « لأندية إليانور » ، تلك التى انتشرت فى أعداد كبيرة فى الولايات الجنوبية ١٩٤٣ . كان موضوع هذه الأقاصيص ينحصر فى أن أعداداً كبيرة من الزنجيات ، وخاصة من الخادمات ، قد اتحدن تحت الزعامة الروحية لإليانور روزفلت ، وذلك بغرض الثورة على النظام الاجتماعى القائم . والانصهار الذى يبرز هنا فى المحل الأول هو الانصهار ما بين العداء ضد قانون « التعامل الجديد » New Deal وما ينطوى

عليه من تحررية ، والعدائية التقليدية ضد الزنوج . ولكن شبكة الدوافع توغل إلى ما هو أعمق من ذلك .

كانت هنالك صور جد مختلفة للإشاعات المتعلقة « بأندية إليانور » التى كانت تسمى أحياناً « بنات إليانور » ، أو « أندية ملائكة إليانور » ، أو « أخوات إليانور » ، أو « بيت إليانور الملكى » (أودام ١٩٤٣) . وهذه العناوين المزخرفة تمثل ولا شك ضرباً من الإساءة للأنماط الجامدة المتعلقة بالنزعة الدينية عند الزنوج وولعهم بالأسماء الفخمة للمنظمات . ولقد ذاع القول بأن شعار هذه الجماعات هو : « فى خلال عام واحد كل امرأة بيضاء تضطلع بمطبخها » . وتدور إحدى قصص اليانور النمطية على النحو التالى : « تغيبت سيدة بيضاء عن بيتها بعض الوقت ، فلما عادت وجدت خادمتها الزنجية تجلس على « تسريحتها » تمشط شعرها بمشط السيدة » . وتصور قصة أخرى الخادمة الزنجية على أنها اغتسلت فى حمام السيدة ، أو أنها احتفت بأصدقائها فى حجرة الاستقبال . وكانت إحدى الإشاعات تروى أن سيدة بيضاء طلبت إلى طاهيتها الزنجية أن تحضر لإعداد العشاء لضيوفها . وعندها ردت عليها الزنجية بأن طلبت إليها أن تحضر إلى دارها فى الثامنة من صباح الأحد لتعد الإفطار لضيوف الخادمة الزنجية . ويحكى أن زنجية قد عرضت على سيدة بيضاء ما يلزمها من أجر نظير قيامها بغسل ملابسها (الزنجية) . وكانت الإشاعات تنطوى ، من حين إلى حين ، على إشارات إلى أعمال العنف الوشيكة ، مدعية أن الأندية كانت تكدس أزاميل الثلج ، وسكاكين الجزارة استعداداً للثورة .

وجميع هذه الأشكال من الإشاعة ، فضلا عن أنها تصور المشاعر المناهضة لروزفلت والمناهضة للزنوج ، فإنها تكشف عن خوف واضح من « انعكاس الأوضاع الاجتماعية » . فالإشاعات لا تقف عند تصوير الزنوج على أنهم يبذرون الضغينة « تحت السطح » ، وإنما تصورهم أيضاً على أنهم على حافة الثورة . إنهم يهددون بانقلاب يعكس السلم الاجتماعى . ولكن لمَ ؟ ذلك أن البيض من ناشرى هذه الإشاعات يجدون فيها ما يفسر ويترجم — إلى حد بعيد — مشاعر انعدام الأمن فى المجالين الاقتصادى والاجتماعى . وهم إذ يعانون قلقاً غامضاً غير

محدد ، فإنهم يبررون اضطرابهم العصبى بإبراز عدائية الزنوج ، ويحصلون على عزاء مكتئب عبر تحذيرهم بعضهم بعضاً من هذا الخطر المهدد .

ولكن ينبغى علينا أن نوغل إلى أبعد من ذلك . إن إشاعة حول «انعكاس الأوضاع الاجتماعية» إنما تشير بطريقة ملتوية إلى أنه من الممكن أن تقوم صورة للعلاقة ما بين الأجناس غير الصورة القائمة . وينبغى بحسب العقيدة الأمريكية أن لا تكون الأوضاع الحالية ، الظالمة فى صميمها ، حالة دائمة . فكل أمريكى ، كما أوضح ذلك ميردال Myrdal (١٩٤٤) ، يعتقد ويأمل فيما هو أرفع من المستوى الحالى للعلاقات بين الأجناس . إنه يتفق فى أعماقه مع باتريك هنرى ، مالك العبيد ، الذى كتب منذ عام ١٧٧٢ : «إنى مصمم فأنا لا أستطيع أن أبرر ذلك». وفى نفس الوقت فإن غالبية البيض لا يسمحون لأنفسهم إلا بنظرة من طرف العين لمأزقهم الأخلاقى . فلقد مر قرن ونصف قرن منذ وفاة باتريك هنرى وما يزال الصراع قائماً ، ذلك أن «حركة تحرير العبيد» لم تحرر العبيد إلا بالكلام . فلو أن البيض جابهوا المشكلة مجابهة صريحة لتمزقوا شطرين بفعل ولاءاتهم المتصارعة ، ولائهم للعقيدة الأمريكية ، وولائهم للعقيدة المريحة فى تفوق البيض .

وبدلا من مجابهة هذا الصراع الحاد العسير الحل ما بين ولاءين حميمين ، يلجأ غالبية البيض إلى اللف والدوران والتبرير . وإشاعات الإفلات من الإثم (انظر الإسقاط فصل ٢) يتلقفها الناس بشغف للخلاص من المأزق . فإذا كان الزنوج ، كما تصورهم أقاصيص أندية إليانور ، من العدائية الصريحة إلى هذا الحد ، ومن التآمر غير المشروع ، ويمثلون تهديداً غوغائيًّا للأمن ، إذن فليس لهم «حق» فى المطالبة بالمساواة فى الأوضاع الاجتماعية . ليس لهم أن يتوقعوا منا أكثر مما نوليه للخارجين على القانون ، وقطاع الطرق ، والمحتالين . ينبغى أن يظلوا حيث هم . وإذا كانت هناك مظاهر حقيقية للظلم ، فإن فى صبرنا عليهم وتسامحنا معهم ما يزيد على ما يلزم لمعادلة ذلك. وخلاصة القول أن الزنجى والدعاق (مما يتضح من أقاصيص إليانور) ، وينبغى أن يعامل على هذا الأساس— فى رفق ولكن بحزم . وبفضل هذه المناورة العقلية الملتفة يستطيع المتعصب أن يفلت من مشاعر الإثم .

والإفلات من الإثم من الأمور التى يمكن الكشف عنها أيضاً فى عدد هائل

من الإشاعات التي تفصل ما يرتكبه الزنوج من أحداث تدل على ميولهم الإجرامية وخيانتهم . وتروى أقصوصة من أقاصيص الحرب أن الزنوج لم يكونوا يستدعون إلى الخدمة العسكرية بنفس التلهف الذى يستدعى به البيض ، وذلك لأن السلطات المسئولة كانت تتردد فى وضع الأسلحة فى أيديهم (أودام ١٩٤٣ ص ١١١) . وحتى الحكايات الفكاهية الملفقة التي تدور حول غباء الزنوج وسذاجتهم وخمولهم تنطوى على نفس الدلالة الوظيفية ، وكذلك الحال بالنسبة إلى آلاف الحكايات التي تروى اعتداءات الزنوج الجنسية . فكلها تحاول أن تخفف من مشاعر الإثم عند الرجل الأبيض — فما الذى يمكن أن نفعله بإزاء الزنجى وهو الخائن ، المجرم ، الجلف، الغبى ، الخطير ، النذل ، اللهم إلا أن نبقيه حيث هو ، تماماً كما نفعل معه الآن ؟ فالمساواة من حيث هى مثل أعلى شىء معقول من الناحية النظرية ، ولكن هذا لا يعنى تطبيقها على المجرمين والأوغاد ، وعلى الزنوج .

وتعد الإشاعات الجنسية أعظم نصير للأحكام القبلية المناهضة للزنوج . فلطالما يصور الزنوج على أنهم يتآمرون ليتخطوا حاجز اللون ويرتكبوا خطيئة التهجين (نكاح الأجناس المتباينة) . وتنصب الحكايات دائماً أبداً على الاتصالات الجنسية ما بين الرجال الزنوج والنساء البيض لا على الاتصالات الأكثر شيوعاً بين الرجال البيض والزنجيات . فهنالك حكايات عن الاغتصاب الجنسى ، ومحاولات الاغتصاب وما هو أقل جاذبية من ذلك ، مما يصور الزنوج يتهجمون على النساء البيض ، ويتعقبونهن فى الطرقات ، ويحاولون تكتيفهن ونحو ذلك .

كانت إحدى أقاصيص الحرب تروى أن الزنوج الذين لم يتم استدعاؤهم للخدمة (موضوع عدم الولاء) كانوا يقولون للبيض المرتحلين إلى الجبهة : «لا عليكم فسنعنى نحن الزنوج براحة زوجاتكم فى المؤخرة» (موضوع الجنس) . والإشاعات الجنسية عن الزنوج وإن كانت تشيع فى العادة فى الجنوب فإنها ليست بالقليلة فى الشمال . ففى إحدى مدن نيوانجلند ، وهى من المدن المعروفة بالعلاقات الهادئة بين البيض والسود ، انتشرت قصة محلية توضح العلة فى إغلاق دورة المياه فى أحد المطاعم . والسبب الذى تذكره القصة (وهو وهمى تماماً) ينحصر فى أن زنجيين قد أدخلا امرأة بيضاء فى هذه الدورة واغتصباها . وتيار الدوافع هنا جد عميق .

فجميع المسائل المتصلة بالجنس ، فى التقليد الأمريكى البيوريتانى ، تنطوى على شحنة انفعالية عالية ، ومن هنا فإنها تنسكب بسهولة فى المناطق الأخرى ذات الانفعالية العالية . فالجنس ، من حيث هو موضوع للاهتمام الخاص ، إنما هو هدف دائم للإشاعة . فشأنه شأن «التمييز الاجتماعى» يعد مصدراً لمشاعر الإثم الثقيلة . ولأن يؤنب الإنسان نفسه على خطاياه الجنسية (كما هو الشأن بالنسبة لخطاياه ضد العقيدة الأمريكية فى المساواة) فذلك ما لا يمكن بحال أن يكون مقبولا . وإنه لأفضل بكثير أن ينزل الشخص باللائمة — من أجل زلاته الواقعية أو الوهمية — على الآخرين . والشبه ما بين الإشاعة الجنسية وبين إشاعة جماعة الأقلية جد عظيم ، وذلك من حيث أنهما تنطويان معاً على الإسقاط الذين يحقق الإفلات من مشاعر الإثم . وهذا الشبه يسهل عملية الانصهار . لم لا نفلت من الإثم بتكديس الخطايا الجنسية على رؤوس نفس الأشخاص الذين يهددون أوضاعنا الاجتماعية ؟ .

فالكثيرون من الناس ، فى أعماقهم السحيقة ، لا يستشعرون الأمن من حيث أوضاعهم الاجتماعية ، ولا من حيث مستقبلهم الاقتصادى ، لا ولا من حيث مسايرة سلوكهم الجنسى للقيم الخلقية . فجميع هذه المسائل مركزية وحميمة بالنسبة إلى حياتهم . ومثل هذه الاهتمامات الشديدة والمحورية لا يمكن أن تظل منعزلة بعضها عن بعض . فما يهدد الواحدة إنما يهدد الأخرى. ومن هنا فكبش الفداء الذى هو الزنجى يبدو ليس فحسب متعجرفاً من الناحية الاجتماعية ، وإنما أيضاً كمضيّق على أرزاقنا من الناحية المهنية ، وأكثر اقتداراً وأقل تردداً منا من الناحية الجنسية . ففى هذا الزنجى ندرك جميع المسالك الشهوانية الداعرة والانتهازية والوصولية ، مما يمكن أن نتردى فيه لو خلى بيننا وبين أنفسنا . إنه هو مرتكب الخطيئة . وحتى ولو كنا بغير منجاة من المآخذ فإن سيئاته (كما تصورها الإشاعة) مع ذلك أكثر تبجحاً وإمعاناً من سيئاتنا . فليس علينا أن نستشعر الإثم من أجل هفواتنا الصغيرة .

وبينما تمضى هذه العمليات التبريرية فى طريقها فإننا نستطيع أن نستشعر — عبر انحرافة جنسية — جاذبية الصفات الحيوانية القائمة للزنجى . وإذا كان

الأمر كذلك فينبغى أن نكبت بشدة هذه الجاذبية الشيطانية ، وأن نقاتل، من خلال « التكوينات الضدية» (أى بانقلابنا ضد « الجاذبية » واستهجانها) نقاتل الشيطان بصورة أعنف . (ماكلين McLean ١٩٤٦) . وإننا لنفعل ذلك بتمسكنا بأعظم التحريمات قداسة ، ونعنى التحريم القاطع للاختلاط الأجناسى . إن مجرد الفكرة تروعنا (أليس كذلك ؟) . فلو تداعى هذا التحريم ، لانفسح الطريق أمام انهيار صرح مثلنا الاقتصادية والخلقية جميعاً . ولو تم ذلك لكان منى اعترافاً بانحدارى أمام هذا الغريب الشرير الزنجى ، الذى أنظر إليه فى أعماق اللاشعورية على أنه يمثل جانباً من الصورة الكريهة لذاتى .

ومهما يكن من تعقد تحليل الإشاعات المناهضة للزنوج ، فإنه لا ينطوى على أية مبالغة فى تصوير التشابك ما بين العناصر الانفعالية والمعرفية المنصهرة معاً ، والتى تفسر العلة فى جاذبية هذه الإشاعات . ويبدو أن القاعدة العامة عند الناس تنحصر فى « تشخيص » أى تجسيد قوى الشر ، وتركيزها فى جماعة أقلية ، واضحة الاختلاف ، وقريبة منا . وأكثر الشياطين رواجاً اليوم ، وإن لم يكونوا الوحيدين بحال ، هم الشيوعيون واليهود والزنوج . وحيث أن اللوم المنصب عليهم يزيد ولا شك على نصيبهم الحق ، فإننا نسميهم من الناحية الفنية « كباش فداء » . (انظر « جامعة هارفارد » ١٩٤٣) .

جماهير الإشاعة :

لكل إشاعة جمهورها . فالإشاعات المالية تنتشر بصورة أساسية بين هؤلاء الذين يمكن لثرواتهم أن تتأثر بارتفاع وانخفاض الأسعار فى الأسواق ؛ والإشاعات المتصلة بتعديلات فى قانون التجنيد ، أو فى ضرائب الدخل أو المتعلقة بخطط التطوير العمرانى ، إنما تنتشر بصور خاصة بين الناس الذين يحتمل أن يتأثروا بها . وتلاميذ المدارس ، وكلهم تطلع إلى العطلات ، يتلقفون فى لهفة أى خبر يتصل بمؤتمر وشيك للمدرسين ، أو يتصل بتصليحات ضرورية فى مبنى المدرسة . والجماعات المهنية والاجتماعية المختلفة تنطوى كلها على مناطق حساسة خاصة . والأطباء ، ورجال الدين ، ورجال الطيران ، وساسة الأحزاب ، لا يتوانون

دفع عجلة الأقاصيص التى تدور حول المصالح الخاصة بجماعتهم . كذلك الحال بالنسبة إلى أندية الشراب ، وجماعات البردج ، وحلقات الصداقة . فثمة جمهور إشاعة حيثما تتوفر مصلحة مشتركة .

ومهما يكن من أمر ، فهنالك اختلافات فردية ملفتة للنظر فيما يتعلق بالحساسية للإشاعة . فليس كل أمريكى يصدق الافتراءات المضادة للزنوج ، حتى فى المناطق التى يبلغ فيها التعصب أقصى شدته . وفى كل قرية من السكان من يقاومون الإشاعات المحلية . فعندما تتوفر المصلحة المشتركة ، بل وحتى حين تتوفر درجة عالية من «الغموض» و «الأهمية» ، فإن الأشخاص لا يستحيلون حلقات ضمن سلسلة الإشاعة إلا إذا كانوا «منفتحين للإيحاء» .

وانفتاح الشخص للإيحاء معناه أن يصدق دعوى دون توفر لأى دليل مما يمكن للمنطق أن يتطلبه . وبعض الناس قد اعتادوا على التمحيص النقدى لكل ما يسمعون. إنهم بفضل تدريبهم على تحليل المعانى ، أو ممارستهم لعلم النفس الاجتماعى ، أو لغير ذلك من الأسباب التى تطبع التفكير بالصبغة النقدية ، ينتظرون الدليل الذى يمكن التعويل عليه .

والأشخاص المنفتحون للإيحاء هم من ناحية أخرى أشخاص تتميز عقلياتهم إما بفقر البنية ، وإما بما تغص به من أنماط وتراكيب أو عقد جد جامدة . والجماعة الأولى ، أصحاب العقليات الفقيرة البنية ، تضم كثرة من أنصاف المتعلمين . فالأحداث فى المجالين الفيزيائى والاجتماعى هى بالنسبة إليهم ألغاز ، والعلم بالنسبة إليهم أرض مجهولة . ولقد تبين كانتريل Cantril أن عدداً كبيراً من بين الذين ارتجفوا أمام الغزو الوهمى للأرض من جانب سكان المريخ ، مما جاء فى التمثيلية الخيالية المذاعة لأورسن ويلز ، إنما كانوا أشخاصاً بلبلهم الاضطراب السائد فى أوروبا ، أو الهبوط الاقتصادى ، أو التقدم المروع للعلم ، بحيث اعتقدوا «أن كل شىء جائز الحدوث» . (كانتريل وآخرون ١٩٤٠) . لقد كانت معلوماتهم من الفقر بحيث لم يفكروا فى تبين صحة الإذاعة بالرجوع إلى البرامج فى صحف الصباح ، أو بتغيير المحطة ، أو بالتحقق من صحة الأمر بأية طريقة بسيطة أخرى . لقد أفسحوا الطريق أمام الهلع وذلك لخلو عملياتهم العقلية من «المراسى» النقدية .



هذا الرسم التخطيطى من عمل توماس رولاندسون Th. Rowlandson (١٧٥٦ – ١٨٢٧) يظهر فى كتابه « علم التشريح المقارن : أوجه الشبه ما بين تقاطيع الرجال والحيوانات » . ولم يطلق الفنان اسماً على هذا الرسم التخطيطى ، وللقارئ مطلق الحرية فى أن يسيغه بما يتلاءم وميوله . أهو سلسلة إشاعة تطرد فى إيقاع متزايد السرعة ؟ أهو تصوير لتقولات خبيثة يضيق خناقها حول ضحية بريئة صغيرة ؟

لم تكن عقلياتهم « راسية » عند شاطئ ، ومن ثم أصبحوا نهباً لعواصف الأنباء المتقلبة .

ومن الممكن ، وهذا هو الغالب ، أن الأشخاص الذين ينفتحون للإيحاء بإزاء الإشاعة إنما يكونون أشخاصاً تتسم عقليتهم ، من بعض جوانبها ، « بمراسيها » البالغة الجمود . ففى « خاناتهم » الجامدة للتفسيرات والأحكام القبلية يتم فى التو امتصاص الإشاعات « المتجانسة » بالنسبة إلى كل « خانة » . فبعض الأشخاص الذين تقبلوا قصة غزو سكان المريخ للأرض كانوا من الأتقياء الذين يتوقعون نهاية العالم . وكان البعض الآخر يعيش فى حالة من انعدام الأمن نتيجة الهبوط الاقتصادى متوقعين بين حين وآخر وقوع الكارثة ، دون أن يتبينوا نوعها . وتدل الأبحاث أيضاً على أن الافتراءات السياسية يتم تقبلها بشغف كبير من جانب الذين لا يثقون فى الحكومة القائمة . (أولبورت ولبكين ١٩٤٥) . والأقاصيص الدائرة حول الحياة داخل روسيا — موضوع رائع حيث الغموض والأهمية والأحكام القبلية — إنما تلقى التصديق أو الرفض تبعاً لاتجاهات المستمع السياسية والاجتماعية . وإشاعات الكراهية لا تسرى إلا بين الأشخاص المتهيئين من قبل لكراهية « الضحية » . فالإشاعة ، كالدعاية التى ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً ، إنما تنشط وتدعم اتجاهات قائمة من قبل أكثر مما تخلق اتجاهات جديدة . (راجع « لازار سفيلد Lazarsfeld وآخرون » ١٩٤٥) .

وثمة شرط إضافى ، هو أكثر الشروط وضوحاً ، يتحتم تحققه كيما تسرى الإشاعة . فالأشخاص أصحاب الحساسية للإشاعة ينبغى أن يكونوا على صلة بعضهم بالبعض . ومثل هذه الجماعات الملتحمة الأفراد ، من قبيل طاقم البحارة على السفينة ، وأفراد الوحدة المقاتلة ، والمستخدمون فى مؤسسة واحدة ، وأعضاء « نادى الجمعة » للبردج ، وسكان المدينة الصغيرة ، كلها تتسم بالتجانس المطارب والاتصالات الوفيرة . فى هذه الجماعات تندفع الإشاعات مسرعة . ولكن حتى فى الجماعات المتجانسة توجد قنوات انتقائية . فى معسكر من معسكرات الجيش ، مثلا ، مرقت كالبرق الإشاعة التى مؤداها أن جميع الرجال فوق الخامسة والثلاثين سيسرحون ، ولكنها اقتصرت فى مروقها على الرجال الذين تخطوا هذه السن . وفى إدارة من إدارات الأعمال ، وفى المدرسة الداخلية ، وفى حى من الأحياء ،

تسرى الإشاعات بصورة أساسية فى « قنوات الصداقة » .

وسلاسل الإشاعات التى تنتج من الصلات الاجتماعية الحميمة ما بين مرددى الإشاعة ومستمعيها ، قد تنبه إليها مورينو Moreno (١٩٣٤). وتنحصر طريقة هذا الباحث فى رسم الخريطة الاجتماعية لجماعة ما ، مما يبرز « المسارب السيكولوجية» التى تسرى فيها الإشاعة . وهذه الطريقة ، التى تعرف باسم « القياس الاجتماعى » Sociometry تتلخص فى أن يطلب الباحث إلى الأشخاص أن يكتبوا أسماء من يفضلون من الأصدقاء (وربما يكون ذلك عن طريق سؤال الأشخاص ، عمن يفضلون الحياة معهم ، أو العمل معهم ، أو الاستمتاع بوقت الفراغ معهم) . و « شبكة العلاقات البينية » التى تنتج من هذا البحث تسمح لنا بالتنبؤ بالقنوات التى يمكن أن تجرى فيها جميع أشكال الصلات البين — شخصية ، بما فيها الإشاعة .

وعلى الرغم من أن صلات الصداقة هى التى تصنع فى العادة سلسلة الإشاعة ، فى بعض الأحوال تكفى أكثر الصلات العارضة سطحية لإحداث هذه السلسلة . فكيما نقتل الوقت فى إحدى عربات البولمان ، فقد نقيم صلة مع شخص غريب عنا تماماً ، ومن خلال هذه الصلة يمكن أن تنبثق تقولات إشاعية منمقة . وفضلا عن ذلك فإن الناس فى أوقات الأزمات يكونون على استعداد للتحدث مع أى شخص غريب يلتقون به عن الأزمة القائمة . ففى حريق خطير بأحد الفنادق سمع المارة يتناقلون « الخبر » بأن ثلاثة ، ثمانية عشر ، عشرين نزيلا قد حاصرتهم النيران فى الطابق العلوى . وهكذا فإن سلاسل الإشاعات يمكن أن تنشأ من السأم ، أو من الانفعال ، كما تنشأ بصورة متصلة من خلال روابط الصداقة .

ولقد قام مكتب الإعلام الحربى (١٩٤٢) بدراسة قيمة عن جماهير الإشاعة . أجرى البحث على مدينتين من المدن التى تأثرت بالحرب — نيوبرنزويك (نيوجرسى) وبورتلاند (مين) . وفى المدينتين على السواء تبين أن الأشخاص الذين كانوا « متابعين للأخبار »، بحسب تقدير الباحثين قد كشفوا عن ميل أكبر لترديد الإشاعات بالقياس إلى الأشخاص الذين اعتبرهم الباحثون أقل تتبعاً للأخبار .. فبالنسبة إلى « المتابعين للأخبار » تزداد الموضوعات التى تبدو ذات أهمية ،

وجديرة بالتفكير ، وجديرة بالتحدث عنها . كما أنهم يكونون فى العادة أعظم حظاً من حيث سهولة التعبير اللفظى ، وأكثر تعوداً على التحدث عن أفكارهم ومشاعرهم دون تردد . ضف إلى ذلك أن الأشخاص الذين يسهمون فى الحياة الاجتماعية على نطاق أوسع قد تبين أنهم أكثر تهيؤاً للإشاعة ، بالقياس إلى الأشخاص المنعزلين نسبياً . فالنساء العاملات مثلا يسمعن ويرددن من الإشاعات أكثر مما تفعل ربات البيوت . ومن بين الأشخاص الذين كشفت الاختبارات عن اتسامهم« بنشاط اجتماعى واسع » تبين أن ٦٠٪منهم عملاء إشاعة ، وذلك فى مقابل ٣٠٪ بين الأشخاص المنعزلين نسبياً .

وتتطلب هذه الدراسة كلمة تعليق . هل الأشخاص الذين اعتبرهم البحاث « متابعين للأخبار » كانوا حقاً كذلك ؟ وهؤلاء الأشخاص لو أنهم عرفوا جميع المعلومات الخاصة بواقعة ما لأصبحوا أقل تهيؤاً للإشاعة لا أكثر تهيؤاً لها . إن ما يكشف عنه البحث هو أنه كلما اتسع مجال الاهتمام ، زادت الفرص الممكنة لانتشار الإشاعة . ولقد أشرنا فى الفصل الأول إلى أن الأخبار إنما تكون فحسب ذات فاعلية مضادة حين تكون كاملة ومجردة عن الغموض . ولا شك أن « المتابعين للأخبار » من المواطنين يكثرون من قراءة الصحف ، ويستمعون إلى العديد من الإذاعات ، ولكن أفقهم الاجتماعى الفسيح يمكن أن يظل ملتبساً . فالأحداث النائية هى فى الغالب أقل الأحداث إتاحة للفهم الواضح ، ومن ثم فإنها تكون أكثر قابلية لأن تنتظم فى بنية خيالية ، مما يتحقق فى الإشاعة .

حملات الهمس :

رأينا كيف أن المشاعر القوية يمكن أن تعين شرارة الإشاعة على أن تقفز الهوة التى تفصل ما بين الغرباء . ولهذا السبب نجد فى وقت الحرب ، و حالات الكوارث ، وفى فترة الانتخابات ، أن الإشاعات غالباً ما تفيض بها مساربها الطبيعية . وحيث أن هذه الإشاعات تكون فى الغالب فاقعة اللون ، فاضحة بذيئة ، فإنها تنتقل بصورة صريحة أو مجازية عبر الهمسات .

ولما كانت المسائل السياسية مجالا للمشاعر القوية بالنسبة للكثير من الناس ، فإننا نستطيع فى الغالب أن نؤكد قيام «حملات الهمس» حول المرشحين للانتخابات . وبقدر ما تكون الكراهية عميقة بإزاء أحد المرشحين ، تتسع جبهة الإشاعات التى تهاجم دوافعه ، وحياته الماضية ، وأسراره الحميمة ، ونواياه المقبلة .

ومنذ أوقات بعيدة وحملات الهمس تلوث انتخابات الرياسة عندنا (فى أمريكا) . وعلى الرغم من تباين شخصيات الضحايا ، تباين اندرو جاكسون عن وارين هاردنج ، فإن موضوعات الافتراء هى فى العادة واحدة . علاقات جنسية محرمة ، معاملة وحشية للزوجة ، إدمان على الشراب ، واشتمال الدم على عنصر زنجى أو يهودى . وجهت إلى جفرسون تهمة الإلحاد وفساد الخلق . وقيل عن جارفيلد إنه على وشك الطلاق . وقيل عن أرثر إنه يحيا حياة الزنامع سيدة مجتمع فى واشنطون . أما كليفلاند فقد أذيع أنه كان يفرط فى الشراب ليلا ويضرب زوجته وكان هاردنج يحمل فى عروقه دماً زنجياً . وكان آل سميث من الناحية السياسية بوقاً للبابا (لمجرد أنه كان من الكاثوليك العلمانيين المبرزين) . وكان فرانكلين روزفلت يهودياً ومجنوناً[1] .

والمرشح الذى نبغضه ، يصبح بعد ما يكتسى بهذا الطابع « الشيطانى » أكثر استحقاقاً لكراهيتنا ومناهضتنا . فقبل أن نسمع الإشاعة كنا « نظن » أنه شيطانى ، أما الآن فإننا « نعرف » أنه كذلك . والديناميات ها هنا تشبه الديناميات الخاصة بالافتراءات المناهضة للزنوج . والرجل الثرى مثلا ، لا يجد ما يبرر به نفوره من الإصلاحات التحررية التى تعمل على الحد من ثروته عن طريق الضرائب المرتفعة ، وذلك لأنه يعلم تماماً أن العدالة الاجتماعية تتطلب بالذات مثل هذه القيود . ولكن إذا أشيع عن المرشح التحررى أنه داعر ، مجنون ، زنجى السلالة ، فعندها يتوهم الرجل الثرى أنه يعارض عن حق . إن مشاعر الخصومة تنتشر كما تنتشر بقعة الزيت حتى يغدو مستحيلا تبين المركز الأصلى للبقعة .

ولقد لوحظ فى بعض الأحيان أن حملات الهمس تلعب فى الانتخابات المحلية دوراً أقل مما تلعبه فى الانتخابات القومية . فلو صحت هذه الملاحظة لكان تفسيرها

---

(١) إن القصة الكثيبة لهذه الهمسات الإشاعية يرويها أدامز (١٩٤٢) .

ذا شقين : فالحملات المحلية ، من ناحية ، تثير فى العادة حماسة أقل ، وذلك لأن موضوعاتها نادراً ما تكون ذات قيمة أساسية بالنسبة إلى مصالح الشخص الاقتصادية . ومن ناحية أخرى فإن المرشح المحلى يعد إلى حد بعيد معروفاً جيداً من ناخبيه ، وجانب الغموض فى حياته الشخصية والسياسية هو أقل بكثير منه عند المرشحين للرئاسة ، هؤلاء الذين يمكن بالنسبة إليهم أن يبدو « أى شىء صحيحاً » .

وحملات الهمس « التجارية » ليست بالمجهولة . فبعض الإخصائيين فى فن الإعلان ، وبعض المستشارين فى العلاقات العامة ، المعروفين بانتصارهم للمغامرة أكثر منهم للأخلاق ، قد وجدوا أنفسهم مضطرين لاستحداث هذه الحملات . (ليتل وماكارثى ١٩٣٦) . عميل يتقاضى أجره ، يستطيع من نقطة مناسبة فى الحديث ، وهو فى عربة البولمان ، أو عند الحلاق ، أو فى ملعب الكرة ، أن يطرى مزايا سلعة ، ويفترى على السلع المنافسة لها . ولكن من المشكوك فيه أن مثل هذه الممارسة الإشاعية تتمخض عن نتائج إيجابية . وينحصر ضعفها من الزاوية السيكولوجية فى أن المستمع قلما ينظر إلى موضوع الحديث على أنه ذو « أهمية » . وحتى فى حالة ما تنغرس عند المستمع بذرة من التفضيل للسلعة المعنية ، فليس من المحتمل أن يتحمل عناء تكرار القصة لأصدقائه . فالنقود وإن استطاعت أن تستأجر عميل إشاعة فهى لا تستطيع أن تخلق سلسلة إشاعة .

الصحافة والإشاعة :

على الرغم من أن الإشاعة تنتقل أساساً عن طريق الحديث التلقائى الشفوى ، فلا ينبغى أن نقلل من أهمية الدور الذى تلعبه الكلمة المطبوعة . وفى البلاد التى تخضع فيها الصحافة لحكومة تسلطية ، يمكن للكلمة المطبوعة أن تصبح المنبع الرئيسى للإشاعات . كان ذلك هو الحال فى ألمانيا وإيطاليا واليابان . ولقد كان استنبات الإشاعات صورة من أهم الصور المستخدمة فى دعاية المحور [1] .

---

(١) كان هتلر يعتمد على ضعف ذاكرة الجمهور ، وكان يعتقد أن الأقاصيص العابرة ، صادقة كانت أم زائفة ، يمكن أن تستثير سلوكاً مناصراً ، دون أن يكون لها تأثير عكسى فى المدى البعيد . ولكن الذاكرة البشرية ليست من القصر ، والسلوك البشرى ليس من النوعية بالقدر الذى توهمه هتلر . انظر ، فى موضوع الدعاية القائمة على الأكاذيب والإشاعات ، وقصر نظرها وفشلها المحتمل ، بارتليت (١٩٤٠) .

وحتى فى البلدان التى تكون الصحافة فيها حرة ، فإن الصحف يمكن أن تخوض ، دون وعى منها ، فى الإشاعات ، وربما كان ذلك عن طريق خطئها فى صحة « مصدر الخبر » ، المصرح به . وفى حالات جد نادرة يكون إيلاج الإشاعة أمراً متعمداً . فقد يعتمد بعض رؤساء التحرير ، كما كان يفعل هتلر ، على قصر ذاكرة الجماهير ، وعلى عدم استعدادها للتحقق من صحة الأخبار . نقرأ فى العنوان الرئيسى لجريدة هرست Hearst ما يلى : « ٩٠ ٪ من الأساتذة يعلمون الشيوعية ، هكذا يصرح مشرع سابق » . وقل من الناس من يتنبه إلى أن أى عنوان يمكن أن يكون إشاعة . ولكن الكثير من العناوين الرئيسية ، بفضل ما تنطوى عليه من « إبراز » و « لوى » (إساءة بالنسبة للأحكام القبلية لرئيس التحرير) ، تحقق بدقة قانون الإشاعة . ويكشف سلدز Seldes (١٩٣٥) عن أن قصة الخبر ، التى وضع لها العنوان السابق الذكر ، لا تبرر بأى حال هذا العنوان المثير . والهوة التى أحياناً ما تفصل العنوان عن المضمون ليست بالأمر غير المألوف . فالعنوان يكشف (من حيث هو إشاعة) تحيز رئيس التحرير أو صاحب الجريدة ، فى حين أن المضمون يضطلع ، بفضل صياغته ، وبما ينطوى عليه من تدليل ، بتغطية موقف الواحد أو الآخر .

وبنفس الطريقة قد يكون العرض الانتقائى للأخبار ، الذى تنطوى عليه القصة الإخبارية العادية ، نوعاً شبيهاً بالإشاعة . حقًّا إن القصة المطبوعة يمكن أن تكون صورة حقيقية ، ولكنها مع ذلك لا يمكن أن تقول الحقيقة كلها وبدقة ، ، بل وكثيراً ما تفشل فى عرض الحقائق المتعارضة بصورة غير متحيزة . ومن ثم تكون القصة الناتجة ، بالضرورة ، صورة ملوية بعض الشىء . وعندما يتذكر القارئ الموضوع أو يحكيه ، فالغالب هو أنه يدخل عليه مزيداً من « الإبراز » ، وذلك فى نفس الاتجاه الذى عانت فيه القصة الإبراز أول مرة . وإن تحليل المضمون لصحافة بوسطون ، فى الفترة التى كان فيها « قانون الحياد » معروضاً أمام الكونجرس عام ١٩٤٠ ، ليكشف عن أن معظم الصحف تفسح مجالا أكبر للمقالات والتعليقات المناصرة لوجهات نظر رؤساء التحرير . وأكثر من هذا أن الصحف كانت تميل إلى أن تضع فى صدر المقال الإخبارى الوقائع والآراء المؤيدة لوجهة نظر رئاسة التحرير ، أما الوقائع والآراء المعارضة فتأتى فى ذيل المقال . وهذه الخطة الماكرة فى تحرير

الصحف إنما كانت تضطلع بعملية « تسوية » للآراء المعارضة فى ذهن القارئ ، وبعملية « إبراز » للآراء المؤيدة . (أولبورت وفادن ١٩٤٠) .

وصحافة باريس فى أواخر عام ١٩٤٥ ركبتها شياطين الإشاعات التى تدور حول مرض ستالين . ولقد صورت الصحف المناهضة للشيوعية ما كان يدور ، وذلك بطريقة تنطوى على « الإبراز » بما يوحى بقيام أزمة فى روسيا . أما الصحف المناصرة للشيوعية فقد كانت تتجاهل هذه الأخبار ، أو كانت تنكر ما يشاع من مرض وأزمة على السواء . (زرنر ١٩٤٦) .

ومراسلو الصحف يجدون أنفسهم فى وضع سيكولوجى حرج . فمهما تكن نواياهم طيبة ، فإن رواياتهم يستحيل عليها أن تفلت من الوقوع فى اللوى الذى تتميز به الإشاعة . فنادراً ما يكون المراسل شاهد عيان للوقائع التى يرويها ، وإنما هو يصل إلى المسرح بعد ما يكون الحادث الجدير بالذكر قد وقع وانتهى . ومن المحتمل أن يكون المصدر الذى يستقى منه أخباره بعيداً بشخصين أو ثلاثة عن الشاهد الأصلى (هذا الذى لا ينبغى أن نتصور له حظاً كبيراً من الدقة بحال) . لقد غدا الخبر بالفعل « قيلا وقالا » . وما يسطره المراسل ، وينمقه المراجع ، قد يتعرض للمزيد من الانزلاق فى طريق محفوف « بالتسوية » و « الإبراز » و « الإساغة » .

ويذكر سلدز مثالا مستمداً من الطبعة الباريسية لجريدة شيكاجو تريبيون : ممثلة تنتحر .

القصة	الوقائع
بلغراد ، أكتوبر ٢٨ – فى الليلة ، الماضية وقبيل الموعد المحدد بدقائق لظهورها على مسرح ليوبليانا ، وجدت مدام ألا بهر Alla Behr الممثلة السلافية ، تتدلى مشنوقة فى غرفة ملابسها. وما يزال سبب الانتحار مجهولا .	كان الانتحار بعد المشهد الأول . ولم يكن فى ليوبليانا وإنما فى كلاجنفورت . أما الاسم فهو اللا بير Ella Beer . والممثلة ليست سلافية وإنما من فينا . والحادث لم يقع فى غرفة الملابس بالمسرح وإنما فى الفندق .وسبب الانتحار معروف.

ويخلص سلدز إلى القول : « كان النص المطبوع يقع فى ستة أسطر ونصف ، وكان يشتمل على سبع وقائع ، ومن هذه الوقائع السبع ، كانت واحدة فقط صحيحة وهو الانتحار ، أما بقية الوقائع فخاطئة » . (سلدز Seldes ١٩٣٥ ص ١٦٣) . وفى مثل هذه الأشكال من اللوى لا نستطيع أن نلقى باللوم على دوافع المراسل .

وكما هو الحال فى تجاربنا ، فإنه على الرغم من عظم الرغبة فى تقديم تقرير دقيق ، فإن المراسل أو الناقل يظل تحت رحمة هذه العمليات النمطية ، « من إعادة تنظيم البنية » و « التعشيق » ، التى تلاحق كل تناقل متسلسل .

ولسبب أو أكثر من الأسباب التى ذكرناها الآن يتسم جانب كبير مما نراه فى صحفنا ببعض الخصائص المميزة للإشاعة . ومع ذلك فإن التعارض القوى ما بين الخبر والإشاعة يظل « من حيث المبدأ » غير قابل للانتهاك . فالخبر يتميز فى حالته المثالية بمسايرته للمعايير الوثيقة للصحة ؛ أما الإشاعة فتتميز بانعدام مثل هذه المسايرة . ومهما يكن من وضوح هذا التمايز من الناحية النظرية ما بين الخبر والإشاعة ، فإنه مع ذلك فى الغالب غير فعال فى أذهان الجماهير . فبعض الأغرار يصدقون فيما يبدو كل ما يقرأونه فى الصحف وكل ما يسمعونه من الراديو . فعندهم تستوى القطعة القائمة على القيل والقال من حيث الصدق مع القطعة المدعمة بالمستندات . وعلى العكس من ذلك ، هناك أشخاص من أصحاب النزعة النقدية المسرفة « لا يصدقون أبداً أى شىء فى الصحف » . (أما الشاكون فى صحة الأخبار المذاعة بالراديو فهم أقل عدداً) . لقد استحالوا إلى « شكاك مزمنين » بعد ما لدغوا مرة أو مرتين . ففى خلال الحرب العالمية الأولى نشرت قصص زائفة كثيرة عن فظائع الحرب . وكان من نتيجة ذلك أنه أصبح من الصعب على الكثيرين من الأمريكيين خلال الحرب العالمية الثانية أن يصدقوا أن الأخبار المقابرية ، والصحيحة مع ذلك ، عن معسكرات الاعتقال كانت تستند إلى أدلة أكيدة . والكثير مما يستحق التصديق فى نشراتنا الإخبارية ينظر الناس إليه فى استخفاف على أنه دعاية . ولو أن الناس أصبحوا فى المستقبل «متنبهين للإشاعة» ، كما تحقق لهم فى الماضى أن يكونوا « متنبهين للدعاية» ، فسيجد المراسلون ، وصائغو العناوين ، والمحررون ، صعوبة متزايدة فى الاحتفاظ بثقة الجماهير .

الإشاعة المعنونة (المعروفة كإشاعة) :

ما هو الأثر الذى ينتج عندما نخبر الناس بأن ما يسمعونه هو مجرد إشاعة ؟ ثمة تجربتان تلقيان الضوء على هذا السؤال ، وتكشفان بجلاء عن أن جمهورنا

لم يصبح بعد « متنبهاً للإشاعة » .

قدم كيركباتريك Kirkpatrick (١٩٣٢) إلى طلابه الذين أجرى عليهم التجربة مجموعات من العبارات الإخبارية التى زعم أنها مقتطفات من الحياة اليومية . صدّرت نصف هذه العبارات بالتعبير « يشاع أن . . . » ، بينما تم تقديم النصف الآخر على أنه أخبار مباشرة . كانت جميع العبارات وهمية . ولقد كشف تحليل تقديرات التصديق ، هذه التى قدمها الطلبة ، عن أن التعبير التحذيرى « يشاع أن . . . » لم يكن له تقريباً أية فاعلية فى إعاقة التصديق .

وفى وقت قريب استخدم ج . ه . سميث Smith مجموعة من العبارات الإخبارية الوهمية ، بعضها مناصر وبعضها مناهض للاتحاد السوفيتى . وكان الأشخاص الذين أجريت عليهم التجربة طلبة تم قياس اتجاهاتهم إزاء روسيا بواسطة سلم اتجاهات . ولقد قدمت العبارات الإخبارية تحت عناوين ثلاثة مختلفة . فقدم بعضها على أنه « وقائع » أكيدة ، وبعضها على أنه « إشاعات » لم يتم التثبت من صحتها بعد ، والبعض الأخير بغير عنوان على الإطلاق . وقد سجل الطلبة درجة تصديقهم أو عدم تصديقهم للعبارات على سلم يتراوح ما بين الرفض والقبول المطلق .

وتدل نتائج سميث على أن العبارات المعنونة « وقائع » كانت تلقى التصديق فى سهولة أعظم ؛ بينما لقيت العبارات المعنونة « إشاعات » أقل التصديق ؛ أما العبارات غير المعنونة فقد احتلت مكاناً وسطاً . وعلى أية حال فإن العبارات غير المعنونة « وقائع » كانت أكثر فاعلية فى توجيه التصديق بأكثر مما كانت العبارات المعنونة « إشاعات » فى إعاقة التصديق . وبعبارة أخرى يمكن القول بأن العبارات المعنونة « إشاعة » كانت تشبه فى نتائجها العبارات غير المعنونة على الإطلاق . فعنونة العبارة على أنها « واقعة » إنما تكسبها امتيازاً يولد تقبلا واضحاً . أما عنونة العبارة على أنها إشاعة فذلك لا يعدو أن يضعها ضمن فئة الأحاديث غير المحددة . فالناس نادراً ما يديرون رؤوسهم فى خجل أمام النعوت والصفات فى العناوين . فعندما يسمع السامع شيئاً يحمل عنوان « الوقائع » فإنه يبدو وكأنه يقول لنفسه : « واقعة ! الوقائع صحيحة ، يتحتم على تصديقها » أما عندما يسمع شيئاً بعنوان « إشاعة » ، فإنه يتردد لحظة قبل أن ينتهى إلى القول : « حسناً ، فالإشاعات يمكن أن تكون صحيحة » .

وإذا كان لديه استعداد سابق لتقبل العبارة ، فإنه يتيح لها أن تفيد من احتمال الصدق .

فى هذه التجارب يبدو الاتجاه القائم من قبل أكثر أهمية من أى « عنوان » ، وذلك لأنه تحت مختلف الظروف التى أجريت فيها تجربة سميث كانت الدرجات على « سلم التصديق » مسايرة بصورة إيجابية للدرجات على « سلم الاتجاهات » . فالأشخاص المناصرون لروسيا هم أكثر ميلا إلى تصديق سيان الوقائع أو الإشاعات التى فى صالح روسيا . أما الأشخاص المعادون للاتحاد السوفيتى فهم أكثر ميلا لتصديق سياق الوقائع أو الإشاعات التى فى غير صالح روسيا .

وعدم الفاعلية النسبية للعنونة « إشاعة » ينطوى على اعتبارات عملية هامة . فذلك يعنى أننا لا نستطيع قتل الإشاعات بمجرد وصمها بالعنوان « إشاعة » . فإن الأمر يتطلب طرائق أكثر جدية للدحض ، تتضمن استثارة دافع الوطنية أو مشاعر الخزى عند الأشخاص ، وربما توعية بأساسيات سيكولوجية الإشاعة . ولقد كانت هذه الطرائق هى هى التى لجأت إليها عيادات الإشاعة . وجدير بالأهمية أن نتنبه أيضاً إلى أن العنونة « وقائع » تستثير تبجيلا وإيجابية عند السامع . والإخصائيون فى الإعلان ممن يستخدمون على نطاق واسع التقريظات الشبه علمية يعرفون ولا شك هذا الاستعداد عند الناس . ولكن لسوء الحظ أن « الرمز » وحده هو الذى يستثير التصديق . فليس كل ما يحمل الرمز « وقائع » يرتفع فى حقيقته إلى مستوى عنوانه .

وكيما تكسب الإشاعات لنفسها التصديق فإنها غالباً ما تتقنع فى صورة الوقائع أو تنتسب إلى جهات رسمية عليا لتسند دعواها . وكثير من الإشاعات ما يبدأ : « كان أخى يتحدث مع واحد من الذين فى الصورة » . . . ، أو « كان رئيس المباحث نفسه يؤكد . . . » ، أو « سمعت ذلك من أعظم مصدر مسئول . . . » ، وثمة طرائق أخرى ، من قبيل تحديد أسماء المدن أو الشوارع التى تدعى الإشاعة أن الحادثة وقعت فيها ، تعين على إسباغ صحة زائفة . فالتحديد العيانى لمكان حادثة ما يتضمن فيما يبدو أن الحادثة لابد وأن تكون قد وقعت .

الإشاعة والفكاهة :

حيث أن كل إشاعة إنما هى « قضية مقدمة للتصديق » ، فإنها تدعى تقرير واقعة ، أو تصف حالة قائمة . ولكن الكثير من الأقاصيص التى تنتشر انتشار

الإشاعة إنما هى نتاج صريح للخيال ، لا تستهدف إثارة التصديق وإنما إثارة الضحك . ومع ذلك فإنها هى الأخرى يمكن أن تعبر عن الكراهية الأجناسية ، أو تنطوى على نقد سياسى ، أو تضطلع بالتنفيس عن بعض مشاعر انفعالية مقموعة . فالفكاهة والإشاعة ، سواء من حيث طريقة السريان أو من حيث الوظيفة ، غالباً ما تتكشفان عن تشابه يبعث على الدهشة .

وهناك قصة نعمت بانتشار واسع فى البلدان الأوربية الدكتاتورية . كان أحد المواطنين يسير على شاطئ نهر عميق ، وفجأة سمع صوت استغاثة مكروبة لرجل يغرق . فقفز إلى الماء، وعاد بالرجل سالماً إلى الشاطئ . وعندها قدم الغريق نفسه فى اعتزاز قائلا « أنا مسولينى (أو أنا هتلر ، أو ستالين ، تبعاً للبلد التى تروى فيها القصة) . لقد أنقذت حياتى . فلتطلب فى مقابل ذلك ما تشاء يكون لك ما تريد ». فأجاب المنقذ « ليس لى غير مطلب واحد ، لا تقل لأحد أننى أنا الذى أنقذتك ». ليست إشاعة — وربما لا تكون أيضاً فكاهة جد فكهة — ومع ذلك فقد ألقى برجال ونساء فى سيبيريا ، أو فى معسكرات الاعتقال الألمانية ، أو فى المستعمرات الإيطالية التأديبية ، لأنهم رددوا مثل هذه القصة على مسمع من مخبر . (ليونز Lyons ١٩٣٥) .

ويوضح هذا المقال القرابة السيكولوجية الوثيقة ما بين الفكاهة والإشاعة . فكلتاهما يمكن أن تكون مطية للتعبير عن المشاعر الحميمة ، دون ما وعى صريح من جانب القائل بوجود هذه المشاعر . فالشخص الذى يغلب عليه حصار الجنس (فكرة ثابتة مهيمنة) لن يسلم بهذه الحقيقة فى صراحة ، ولربما أنكرها حتى فيما بينه وبين نفسه ؛ ولكنه قد ينطلق ، أمام أوهى إثارة بالفكاهات أو التقولات العاهرة . (بعض الأشخاص هم أكثر ميلا للفكاهات ، والبعض الآخر أكثر ميلا إلى الفضائح) .

وعندما تشتمل الفكاهة على لدغة متميزة ، كما هو الشأن فى فكاهة الدكتاتور السابقة ، فإنها من الناحية الفنية « نكتة اتجاه » (أى تعبر عن اتجاه) . فبدلا من أن يقول الشخص « أنا أكره الزنوج » فإن بوسعه أن يردد الفكاهات المحقرة للجنس الزنجى . وليس من شك فى أن من الممكن أن يردد الآخرون دون وعى ، ودون أن يكون لديهم ، حتى فى المستوى اللاشعورى ، المقصد المغرض ، ولكن أغلب الفكاهات التى تنطوى على تحقير الضحايا أو السخرية منهم أو الحط من شأنهم

إنما ترسخ مع الوقت ، شأنها شأن الإشاعات ، بفضل ما لها من قيمة تنفيسية .

وإنه لمن العسير بصفة خاصة أن نرسم حداً فاصلا مابين الإشاعات العدوانية التى تطلق فى لباس فكه ، وبين الحكايات المغرضة التى هى مجرد فكاهات . فالدلالة الوظيفية فى الحالتين تكاد أن تكون واحدة ، وكلتاهما يمكن أن تكون بنفس الدرجة جائرة وجارحة لضحاياها . والاختلاف بينهما إن وجد إنما يكمن بالكلية فى مدى ما تستند إليه القصة من دليل يمكن التحقق من صحته .

الإشاعة والشغب :

إن جراثيم الإشاعة — أو على وجه الدقة باسيليات الإشاعة — إنما هى أبداً حية نشيطة ضمن الكيان الاجتماعى . وهى أحياناً ما تتحرك حركة بطيئة وبصورة غير سامة . وهى أحياناً أخرى ما تتفجر عنيفة فى صورة الحمى [1]. ومن سوء الحظ أن الحمى تشتعل فى أخطر صورها عندما يكون الكيان العضوى أقل ما يمكن قدرة على احتمال خسائرها. فالحروب والاضطرابات والأوبئة والكوارث ، وكلها مدمرة بذاتها ، إنما تصبح أكثر تدميراً عندما تنضاف إليها مضاعفات الإشاعات .

وتكشف الاضطرابات الخطيرة عن الصلة الوثيقة بين حركات الشغب والإشاعات . وليست هناك حالة واحدة يمكن أن ندعى فيما يتعلق بها بأن التقولات كانت هى العلة الوحيدة أو الأصلية للشغب ، ولكنها مع ذلك تلعب فيما يبدو دوراً مساعداً هاماً على الدوام . والحق هو أن الأدلة التى تملكها على ذلك لهى من قوة الإقناع بحيث نستطيع أن نجعل من هذه الحقيقة قانوناً من قوانين علم النفس الاجتماعى مؤداه أن « ليس هناك من شغب يمكن أن يحدث بغير ما إشاعات تستثير العنف وتصاحبه وتغذيه » . ويمكننا أن نميز فى العادة أربع مراحل فى هذه العملية :

١ — تسود لفترة من الوقت قبل الانفجار همهمات عدم ارتياح . وهذه الهمهمات يمكن أن تتخذ صورة أقاصيص تصور التفرقة العنصرية ، أو الإهانات ، أو أفعال السوء مما تنسبه الجماعة إلى خصومها . وفى هذه المرحلة لا يختلف مجرى الإشاعات عن المجرى العادى للأقاصيص العدائية والمنطوية على الاتهام . فإنها تبدو للسامع شبيهة بالافتراءات اليومية المتعلقة بالمسالك المعيبة للزنوج أو اليهود ، أو بجشع الموظفين ،

أو بطش رجال البوليس . ولكن عندما يزيد الأمر عن السريان العادى ، أو عندما تبلغ الأقاصيص من الحباثة درجة حادة ، فإنه يحق لنا أن نشك فى أنها مرحلة مهيئة للشغب . فهذه الأقاصيص فى ذاتها لن تتمخض عن العنف . وإنما هى تعمل فحسب كبارومتر يكشف عن تفاقم التوتر الاجتماعى ، ويشير إلى أننا نتعرض للعاصفة ما لم تغير الرياح الاجتماعية من اتجاهها . فى اضطرابات صيف عام ١٩٤٣ ، حيث وقعت مشاغبات أجناسية عديدة ، وتراءت مشاغبات أخرى وشيكة ، سجلت الدراسات قيام فترة سابقة من السريان الغزير للإشاعات (وكلر وهول ١٩٤٤) .

٢ ــ وتتضح إشارة الخطر حين تتخذ الإشاعات صورة نوعية مهددة . « سيقع أمر الليلة عند النهر » ، « لا يفوتك أن تحضر إلى الملعب لترى المهزلة عقب المباراة » ، « هذا الزنجى سيمسكون به الليلة ، ويزهقون أنفاسه » . وأحياناً ما تنسب الأقاصيص عنفاً وشيكاً لمعسكر الخصوم . « أبناء السفاح يختزنون الأسلحة منذ شهر » . فى أثناء اضطرابات ديترويت فى أوائل صيف عام ١٩٤٣ أشيع أن عربات محملة بالزنوج المسلحين تتجه من شيكاغو إلى ديترويت . وهذه الإشاعة المشئومة قد انتشرت إلى حد أنها أذيعت من إحدى محطات الراديو دون تقدير للمسئولية . (لى وهمفرى ١٩٤٣ ص ٣٨) . ولم يكن بد من أن يزيد ذلك من الهلع ، المهيمن .

وفى هذه المرحلة ، عندما يبلغ الأمر حد التنبؤ والإحساس الصريح بالتهديد بانفجارات الشغب ، يتحتم على البوليس أن ينظم صفوفه ليمنع هذا التهديد من أن يتجسد . فالوقت الملائم لمنع الشغب إنما يكون قبل وقوعه . وثمة مثل رائع على الأعمال الوقائية للبوليس تحقق فى واشنطون خلال نفس الصيف المضطرب لعام ١٩٤٣ . قالت الإشاعة إن أعداداً هائلة من الزنوج دبرت ثورة ، وأن الحركة ستنطلق ابتداء من استعراض يقوم به الزنوج وتحدد له يوم معين . وكانت هذه الإشاعة ترمى إلى تعبئة جيش مضاد من البيض . ولقد استطاع بوليس واشنطون ، بفضل ما اتخذه من إجراءات حاسمة قبل الوقت المحدد ، وبفضل ما أتاحه من حماية فعالة للزنوج السائرين فى الاستعراض ، أن يقطع الطريق على الاصطدام المهدد . وكلر وهول ١٩٤٤) .

٣ — وغالباً ، وإن لم يكن ذلك هو الحال دائماً ، ما تكون الشرارة التى تشعل برميل البارود هى نفسها إشاعة ملتهبة . فحركة الشغب الخطيرة بحى هار لم فى أغسطس ١٩٤٣ قد جاءت مباشرة فى أعقاب إشاعة مختلفة الصور ، عن حادث وقع ما بين جندى زنجى ورجل بوليس من البيض فى إحدى ردهات فندق بحى هارلم . ولقد تمخض الشجار عن إصابة رجل البوليس بجرح بالغ ، بينما أصيب الجندى فى كتفه . ولكن الإشاعة روت أن الجندى الزنجى قد أصيب برصاصة فى ظهره وقتل . وما هى إلا دقائق حتى تجمعت الجماهير الغاضبة أمام الفندق ، وعند مركز البوليس ، وأمام المستشفى الذى نقل إليه الزنجى المصاب . ولم تلبث الجماهير الدهمائية الغاضبة المحنقة ، والمثقلة أبداً بالمظالم الأجناسية والفقر والتكدس فى مساكن حقيرة ، أن شمرت عن سواعدها ، فنهبت العديد من المخازن ، ودمرت من الممتلكات ما يقدر بملايين الدولارات . وينبغى أن نتنبه إلى أنه على الرغم من أن حادثاً أجناسياً قد سبق التصرفات الدهمائية ، فإن الهياج الناتج لم يكن شغباً أجناسياً . فغارات السلب التى ارتكبها الزنوج انصبت بصورة أساسية على ممتلكات زنجية . لقد بدأ العنف وكأنه بلا هدف ، اندلع حين واتته الفرصة ، نتيجة لإحباطات مزمنة وغير محتملة . وترينا هذه الحادثة كيف يكون عنف الدهماء مجرداً عن الخطة والهدف عندما ينطلق .

وعلى العكس من ذلك كانت انفجارة ديترويت ، وهى الأفدح فى خسائرها ، شغباً أجناسياً بمعنى الكلمة . كان سببها المباشر ، الذى جاء فى أعقاب فترة طريلة من التوتر الاجتماعى (ذلك التوتر الذى كان من الممكن جسه والتغلب عليه لو تم التنبه إلى الإشاعات السابقة على الشغب) يكمن فى إشاعة واسعة الانتشار ومتعددة الصور عن حادث وقع على شاطئ « بل أيل » . كان ذلك فى عصر الأحد فى يوم من أيام الصيف القائظة ، وهو الوقت — وتلك ملاحظة عابرة — الذى تنفجر فيه معظم المشاغبات . كانت الحادثة المثيرة ، على نحو ما جاء فى الصحف ، تنحصر فى تلاكم يدوى وقع بين زنجى ورجل أبيض . وسرى طنين هذه الحادثة مع المبالغات على طول الشاطئ وفى المدينة نفسها . وكانت الصور المختلفة للإشاعة تتبع الإساغة المفضلة عند كل عميل من عملاء الإشاعة ، فجاء بعضها لحناً يلائم الآذان البيضاء والبعض الآخر لحناً يلائم الآذان السوداء . كانت إحدى صور هذه الإشاعة تروى

أن البحارة البيض قد ألقوا بطفل زنجي من فوق الكوبرى . وتروى صورة أخرى أن الملونين اغتصبوا امرأة بيضاء فوق الكوبرى ،وثالثة أن البحارة البيض قد صبوا الشتائم على فتيات زنجيات ، وتروى أخرى أن الزنوج لاحقوا فتيات من البيض وهن يسبحن . (لى وهمفرى ١٩٤٣) . وكان ولابد للدافع الجنسى من أن يدخل إلى المعمعة لأسباب سبق أن ذكرناها .

٤ — وحين يحمى وطيس الاضطراب تنطلق الإشاعات وتجرى أسرع ما يمكن. ولكن فى هذه المرحلة الجنونية تكشف خصائص الإشاعة عن تعصب حاد . فأحياناً ما تكون الإشاعات هلوسية . فحوادث التعذيب والاغتصاب والقتل تتردد فى صور هاذية وكأنها تهدف إلى تبرير العنف الوشيك وإلى التعجيل بالانتقام . ويذكر لى وهمفرى كيف أنه فى قمة الهياج تكاثرت المكالمات التليفونية على رجال البوليس فى ديترويت لتبلغ عن حوادث مزعومة . قالت إحدى السيدات فى مكالمتها أنها قد رأت بعين رأسها مصرع رجل أبيض بأيدى جماعة دهمائية من الزنوج . وعندما ذهبت عربة النجدة إلى مكان الحادث المزعوم لم يجد البوليس غير جماعة من الفتيات يلعبن « الحجلة » ، ولا أثر لحادث عنف . أما ادعاء السيدة فى مكالمتها بأنها شاهدة عيان ففيه ما يوحى بأن الإشاعة ، فى الحالات جد المتطرفة من التوتر والهياج ، يمكن أن تكون ظاهرة مرضية بمعنى الكلمة .

ويكتب لايتون Leighton (١٩٤٥ ص ٢٦٨) معلقاً على هذه المسألة :

«يعرف الأطباء العقليون منذ وقت بعيد من ملاحظتهم للمصابين بالاضطرابات الانفعالية بأن هؤلاء الأشخاص عندما يعانون حالة من الهلع ، فإنهم يخطئون إدراك الأحداث العادية ، ويؤولونها على أنها تهديدات مروعة . فالصفير الخافت لقطار بعيد يخيل إليهم أنه صرخة محتضر ، ويبدو للتو شخصان يتحدثان وكأنهما يدبران مؤامرة . وأكثر من هذا ما اتضح من أن المرضى حين يكونون فى حالة الهلع ، يمكن أن تكون إدراكاتهم هلوسات ، «فيرون» أشخاصاً يقبلون هاجمين عليهم ، وليس لهم من وجود فى الواقع ، أو « تمتلىء أنوفهم برائحة » الدخان والغاز ، وليس فى الحقيقة من دخان أو غاز . ويبدو الأمر جد محتمل الوقوع بالنسبة إلى الأشخاص العاديين عندما يكونون فى حالة من الرعب الشديد » . . .

وفى التجربة التى عاشها مع اليابانيين — الأمريكيين الذين تم تهجيرهم من الساحل الغربى ، استطاع لايتون أن يلمس الكثير من هذه الإشاعات الهلوسية . ففى أثناء إضراب بمركز إعادة التوطين فى بوسطون ، بأريزونا «رأى» المتظاهرون المتهيجون مدافع رشاشة بأطقمها من الرجال مما لم يكن له وجود . كما «رأوا» فى الليل عربات الموتى الوهمية تنقل الجثث . كانوا يعتقدون بأن المتوطنين فى هذا المركز يموتون كالذباب من وطأة الحر وسوء التغذية ونقص الرعاية الطبية . كما اعتقدوا أن الأطفال يهلكون فى بيوت الحضانة الشديدة الحرارة . وتعد مثل هذه الأقاصيص نمطية للمرحلة الرابعة من مراحل الإشاعة فى موقف الاضطراب الدهمائى .

وعندما تصل الإشاعات المرحلة الثالثة والرابعة فليس هناك فى الواقع من شىء تستطيع الرؤوس المدبرة فى البوليس أو فى الجماعة أن تقوم به لإيقافها . فإن الذى ينبغى إيقافه إنما هو العنف . فليست الأقاصيص الضارية إلا مجرد لازمته اللفظية . أما فى المرحلتين (١) و(٢) فإن الإشاعات تقوم بدور النذير الذى يمكن التعويل عليه لتنبيه السلطات التنفيذية ، هذه التى تستطيع ، بل ويتحتم عليها ، أن تتخذ إجراءات حاسمة لضبط قياد جمهور مضطرب ينطلق بسرعة إلى ذروة الهياج والعدائية حيث يفلت الزمام .

وقصة الإشاعة والشغب هذه لو تأملناها من زاوية أقل بروزاً ، لأمكن تطبيقها على أشكال عديدة من الإدارة الاجتماعية . ففى شركة تجارية ، أو فى مصنع ، أو مدرسة ، أو سجن ، أو على ظهر سفينة — وفى كل مكان حيث يعيش الناس معاً — تكون الإشاعات معياراً للحالة العقلية . فأقاصيص العدائية الموجهة ضد جماعة مندرجة إنما تعبر عن انخفاض المعنوية ضمن الوحدة الاجتماعية . فعندما تتكاثر هذه الأقاصيص ، وخاصة عندما تصبح منطوية على عنصر التهديد أو على عنصر الاضطراب الصريح الوشيك ، يكون للحاكم فيها تحذير معقول مما تنطوى عليه وحدته من توتر خطير . لقد حان الآن الوقت كيما يسارع إلى العمل .

خلاصة :

من مختلف أقسام هذا الفصل أخذ يبرز بالتدريج أن الإشاعة تستقر فى الأنسجة العميقة من الكيان الاجتماعى . فجانب كبير من التاريخ كما أوضحناه ، إنما تحدد

عن طريق استجابات الناس للتقولات ، كما أن الكثير من معتقدات الناس إنما هى نتاج خرافات وأساطير ممعنة فى القدم .

والخاصية الخداعة للإشاعة تكمن فى أنه على الرغم من أنها تقويمية ودوافعية فى دلالتها ، إلا أنها عادة ما تتنكر وكأنها معلومات موضوعية . وفى الحقيقة إن وظائفها التعبيرية وهى المتخفية علينا ، لأهم بكثير من وظائفها الإعلامية المزعومة .

وإذا ما حاولنا تصنيف الإشاعات لتبينا أن ميوعتها ترجع بعض الشىء إلى ما تنطوى عليه من انصهار الانفعالات ومشاعر النفور ضمن شبكة ثرية معقدة . أما الدلالة الوظيفية للإشاعات فى الحياة الاجتماعية فيمكن سبرها فحسب عن طريق استجلاء الطبقات العميقة للشخصية ، وتبين « اقتصاديات » الطاقة العقلية عند الفرد . وبعض الجمهرات الكبيرة تعد متاحة لأنواع معينة من التقولات . وتتوقف سلاسل الإشاعة على القابلية للإيحاء عند الأفراد . وحين يبلغ الهياج درجة عالية من الشدة يأخذ فى التزايد عدد الأفراد المندمجين فى السلسلة . والحروب والاضطرابات والانتخابات كلها تعمل على توليد النمط الخبيث من الإشاعات المفتحشة المعروفة باسم حملات الهمس . وفى السنوات الأخيرة تبينا الصلة الوثيقة ما بين الإشاعات والاضطرابات . ومن المؤكد أنه من أجل الهيمنة على الاضطرابات لابد من إيقاف الإشاعات .

وحيث أن الناس لا يتعرفون فى العادة على الإشاعة عندما يسمعونها ، وحيث إنهم نادراً ما يكفون عن تصديقها لمجرد أنها «معنونة» بوضوح ، فلا مناص من أن نخلص إلى القول بأن الجمهرة مازالت بعيدة عن أن تكون متنبهة للإشاعة . فالجمهرة لم تحقق غير القليل من المناعة ، أو لم تحقق أى مناعة على الإطلاق .

وليس من المنتظر أن تقل أهمية التقولات فى المجتمع ما لم تتحقق شروط عديدة لا يحتمل فى الواقع تحققها . فناشر الأخبار ينبغى عليه أن يصبح أكثر دقة وأن يحقق قدراً أكبر مما يحققه الآن من نفاذ إلى عقول السامعين . والأشخاص الذين يتطلعون إلى تأويل للعالم الذى يعيشون فيه ينبغى أن تتاح لهم تفسيرات أكثر إرضاء مما يتاح لهم الآن . وينبغى أن تتضاءل مشاعر العدائية والخوف والرغبة مما يتطلب التبرير والتنفيس الخيالى . وأخيراً ينبغى العثور على وسيلة لتقويم ديناميات اللوى التى تصيب جميع عمليات الحفظ والاستدعاء كائناً ما كان حرص الناقل على الدقة .

وحيث أن هذه الشروط لا ينتظر أن تتحقق فى المستقبل المرتقب ، فعلى كل فرد يرغب فى أن يحقق لنفسه مناعة ضد الإشاعة أن يتعمق ما استطاع الأوجه السيكولوجية والاجتماعية للظاهرة ، وأن يزيد بالممارسة المتصلة من مهارته فى أن يكشف ويحلل القسط اليومى من التقولات التى تبلغ إلى أذنيه المرهفتين .

الفصل العاشر

تحليل الإشاعة

كيما يكتسب الشخص مهارة فى تحليل الإشاعات فإنه يحتاج أولا إلى دراية بالمبادئ التى تقدم ذكرها فى الفصول السابقة، ويحتاج ثانياً إلى التدرب على تطبيق هذه المبادئ . وليس ثمة حاجة إلى القول بأن الشخص يحتاج فوق ذلك إلى درجة من الشك معتدلة – لا حصارية – بإزاء الأخبار التى تصل إلى سمعه أو يقع عليها بصره ، كما ينبغى أن يتوفر لديه الاستعداد للتحقق من صحة الأخبار بالرجوع إلى تجاربه السابقة التى يمكن التعويل عليها فى هذا الصدد ، وبالرجوع ما أمكن إلى المعايير الموضوعية للصدق .

وفى هذا الفصل نطلب إلى القارئ أن يضطلع بفحص عينات مختارة من صور الإشاعة . وانتماء بعض هذا العينات إلى فترة مضت إنما ينهض دليلا على الطابع « العابر » للإشاعة. و « العبارات التى تقدم للتصديق » إنما هى على الأرجح قصيرة العمر ، مما يرجع ببساطة إلى سرعة تغير اهتمامات الناس . وعلى أية حال تظل الاستفادة كبيرة من دراستنا لبعض الأمثلة النمطية ، المستمدة من أجواء اجتماعية متنوعة ، حتى وإن كان بعضها قد فات أوانه .

وتحليل أية أقصوصة من الأقاصيص لا يمكن بحال أن يبلغ من الكمال الدرجة التى ننشدها ، وذلك لأن الظروف السيكولوجية والاجتماعية التى تسرى فيها الإشاعة لا يمكن معرفتها إلا بصورة جزئية ، وغالباً ما يكون ذلك عن طريق الاستدلال وحده . هذا إلى أنه ليست هنالك أقصوصة واحدة تستطيع أن تحقق جميع المبادئ الخاصة بالإشاعة ، وإن كانت المعادلة الأساسية تتكشف فى كل حالة . فإذا لم تتحقق المعادلة الأساسية فإنه يتحتم علينا أن نخلص إما إلى أن العينة موضوع البحث ليست إشاعة بمعنى الكلمة ، وإما إلى أن المعادلة زائفة . والحق هو أنه يمكن التأكد من صحة جميع المبادئ التى قدمناها فى الفصول السابقة بتبيننا لنجاحها فى تفسير الأمثلة العيانية للإشاعة . فإذا اتضح أن بعض هذه المبادئ لا يصدق فى أية

حالة ، أو أنه غير ملائم ، فينبغي استبعاده أو مراجعته .

وسوف نضيف إلى الأمثلة التالية تعليقات تحليلية ، وإن لم نستطع فى كل حالة أن نؤكد بأن جميع التعليقات هى ، بنفس الدرجة ، ملائمة . وينبغى أن نتوقع قدراً كبيراً من التأملات الجريئة فى محاولة من هذا القبيل .

ويتحتم على القارئ بعدما يفرغ من قراءة تعليقاتنا على الحالتين أو الثلاث الأولى أن يحاول بنفسه أن يقوم بالتحليل قبل أن يقرأ ما يورده المؤلفان من آراء . وفى نهاية هذا الفصل يجد القارئ سلسلة من الحالات بغير تحليل يستطيع أن يتناولها « كمادة خام » ليرى رأيه فيها .

الحالة (١)

المثل الأول مستمد من «خطاب برلين» لجويل ساير J. Sayre الذى نشر فى صحيفة نيويوركر New Yorker (بتاريخ ٢١ يولية ١٩٤٦) وذلك خلال فترة الاحتلال المضطربة فى صيف ١٩٤٦ .

« إن قصة الرجل الأعمى فى « كنيزيبك ستراس » تعطينا فكرة عن طريقة أهل برلين فى التفكير . فى وقت متأخر من عصر أحد الأيام ، كانت سيدة شابة تمضى فى طريق عودتها إلى المنزل من المكتب الذى تعمل به ، مارة فى شارع كنيزيبك ، وهو شارع سكنى فى منطقة أصابتها الغارات بالدمار ، حين ارتطم فيها فجأة رجل أعمى وهى تنتظر الشارة المؤذنة بالمرور . كان الرجل طويل القامة نحيلا متوسط العمر ، يحمل نظارات سوداء ، ويرتدى سترة قديمة ، وسروالا يشبه سراويل الجولف يكاد يصل إلى نهاية الساقين ، وكان يتلمس طريقه بعصا ويحمل فى اليد الأخرى خطاباً . وعلى أحد ذراعيه يلتف الشريط الأصفر الذى يحمل هرماً من ثلاث كرات سوداء ، وهو شريط يحمله فى العادة كل كفيف أو أصم ألمانى حين يخرج إلى الطريق . ولقد تقدم الرجل الأعمى إلى السيدة باعتذاراته عن ارتطامه فيها . فأجابته : « لا عليك ، فليس هنالك من سوء» . وسألته ما إن كانت تستطيع أن تعينه فى شئ . وأجابها الرجل : « فى الواقع تستطيعين لو تكرمت » ، وسلم إليها الخطاب طالباً إليها

أن تقوده إلى العنوان المسطر عليه . كان الخطاب يحمل عنوان شخص يقطن على مسافة بعيدة عن شارع كنيز يبلك ؛ وقالت السيدة للرجل إن عليه أن يسير مسافة غير قصيرة . وقال الرجل « يا إلهي ما أكثر ما سرت هذا اليوم ! ترى من الممكن أن تضطلعي عني بتوصيله ؟ » فقالت : « بكل سرور ، فإني على أية حال سأمر بهذا العنوان في طريقي إلى المنزل ، فلن يكلفني ذلك شيئاً» . وشكرها الرجل الأعمى بحرارة ، وتبادل الاثنان عبارة « إلى اللقاء ! » .

ومضى الرجل يقرع الأرض بعصاه في الاتجاه الذى جاءت منه السيدة . وما أن سارت السيدة الشابة عشرين أوثلاثين ياردة حتى ألقت بنظرة إلى الوراء ، لترى ما إن كان الأعمى يمضى آمناً فى طريقه . لقد كان فى الحقيقة يمضى ويمضى بسهولة . كان يمضى مسرعاً على الرصيف وعصاه تحت إبطه . لم يكن هنالك أى شك بفضل سرواله الفضفاض . وبدلا من توصيل الخطاب إلى العنوان ، ذهبت به السيدة إلى قسم البوليس ، وشرحت كيف وصل هذا الخطاب إلى يديها . وانتقل البوليس إلى المسكن المدوّن عنوانه على الخطاب ، فعثر هنالك على رجلين وامرأة وعلى كميات هائلة من اللحم الذى أوضح الكشف الطبى أنه لحم بشرى . وكان الخطاب يحمل فى داخله عبارة واحدة : « هذا هو الطرد الأخير الذى أبعث به اليوم » .

التعليق : والمراسل الذى نقل هذه القطعة الطريفة يضيف إليها تحليله الخاص :

« هذه القصة خرافة صرفة . ومع ذلك فجميع من أعرفهم من الألمان فى برلين فضلا عن العديد من الأشخاص الذين استجوبتهم ، قد سمعوها . ولقد صدقها منهم نحو ٩٥ ٪ . وفى غير قليل من الحالات كان الشخص الذى أناقش القصة معه يلقى إلىّ بهذه الإيماءة ، التى تنطوى فى مغزاها على فتل الشوارب والاعتداد بالرأى ، مؤكداً أنه يعرف شخصياً هذه السيدة الشابة ، التى نجت بأعجوبة من أن تباع بالرطل . كانت ممتلئة الجسم ، هكذا صورتها لى أوصاف الناس ، ممتلئة ولكنها رائعة الجمال . ولفترة من الزمن لم أكد أجد واحداً من أهل برلين يشك فى قصة الرجل الأعمى . وهنالك سببان يفسران ذلك . أولهما أنه كان من الصعب فى تلك الأيام فى برلين أن يتصور الإنسان استحالة أمر كائناً ما كان حظه من الفظاعة . والسبب الثانى هو أن غالبية سكان برلين ممن تخطوا الثلاثين يستطيعون أن يتذكروا

سابقة تاريخية . فنى عام ١٩٢٥ ، نفذحكم الإعدام فى فريتز هارتمان F. Haartmann الذى عرف فى أوربا كلها بوحش هانوفر لقتله « دستين » من الذكور المراهقين وبيعه بعض قطع مختارة من لحمهم للجمهور . ولقد اعترف أيضاً بقتل وتوزيع عدد آخر من « دست » المراهقين الآدميين لم يرد حتى ذكرهم على ألسنة الشهود — مما يقرب من ثلاثين أو أربعين مراهقاً ، فهو لم يكن يذكر على وجه الدقة . وحسبما علمت ، فقد أدى هذا الأمر بجميع سكان هانوفر تقريباً إلى اتباع نظام تغذية نباتى لبضع سنوات بعد ذلك » .

وينطوى تعليق المراسل على نقطتين رائعتين ، وهما ولا شك أهم عاملين لتفسير هذه الأقصوصة البشعة .

١ — فالأقصوصة تعبر بصورة أساسية عن التدهور الشديد الذى أصاب الحياة الاقتصادية والخلقية فى برلين ، وهو التدهور الذى جاء نتيجة سلسلة من الكوارث التى لم يسبق لها مثيل : تعذيبات وحشية ، غارات مدمرة ، مجاعات ، هزيمة . وكلما أمعن التدهور الاجتماعى فى القسوة ، أوغلت الإشاعات فى الوحشية — « إنه كان من الصعب فى تلك الأيام فى برلين أن يتصور الإنسان استحالة أمر كائناً ما كان حظه من الفظاعة » . وتشتد قابلية الناس للإيحاء لأن حياتهم العقلية « خلوة تماماً من المراسى » . وإذا كانت بعض أشياء غير معقولة قد حدثت ، فلم لا يحدث غيرها ؟

٢ — وعامل « الإشاعة » يبرز عريضاً فى الأفق . فأهل برلين تشغلهم على الدوام مسألة الطعام ، تماماً كما تشغلهم مسألة حياتهم المعرضة للأخطار . والاستهانة بقيمة الحياة البشرية ، والفظائع البشعة التى ذاقتها الأبدان (فى معسكرات الاعتقال وفى الغارات) إنما تكون جانباً ينضاف إلى سياق المدركات المباشرة . وهذا الإطار العام ، هذا القاع الدموى للاهتمام ، قد وجد ما يعززه فى إحدى الذكريات المتميزة بأكل لحم البشر ، ذكر وحش هانوفر . وهذه القطعة من التاريخ المقابرى تمثل « النواة » الوحيدة الحقيقية التى توجد فى الموقف كله ؛ ولكن هذه النواة لا توجد فى الحادث الذى هو « العبارة المقدمة للتصديق » (والذى لقى الكثير من التصديق بالفعل) ، وإنما توجد فى السياق الإدراكى الذى تم بالنسبة إليه إساغة القصة .

وأن ما حدث هو أن الأحداث الجارية والماضية قد « تكثفت » و « تأقلمت » .

وبالإضافة إلى هذين المبدأين الأساسيين من مبادئ الإشاعة فإن أقصوصة برلين تنطوى على مبادئ أخرى :

٣ — فمن الواضح أن المعادلة الأساسية للإشاعة تصدق فى هذه الحالة . فالطعام وأمن الحياة موضوعان يتسمان بأقصى « الأهمية » عند السكان المنكوبين ، وإن اضطراب وسائل الاتصال فى المدينة مع انهيار صرح القيم الخلقية لما يخلق موقفاً بالغ « الغموض » ، فيه « يمكن أن يحدث أى شيء » .

٤ — وتضطلع الأقصوصة بوظيفة سيكولوجية ، فتفسر وتخفف انفعالات القلق الشائعة والمتصلة بجودة الطعام ، وأمن الحياة . وهذان الضربان من القلق «ينصهران» معاً ، فى هذه الظروف ، فى عقل المستمع للإشاعة . والقصة تضطلع أيضاً بتبرير المخاوف الفردية ؛ وفى اشتراك الناس فيها ما يضعهم ضمن مجال « التعاطف » ، « والمعاناة » .

٥ — والقصة ، على الرغم مما يسميها من طابع أسطورى ، تنطوى على « استرسال جيد » ، ومنطقية خداعة ، مما يعين الناقل والسامع فى «السعى وراء معنى» . وضحية الذبح الإجرامى تصورها الإشاعة على أنها ممتلئة ، وعطفها على الوغد « الأعمى » ، وبؤسه المصطنع ، لما يستثير الدوافع ويحرك الأشجان . ومع أن هذه القصة مسرفة الطول بالنسبة إلى معظم الإشاعات ، فإنها تتميز « بإبراز درامى » ، وتعززها كثرة من التفصيلات العيانية والملابسات الموقفية ، التى وإن بدت محبوكة ، فإنها مساغة جيداً بالنسبة إلى الموضوع الرئيسى .

٦ — وبحسب رأى المراسل فإن هذه الإشاعة واسعة الانتشار بدرجة مسرفة ، وتكاد تلقى التصديق من الجميع . فهى لا تقتصر على جمهور إشاعة محدد . ولقد أدت هيمنة القلق والانشغال بالطعام إلى أن تصبح القصة عملة — إشاعة صالحة لأن يتداولها الجميع ، وذلك لأن السكان ، من زاوية الاهتمامات الكامنة ، يمثلون كياناً متجانساً .

٧ — والشذوذ المسرف فى هذه القصة يكسبها جاذبية انفعالية خاصة . ولم يكن لها على الإطلاق أن تجد لسريانها بيئة اجتماعية أنسب من هذه ، حيث يبلغ الجوع

والخوف أقصى درجة. فالشذوذ موضوع يرتبط بأعمق مشاعر القلق البشرية : مخاوف الألم والموت والمخاوف المستسرة الموجودة عند الجميع . فعندما تهيمن الظروف الاجتماعية السوداوية ، تصبح أقاصيص الشذوذ موضوعاً رئيسيًّا للإشاعة . فعن طريقها يتم تخفيف وتبرير وتفسير الانفعالات القائمة .

الحالة (٢)

فى أعقاب الزلزال الذى وقع فى سان فرانسسكو فى ١٨ أبريل ١٩٠٦ ، اجتاحت المدينة فى التو أكثر الإشاعات وحشية . ولقد روى جو تشامبرلين أربعاً منها فى جريدة صاندى صن ببلتيمور (بتاريخ ٣١ مارس ١٩٤٦) . وهى كما يلى :

(ا) إن موجة قد غمرت مدينة نيويورك فى نفس لحظة زلزال سان فرانسسكو .

(ب) إن مدينة شيكاغو قد انزلقت وغاصت فى بحيرة متشجان .

(ج) إن الزلزال قد تسبب فى انطلاق الحيوانات من حديقة الحيوان ، وأنها تفترس اللاجئين فى جولدن جيت بارك .

(د) إن بعض الرجال قد عثر فى جيوبهم على أصابع نسائية بخواتمها ، إذ لم يسمح الوقت بنزع الخواتم . وفى هذه الأقاصيص كانت الغيلان تتدلى مختنقة « دائماً » عند أول عمود من أعمدة النور .

التعليق : قد يتساءل القارئ المتشكك عما إذا كانت الإشاعات التى تعاد روايتها بعد أربعين عاماً من سريانها لا تتعرض لعمليات إضافية من « الإبراز » الجسيم ، ولأشكال أخرى من اللوى خلال الوقت المنصرم . ولعل من الأمثلة على ذلك كلمة « دائماً » فى الإشاعة (د) . وليس من شك فى أنه من الصعب أن نبرهن على أن هذه الروايات المتصلة بالغيلان كانت تنتهى ، دائماً أبداً آخر الأمر ، بعدالة عاجلة . ومهما يكن فمن الثابت أن الإشاعات التى سرت عقب الكارثة قد تم تسجيلها فى ذلك الوقت ؛ ويمكننا أن نفترض ، لأغراض تتصل بالتحليل الذى نضطلع به ، أنها لم تكن تختلف كثيراً عن الصيغ التى أوردناها هنا .

١ — ثمة مبــدأ واضح يتضح فى هــذه المجموعة من الأقاصيص ألا وهو

« خصوبة الإشاعة » . ولقد تآمرت « الأهمية » القصوى مع « الغموض » الفسيح فى خلق الإشاعات الوحشية ، الواحدة تلو الأخرى ، والتى كان الكثير منها لا ينطوى إلا على تباين طفيف بالنسبة إلى البعض الآخر . وسلسلة التداعى فى غاية البساطة : مدينة كبيرة قد دمرت ، فلم لا . . غيرها ؟ وتعمل الخصوبة على « الإبراز » عبر « تكثير » للكوارث .

٢ ـــ والجمهور المضطرب يحاول أن يقيس « أهمية » الحادثة كوجه من أوجه « السعى وراء معنى » . ولقد نجحت الإشاعات فى المهمة التى تكاد أن تكون مستحيلة ، مهمة التهويل فى آثار الكارثة . ومع ذلك فمن وجهة نظر « تقويمية » تعبر هذه الإشاعات بدقة عن الدلالة الحميمة للحادثة ، وكأنها تقول بأسلوب مجازى « لا يمكن للأمور أن تكون أكثر بشاعة ! » فأما وقد فقد الناس مساكنهم بل وأحياناً أحباءهم ، فإنهم أبرزوا مشاعر قلقهم وأساهم بإضافة الوحوش الكاسرة أو الغيلان وتخريباتها ، وإسباغ الدمار على مدينة أو مدينتين إضافيتين . ومن خلال هذه الإضافات التجميلية يتم التصوير المجازى للإحساس المكتمل بالكارثة .

٣ ـــ والناس أيضاً فى « سعيهم وراء معنى » يستنبطون أشياء كثيرة ، وبعضها معقول . ومن أكثر هذه الاستنباطات معقولية القول بأن الزلزال قد أتاح للحيوانات أن تهرب من حديقتها (الإشاعة ج) . وليس فى وسعنا الآن أن نعرف ما إن كانت ها هنالك نواة من الحقيقة تسند هذه القصة . ولكن حتى لو افترضنا أن بعض الأقفاص المهشمة قد أتاحت « لبعض » الحيوانات أن تهرب ، فمن المرجح أن كثيراً من العبارات الوصفية قد تعرضت إبان تناقلها لعملية « تسوية » . أما المدى الذى بلغه انطلاق الحيوانات فقد انتابه « الإبراز » ؛ ويبدو من المحتمل أن « التكثيف » هو المسئول عن المصير البشع للاجئين . كانت الحيوانات فى جولدن جيت بارك . وكان اللاجئون فى جولدن جيت بارك . ولقد تم التكثيف بوضع الأخيرين فى أفواه الأولين . والخيال (فى الإشاعات كما فى الأحلام) كثيراً ما يوحد الأحداث المنفصلة ، فيستخلص من الكثرة البساطة ، ويستخلص من العماء نظاماً خداعاً .

٤ ـــ وشنق الغيلان (الإشاعة د) يمثل « خاتمة أخلاقية » و« انتقاماً أخيوليًّا» .

فالإحباطات الغامرة التى تولدت عن الكارثة لم تكن مسئولية شخص ما . وكان الغول ، ناهش الجثث ، هو « كبش الفداء » الوحيد المتاح فى مصيبة قدرتها المشيئة الإلهية .

٥ – وإشاعات الهلع من هذا القبيل تناظر المرحلة الرابعة من إشاعات الشغب . فليس من شىء يعلو فى وحشيته على التصديق ، شريطة أن يفسر أو يخفف على نحو ما من الهياج السائد . ولكن على خلاف إشاعات الشغب ، فإن أقاصيص الهلع تنطوى على مراحل سابقة لإقامة صرحها ، اللهم إلا أن يكون الهلع نفسه تدريجيًّا فى تطوره – وهو موقف غير مألوف .

٦ – وكما هو الحال فى إشاعة برلين ، ليس هنالك أيضاً فى هذه الحال أى دليل على وجود سلاسل إشاعة . فالكارثة قد خلقت وحدة اهتمام كلية ، إلى حد أننا نستطيع أن نتخيل أى واحد من السكان الأحياء بعد الكارثة وهو يروى هذه الأقاصيص لغريب بمعنى الكلمة . وعلى أية حال فإننا لا نستطيع أن نتخيل بعض أهالى نيويورك أو شيكاغو على أنهم يصدقون قصص الدمار الذى أتى على مدينتهم فقد كان للسكان فى كل من المدينتين من معايير الصدق الوفيرة الخاصة بهم ما يجعل هذه الأقاصيص مستحيلة . ومن المشكوك فيه أيضاً أن تكون الصحافة قد نشرت أية إشاعة من هذه الإشاعات التى يمكن التحقق من أمرها بسهولة . ولكنها نشرت الكثير من الأقاصيص التى لا يمكن التحقق من صدقها « استناداً إلى السماع » وحده ، والتى لقيت التصديق فى جميع أرجاء البلاد ، وذلك إلى أن توقف الزلزال عن أن يكون موضع اهتمام أساسى .

٧ – ونستطيع أن نتخيل « الامتياز » الذى يكلل الراوى لمثل هذه الأقاصيص البشعة . لقد كان الشعب كله فى حالة اضطراب ، يتطلع فى شغف إلى الأنباء من أى نوع . وما أن تكشفت الخطوط الهيكلية للكارثة ، حتى تكشف النهم إلى تجميع التفصيلات لحشو الصورة ؛ وكان الجار الذى يقدم آخر « نتف » من الأنباء يلقى الترحيب والإنصات الشغوف .

الحالة (٣)

انتشرت فى بريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى قصة تتعلق برجل إنجليزى كان يستحم فى « القنال » . كان يلبس لباس استحمام استعاره من رجل أمريكى . وعلى أعلى اللباس كانت هذه العبارة منقوشة بالتطريز : « أمريكا كسبت الحرب » . قال صديق على الشاطئ للرجل الإنجليزى : « أفلا يجدر بك أن تكون على حذر من سمك القرش» . فأجاب الرجل الإنجليزى ، مشيراً إلى العبارة المطرزة على لباسه « لاعليك فأنا لست بخائف . إن سمك القرش ليعاف « ابتلاع » هذه الشارة ! »

وفى أمريكا وخلال الحرب العالمية الثانية ، انتشرت القصة تتحدث عن أمريكى يتهيأ للسباحة على شاطئ ميامى . وكان قد استعار لباس الاستحمام من رجل إنجليزى وحين حذره البعض من سمك القرش أجاب قائلا : « لا تشغل بالك ! فإن سمك القرش يعاف « ابتلاع » هذه الشارة » ؛ قال ذلك وهو يشير إلى العبارة المطرزة على لباسه والتى تقول : «ستبقى إنجلترا أبد الدهر » .

التعليق : إننا ها هنا — بلا مجاز ولا تورية — أمام ما يسميه بايسو « إشاعة غاطسة » . (انظر تصنيف الإشاعات ، فصل ٩) . لقد غاصت الإشاعة فى هذه الحالة فى المحيط الأطلسى لتطفو عند شطئان قارة أخرى بعد جيل من وقت ظهورها الأول . وفى خلال رحلتها قلبت الإشاعة اتجاه « الملحة الراغبة » وأبدلت بفريسة سخريتها فريسة أخرى .

١ — كل الإشاعات الغاطسة تتوقف موجات ظهورها المتعاقبة على عودة ظهور شروط سيكولوجية مماثلة . ولقد كانت الظروف فى الحربين العالميتين وثيقة الشبه . فارتباط البريطانيين والأمريكيين كحلفاء جعل من المحتم عليهم أن يعانوا معاً نفس المصير فى مناسبات مختلفة . وحتى الأفراد الذين لم يكونوا على وفاق فى نظرتهم بعضهم للبعض الآخر ، بل وربما كانوا يعتزون بأحكام قبلية جد مناهضة للشعب الآخر ، كانوا يجدون أنفسهم مضطرين للإسهام فى نشاط مشترك . وفى إعارة لباس الاستحمام ما يرمز للطابع الحميم للصلات ، وما يكشف عن درجة من المشاركة والألفة تنكرها الفكرة الأساسية للإشاعة ذاتها . ومن الخصائص الطريفة لهذه القصة أنها تعبر عن

ثنائية المشاعر ، عن علاقات المودة الحميمة والعدائية معاً ، ما بين الشعبين الحليفين.

٢ ــ والقصة بصورة أساسية من النمط العدائى ، وإن لم تكن شديدة الحدة . فالمشاعر الانفعالية التى تعبر عنها القصة ليست هى « الكراهية للآخر » بقدر ما هى تحقير لغروره بنفسه مع شعور بالمنافسة . وعلى خلاف الغالبية من الإشاعات تنطوى هذه القصة على ملحة (وإن كانت سمجة بعض الشىء) . والحق أنها لو لم تكن « ملحة راغبة » ــ تنطوى على رغبة ودوافع ــ لكان من الغريب أن يتاح لها استمرار البقاء ، وذلك لأن درجة الأهمية تعد طفيفة بالنسبة إلى غالبية المرددين . فقليل هم الأمريكيون أو البريطانيون الذين يستشعرون غرابة أطوار الآخرين على نحو من القوة بحيث يعمدون إلى ترويج إشاعات عدائية صريحة . فالقصة تبرز فى صورة « نكتة » ، وحيويتها تعتمد ــ بصورة جزئية على الأقل ــ على الرغبة فى إثارة الضحك عن طريق الغمزة الفكهة فى التورية ، فى كلمة « ابتلاع » ، بمعنى التصديق . فهذه القصة هى من قبيل « الدردشة » التى نلجأ إليها لملء الثغرات عندما يخمد الحديث . أما الإشاعات الجادة والمليئة ضد بريطانيا فإنها على الأرجح تتناول بخباثة مؤامراتها الاستعمارية ، وضلاعتها فى « جر » أمريكا واستخدامها « أداة لتسليك البلاعات » . ومثل هذه الأقاصيص الشديدة العدائية لا تنتشر بالطبع إلا بين هذا الجانب من الجمهرة الأمريكية الذى يتميز بنزعته القوية إلى مناهضة البريطانيين .

٣ ــ وإن الوجه الفكه من هذه القصة لهو من القوة بحيث تجدنا على الحدود الخارجية للإشاعة . ويستطيع القارئ الفطن أن يلاحظ أن هذا المثال لا يساير تعريفنا الخاص ــ «عبارة مقدمة للتصديق» . فالمطلوب من السامع هو أن يضحك ، لا أن يعتقد . والقارئ فى ذلك إنما هو على حق . فبين الإشاعة والفكاهة ليس ثمة من حدود فاصلة قاطعة ، وإن كانت الفكاهة أميل بصورة واضحة إلى مجال « التصنع » ، بينما تميل الإشاعة إلى مجال « الجد » . ومع ذلك ففى هذه الحالة ، كما فى غيرها من الحالات ، يعبر « التصنع » عن عدائية حقة ، تحت قناع من الهزل . فمردد القصة إنما يقول فى أسلوب ينطوى على « التقويم الشاعرى » : « كم هم بلهاء هؤلاء الأمريكيون (أو البريطانيون) المغرورون ؟ » وعلى الرغم من أن هذه القصة لا تعد إشاعة بالمعنى الدقيق فإنها مع ذلك تلعب دور الإشاعة من نواح

عديدة بحيث تستحق أن توضع فى سجلاتنا .

٤ ــ و « الإشاعة » بالنسبة إلى المشهد الشائع تبرز فى وضوح . فإن الذى حدث فى أعقاب الحرب العالمية الأولى فى منطقة استحمام على القنال الإنجليزى لم يكن مهماً بالنسبة إلى الجمهور. ومن ثم فإن القصة الوقورة تقدم فى إطار حديث، وهكذا تتم « أقلمتها الزمنية » .

الحالة (٤)

إن الإشاعة لا تحترم العلم . وحتى العلم المجرد يأخذ نصيبه من عمليات اللوى والتزييف على نحو ما كشف عنه بصورة مؤسفة الدكتور ج. ج. سمسون Simpson بالمتحف الأمريكى للتاريخ الطبيعى . وهاك عرض لخبرته ، كما يشرحها فى مقال مختصر بعنوان « دراسة حالة لقصة خبر علمى » ، المنشور فى مجلة Science (انظر سمسون ١٩٤٠) . ولقد ركزنا العرض بعض الشىء :

« فى ٢١ أغسطس من عام ١٩٣٧ ، أصدر المتحف القومى للولايات المتحدة كتيباً قمت بتحريره ، وعنوانه :

The Fort Union of the Crazy Mountain Field, Montana, and its Mammalian Faunas.

وهذا المؤلف المشتمل على ٢٨٧ صفحة ، والمتميز بطابعه الفنى المسرف ، يضطلع بالوصف الجيولوجى والحفرياتى للطبقات العليا والوسطى من العصر الباليوسينى بمونتانا الوسطى . وكما هى العادة ، فقد سلم موظفو المتحف إلى رجال الصحافة ملخصاً غير فنى لهذا المؤلف : إنه ملخص بالغ الدقة ، وهو مع ذلك يسير الفهم ، عنى بتجنب أى ادعاء مثير أولبس فى الصياغة . ويتعلق ما يقل عن ربع هذه الخلاصة بأقدم ما عرف من الحيوانات العليا المطمورة ضمن الحفريات التى جاء وصفها فى الكتيب . ويلح الكتيب ، وكذا الخلاصة الصحفية الأصلية ، على أن هذه الحيوانات العليا لا تدخل ضمن الخط المباشر للحيوانات العليا المعاصرة أو الإنسان ، وإنما هى نماذج ممعنة فى القدم للجماعة الواسعة للثدييات . كذلك أشار كل من الكتيب

والخلاصة إلى أنني لست الذى اكتشف هذه الحيوانات العليا القديمة . وأرسل قسم المقتبسات إلينا بالصيغ المختلفة لهذه القصة حسبما ظهرت فى ٩٣ صحيفة مختلفة من « مين » إلى « كاليفورنيا » .

« وحتى فى الحالات التى طبعت فيها الخلاصة بأكملها فقد اندست بعض الأخطاء . ومن بين هذه الأخطاء أن الحفريات المعنية ترجع فى قدمها إلى سبعين مليوناً من السنين مما ينطوى على مبالغة مسرفة . كانت العناوين فى وضع عادى ، وإن كانت كلمات Butte و Montana و Standard تمتد بعرض ثلاثة أعمدة . وجاء أيضاً : « جبال كريزى بمونتانا تسجل كمهد للحياة الحيوانية التى ينتسب إليها الإنسان » ، بما يتخطى حدود الزيف ليمعن فى الإسفاف .

« ولقد اتخذت الأسوشيتدبرس الخلاصة أساساً لرسالة كتبت من جديد ، تنطوى على كثير من التعديل ، بعثت بها فظهرت فى أربع وثلاثين صحيفة . ويتحدد لون هذه الرسالة من عبارتها الأولى : « ليس الإنسان من سلالة القردة ، وإنما هو على الأرجح خليفة حيوان من قطنة الأشجار طوله أربع بوصات ، هو الجد الأعلى لجميع الثدييات الكائنة اليوم على الأرض » . وتمضى الرسالة فتوحى بأننى ذهبت إلى القول بأن الإنسان يرجح أن يكون قد نشأ فى الأصل فى غرب الولايات المتحدة لا فى آسيا . وقد تخطى محررو العناوين حدودهم فى هذه الصورة للقصة :

القرد أصل الإنسان ؟ أم الفأر ؟

صحيفة Union بسكرمنتو ، كاليفورنيا

حيوان من قطنة الأشجار ، طوله أربع بوصات ، هو الجد الأول للإنسان

صحيفة Times بشريفبورت ، لويزيانا

دراسة الثدييات تكشف عن نظرية جديدة فى التطور

نيوبورت نيوز ، فرجينيا برس

« وتكرار ذكر الفئران والجرذان فى الصور المختلفة إنما هى مسألة عارضة ترجع

إلى القول بأن بعض هذه الثدييات الباكرة كانت فى حجم الفئران . وبديهى أنها لم تكن فئراناً ، ولم يكن هنالك من عبارة مماثلة فى الخلاصة الأصلية .

« ويبدو أن أربع صحف لا غير هى التى اضطلعت بتحرير عرضها الخاص . واثنتان منها — ككثيرات غيرها مما استعانت بوكالات الأنباء المعتمدة — ذهبتا إلى أننى مكتشف الحلقة المفقودة .

« ولقد خمدت هذه الزوبعة فى أكتوبر من عام ١٩٣٧ ، فتنفست الصعداء ، وبدأت أسترجع فهم الصحف لما قلته . وفى ١٨ أبريل من عام ١٩٣٨ نشرت صحيفة « الليدر » بجلوفرز فيل (نيويورك) مقالاعن معرض نادى الموهوك فالى كنل ، أسبغت فيه علىّ (تحت اسم محرف ولكن يسهل التعرف عليه) أننى المرجع الثقة فيما يتصل بوجود كلاب فى مونتانا — منذ ٧٠ مليون عام — تبلغ فى كبرها حجم دببة كودياك . ثم أقامت مدينة أخرى معرضاً للكلاب ، وفى هذه المرة لم يقتصر الأمر على أننى اكتشفت الصنف السالف الذكر من الكلاب ، وإنما قدمت وصفاً لستين نوعاً منها . إنها خصوبة مروعة من الخيال ، إذ أن الخلاصة الأصلية لم تشتمل على أى ذكر لاكتشاف كلاب ، لا كبيرة فى حجم دببة كودياك ، ولا صغيرة فى حجم الفئران . ولو وضعنا فى الاعتبار دور هواة الكلاب والتحريفات الصحفية أجدنى بالتالى قد نعمت بفترة أخرى من الشهرة ، تتعلق فى هذه المرة بأننى المكتشف لكلاب الكودياك القديمة الكبيرة فى حجم الدببة ، والتى ترجع إلى سبعين مليون سنة ، تلك التى لم تعرف الوجود قط ، والتى لا فضل لى فى ابتداعها بأكثر مما لى من فضل فى ابتداع الفئران أصل الإنسان .

« ومن بين ما يقرب من مائة مقال صحفى ، مما وصلتنى حكاياتها آخر الأمر ، كان العشر يتضمن تقارير مما لم تكن على خطأ علمى جسيم ، لا ولا مزعجة لى شخصياً . وبالنظر إلى الحاجة الماسة إلى عرض نتائج الأبحاث العلمية فى المستوى الشعبى ، فإن هذه المسألة تعد جد خطيرة ، على الرغم من مظهرها الفكاهى . فهى تعد نمطية لما لا تزال تتعرض له الأنباء العلمية حتى اليوم ، بل إنها لتنطوى على مغزى ، بل على أكثر من مغزى مما لا يخفى على القارئ » .

التعليق : ١ — إن أول جانب من الجوانب الملفتة للنظر فى هذه الإشاعة « العلمية » ينحصر فى أن « اللوى » يقع بكليته فى مجال المطبوعات . إنها إشاعة « صحفية » توضح جوانب عديدة من الصلة الرثيقة ما بين « لوى » الكلمة المنطوقة و « لوى » الكلمة المطبوعة ، مما سبقت الإشارة إليه تحت عنوان « الصحافة والإشاعة » (فصل ٩) .

٢ — وإذا طبقنا معادلة الإشاعة ، وجدنا أن « الغموض » لصيق بموضوع الإشاعة . فمسألة « أصل الإنسان » ما تزال حتّى بالنسبة إلى الإخصائيين بعيدة عن الحل الحاسم . أما بالنسبة إلى غير الإخصائيين فإن الوقائع ليست إلا أكثر غموضاً ، فليست لديهم أية معايير للتمييز ما بين حنطة الدليل وقش التخيل . وعلى الرغم من أن المشكلة ليست خطيرة الشأن من الزاوية الشخصية ، فهى ولا شك مشكلة قديمة الأهمية . ويعد افتقار الخلاصة الأصلية التى سلمت إلى الصحافة افتقاراً شديداً إلى « الأهمية » ، الحقة ، بمثابة المفتاح المفسر لهذا النوع من « اللوى » الذى حدث . فالخلاصة الأصلية ليس فيها ما يتعلق من قريب أو بعيد بأصل الإنسان ؛ ولكن كيما تبدو القصة جديرة بالنشر فقد كان على مراسلى الصحف ، ومحررى العناوين أن يربطوها بأصل الإنسان ، وهو الموضوع الذى ينعم « بأهمية » متصلة . فقيمة الخبر ، كقيمة الإشاعة ، إنما تتطلب صورة تتلاءم مع بعض أجهزة الاهتمامات عند الشخص . وينتج « اللوى » بالضرورة من محاولة إرغام الوقائع الموضوعية ، وحشرها فى قالب من الاهتمامات القائمة من قبل . وتم تصوير الباحث وكأنه أدلى بأشياء تساير « توقع » القارئ ؛ ومن هنا كانت مسألة أصل الإنسان لأنها الموضوع الوحيد المتاح للأفهام ضمن الحقل الفسيح لعلم الحفريات ، والذى ينعم عند القارئ « بأهمية » ضمنية .

٣ — وفى العرض الشعبى للأبحاث العلمية لا مناص من أن تعانى التحفظات والنعوت العلمية الجافة عملية « تسوية » . ومن ثم يجرد السياق من التعبيرات الدالة على التحذير ، ومن القضايا المنطوية على مجرد الاحتمال . فالمراد هو خلاصة الإسهام العلمى ، بغير ما حذلقة علمية . وثمة مثل واضح على « التسوية » نجده فى القول بأن « الفئران هى أصل الإنسان » . كانت العبارة الأصلية تقرر أن « الحيوانات

العليا » القديمة موضوع البحث (دون ما ادعاء أنها أصل الإنسان) كانت صغيرة فى حجم الجرذان أو الفئران . وتعرض هذا التشبيه لعملية تسوية .

٤ — وعملية « الإبراز » واضحة . فعمر الحيوانات العليا ، وهو البالغ القدم عندما يقدر فى تحفظ ، قد أطيح به إلى سبعين مليون سنة . كما أن الصلة الواهية بين الثدييات قد عانت الإبراز بحيث استحالت الفقريات الصغيرة لتبدو أسلافاً مباشرة للإنسان ، وتنغرس شجرة التطور بصورة صريحة فى مونتانا على الأرض الأمريكية الطيبة .

٥ — و « الإساغة » تتضح فى أشكال مختلفة . فالكليشيه اللغوى ، ونعنى « الحلقة المفقودة » قد أفسح له المجال فى قصة تتصل من بعيد بالتطور . وكذلك تتضح بجلاء الإساغة بالنسبة إلى التوقع ، وإلى العادات اللغوية ، وإلى الاهتمامات . وهواة الكلاب قد اضطلعوا بإساغة القصة كلها بالنسبة إلى اهتماماتهم السلالية عن الكلاب . وهذه الصورة الخاصة تلقى الإبراز عن طريق « التكثير » ، ومن هنا كان الحديث عن « ستين نوعاً » لتلك العائلات الوهمية لأسلاف الكلاب . والإبراز ، من زاوية « الحجم » يتم عن طريق « استيراد » التعبير : « كبيرة فى حجم دببة كودياك » .

٦ — وإدخال العبارات من قبيل « الحلقة المفقودة » ، و« دببة كودياك » ، و« القرود الأسلاف » ، و« نظرية التطور » — وكلها نتاج عملية إساغة بالنسبة إلى التوقع وبالنسبة إلى العادات اللفظية — إنما يوضح أيضاً ما فى الإشاعة من ميل إلى « مسايرة العرف » . والفولكلور الشائع والأقوال الشعبية إنما تفعل فيما يبدو فعل المغناطيس فى اجتذابها « العبارات المقدمة للتصديق » ، وجدولتها فى فئات محدودة من القنوات . وهكذا تصبح « الإشاعات العلمية » كغيرها من الإشاعات مدعمة بطابع « المألوف » .

٧ — وينتحب الباحث أسى أن أغلظ صور القصة قد نسب إليه « تحت اسم خاطئ ، وإن كان قريب الشبه بالاسم الحقيقى » . وتذكرنا شكايته بالمبدأ القائل بأن أسماء الأشخاص هى من أكثر الأشياء تعرضاً « للوى » . وتكشف هذه الحالة أيضاً عن عدم ثبات الوقائع المتعلقة بالوقت والعدد .

الحالة (٥)

والحالة التالية، وترجع إلى الحرب العالمية الأولى ، تتعلق هى الأخرى بالصحافة . ونحن لا نريد أن نوجه الكثير من أصابع الاتهام إلى الصحافة ؛ وكل ما هنالك أن الإشاعات المطبوعة تسمح بالتقصى ، ومن ثم فهى بصورة خاصة ملائمة للتحليل .

فثمة مثل ماهر على « التزايد المطرد لكرة الجليد » فى سلسلة من الأخبار الصحفية ، كشف عنه بونسونبى Ponsonby ونشره فى كتابه : « الكذب فى وقت الحرب » (١٩٢٨) . وإنه لمن النادر أن يوفق باحث على هذا النحو فى تحديد المراحل المتعاقبة فى تحور الإشاعة . والنصوص مأخوذة عن الصحافة الأوروبية ، وتتعلق بسقوط أنتورب (انفرس) فى أيدى الجيش الألمانى وذلك فى نوفمبر من عام ١٩١٤ .

« عندما عرف خبر سقوط أنتورب دقت أجراس الكنائس (أى فى ألمانيا) . « كولنيش زيتونج » .

* * *

« بحسب ما ورد فى الكولنيش زيتونج فإن كهنة أنتورب قد أرغموا على دق أجراس الكنائس عندما سقطت القلعة » . صحيفة الماتان .

* * *

« بحسب ما استقته صحيفة الماتان من كولونى ، فإن الكهنة البلجيكيين الذين رفضوا أن يدقوا أجراس الكنائس عند سقوط أنتورب قد فصلوا من وظائفهم . « صحيفة التايمس » .

* * *

« بحسب ما استقته صحيفة التايمس من كولونى عن طريق باريس، فإن الكهنة التعساء الذين رفضوا دق أجراس الكنائس عند سقوط أنتورب قد حكم عليهم بالأشغال الشاقة . « كوريبرى دلاسيرا » .

* * *

« بحسب الأنباء التى وردت إلى صحيفة الكوريبرى دلاسيرا من كولونى عن طريق لندن ، فقد ثبت أن غزاة أنتورب البرابرة قد عاقبوا البلجيكيين التعساء على رفضهم البطولى دق أجراس الكنائس بتعليقهم ، ورؤوسهم إلى أسفل كمطارق حية للأجراس . « صحيفة الماتان » .

التعليق : ١ ـ هذه الإشاعة ، وهى أنموذج للإشاعات « الغولية » فى وقت الحرب ، فإنما نشأت من « الغموض » الأساسى والأهمية الانفعالية لموقف الحرب . (وكثير من « إشاعات الكراهية » وقت الحرب تتجه كما بينا من قبل لا إلى العدو وإنما إلى جماعات محلية من المواطنين يتخذون كموضوعات بديلة للعدائية المزاحة) . وفى هذه الحالة التى نحللها يتم « تبرير » كراهية ألمانيا فى مجرى الإشاعة بطريقة أخاذة .

٢ ـ ولب الحقيقة الأصلية جد بسيط ، ينحصر فى واقعة يمكن التحقق من صحتها ، ومؤداها أن أجراس الكنائس قد دقت فى ألمانيا احتفالا بالاستيلاء على أنتورب . ولكن هذا اللب قد ضاع أثناء إساغته بالنسبة إلى الكراهية القائمة من قبل ، وبالنسبة إلى « التوقع » بأن الألمان فى أغلب الأحوال يرتكبون الفظائع .

٣ ـ وخلال النسخ المتسلسلة كلها ، تبقى أجراس الكنائس (وهى « رمز » مألوف) كمركز اهتمام ، يتزايد إبرازها فى الصور المتعاقبة للإشاعة ، إلى أن يتم تزويدها فى النهاية بمطارق بشرية . ويتضح الإبراز أيضاً فى أن الكهنة قد عوقبوا أولا بفصلهم من أبروشياتهم ، ثم بالأشغال الشاقة ، وأخيراً بأسلوب مروع وخيالى من الإعدام .

٤ ـ والإشاعة إذ تبدأ بذكر أجراس الكنائس ، فإن استيرادها « للكهنة » إنما يعد تداعياً آلياً معقولا بفعل التلازم . وهكذا تتضح عملية « الإساغة المعرفية » و « الإساغة الدوافعية » على السواء .

٥ ـ ولعل أهم انحرافة فى هذه السلسلة المتعاقبة من صور الإشاعة قد حدثت مباشرة إثر صدور النبأ « الأصلى » فى صحيفة الكولنيش زيتونج. وكانت هذه الصحيفة ، التى تصدر فى كولونى ، تعتبر من المسلم به بأن « ألمانيا » هى المكان الذى دقت فيه أجراس الكنائس . ولكن المحرر الفرنسى قد نقل مكان الأجراس إلى « بلجيكا » . وهذه الانحرافة الكبرى (التى دعت إلى إقامة « تبرير » كيما يفسر

دق أجراس الكنائس فى بلد منهزم) نقول إن هذه الانحرافة شبيهة بأشكال اللوى التى تنبثق أحياناً بفعل « إساءة فهم » غير مقصود للألفاظ . فإنه متى حدث سوء فهم للألفاظ فتمخض عن موقف من « الغموض » فمن الممكن أن يعين ذلك على إطلاق تبريرات دوافعية وغير دوافعية .

٦ — وفى الأقاصيص من هذا النوع تبرز عملية « الإسقاط المتمم » . فسفالة الألمان تبرر (عن طريق التتميم) الكراهية التى نستشعرها إزاءهم . وإمكانية « الإسقاط المباشر » أيضاً لا يمكن استبعادها . فإن ما « يرغب » الحلفاء فى إيقاعه بالألمان لا يختلف ، كثيراً عما « يرغب » الألمان فى إيقاعه بالحلفاء . ولكن لما كان من المفترض أن الألمان — لا الحلفاء — هم الذين يرتكبون الفظائع ، فإن الموقف ينطوى على فرصة ذهبية بالنسبة إلى الحلفاء « للإفلات من مشاعر الإثم » المتعلقة بعدائيتهم السادية المكبوتة .

الحالة (٦)

انتشرت الأقصوصة التالية أثناء زيارة مدام شيانج كاى شيك لأمريكا عام ١٩٤٣ . وقيل — فى أغلب الأحوال — أن مسرح الحادث هو مدينة بلتيمور . تروى القصة أنه ذات يوم دخل جنتلمان محل مجوهرات ، وطلب إلى البائع ساعة بخمسمائة دولار . ولم يكن لدى البائع مثل هذه البضاعة الباهظة الثمن ، ولكنه استطاع فى نهاية الأمر أن يجد بعض ساعات الحائط الممتازة الصنف وقدمها لعميله ليختار من بينها . ولقد انتقى العميل ما قيمته ٧٠٠٠ دولار من الساعات والمجوهرات . وعندما سأله صاحب المحل عن الطريقة التى سيتم بها الدفع أجابه بأنه سكرتير مدام شيانج ، وطلب إليه أن يحتسب هذه المشتريات من حساب الصين فى « الإعارة والتأجير » .

التعليق : هذه الإشاعة أنموذج من الإشاعات « داقة الأسافين » فى الحرب العالمية الثانية ، والتى كانت تستهدف عزل الولايات المتحدة عن حلفائها . لقد كانت مثل هذه الأقاصيص هى التى أقضت مضجع رجال الحكومة الأمريكية . (ومن نفس الطابع الأقصوصة القائلة . بأن الروس يستخدمون زبد « الإعارة والتأجير »

لتشحيم مدافعهم ، وأن البريطانيين كانوا يستخدمون المعونة فى شراء جوارب النايلون الأمريكية وغيرها من أصناف الترف النادرة ، وبذلك يحرمون مواطنينا من السلع المشتهاة) .

١ ــ تدل الدلائل على أننا ينبغى أن نتوقع لمثل هذه الأقاصيص أن تنتشر فحسب بين جمهور إشاعة محدود . ففضيحة مدام شيانج تجتذب أناساً ممن لديهم حفيظة سابقة ضد الصين ، أو بالحرى ضد حكومة الديمقراطيين فى واشنطون . (انظر إشاعات بيرل هاربور فصل ١) .

٢ ــ وهذه الإشاعة ، شأنها شأن الإشاعات العدائية بصورة عامة ، هى من نتاج « الإحباط » ، مع « إزاحة » للجانب الأكبر من العدائية المتولدة . فنقص السلع فى وقت الحرب كان مصدر مضايقة ، وكانت الضرائب العالية تزيد الطين بلة . فإذا كانت السلع النادرة تتسرب للخارج ، وإذا كان دخل الضرائب تبعثره فى سفه حكومة مسرفة ، فكيف لا نشعر بالضيق ؟ نعم ، ما من شك فى أننا على أتم استعداد للتضحية من أجل الحرب ــ ولكنها ليست الحرب فى نهاية الأمر هى التى نشكو منها ، وإنما نشكو من العجز الفاضح لتلك الفئة من رجال العصور البالية ، و « لذلك الرجل » الجاثم فى البيت الأبيض . فالإشاعة تمثل « انصهاراً » ذكياً لمشاعر النفور والإحباط ، وتعمل على تفسير وتبرير خصوماتنا السياسية .

٣ ــ ومن الممكن أن ينطوى الدافع على « الإفلات من مشاعر الإثم » . ففى عجيج الحرب انغمس كثير من الناس فى الترف الذى كان يستحيل عليهم ممارسته فى وقت السلم ، والذى كان لا يتمشى مع ما تقتضيه الحرب من تضحيات ، ومن شراء لسندات الحرب . ولكن إسرافاتنا الضئيلة يمكن فى سهولة أن نتجاوز عنها ونغفرها بالقياس إلى التمادى الصارخ من جانب شخصية من أبرز « الشخصيات وقت الحرب » تبدد بفجور اعتماداتنا القومية فى شراء أشياء مترفة بدرجة خيالية .

٤ ــ ومن المحتمل أن يكون هنالك عنصر « إساغة » بالنسبة إلى المعتقد الواسع الانتشار المتعلق بالتبذير وفساد الذمة عند كبار الرسميين فى الصين . ولكن هذا العامل ، بفرض وجوده ، يظل ثانوياً ، وذلك من حيث أن الضحايا الذين تستهدفهم الإشاعة هم بصورة أوضح « الملوثون » من الرسميين الأمريكيين .

٥ – ونجد استخدام طابع « التجسيد العيانى » ليسبغ على القصة احتمال الصدق . ومن ذلك تحديد المبالغ بـ ٥٠٠ دولار و ٧٠٠٠ دولار ؛ وهذه الحالة تشبه أقصوصة برلين التى أسهبت فى الوصف التفصيلى لملابس الوغد الأعمى والشارع الذى وقعت فيه الحادثة . وينحصر جانب من عملية التبرير (التعقيل) فى إحاطة الموضوع بالهالة الزائفة للتفاصيل .

٦ – وعلى الرغم من أن مسرح القصة لم يكن يقدم دائماً على أنه بلتيمور ، فنحن نعلم مع ذلك أنه متى تحدد المسرح ، فإن « اللافتة » التى تلصق على الحادثة (وخاصة عندما تتصدر اللافتة القصة ، ومن ثم تستثمر أثر « الأولوية ») تميل إلى أن تبقى ثابتة . (راجع الإبراز فصل ٥) .

٧ – فلو أن القصة قد رويت دون ذكر اسم مدام شيانج لما تغيرت وظيفتها الأساسية . ولكن تخصيص شخصية مشهورة إنما هى وسيلة شائعة « لتشخيص إشاعة » ، و « إساغتها » بالنسبة إلى موضوع شائع ومألوف يحظى باهتمام عام .

الحالة (٧)

ولدت الحرب إشاعة عن الإشاعة . ففى وقت ما انتشر القول بأن الحكومة قد أصدرت تشريعاً يعاقب كل مروجى الإشاعة . وتذهب هذه الأقصوصة إلى أن الأشخاص الذين تثبت عليهم تهمة ترويج الإشاعة يتعرضون لغرامة قدرها ١٠,٠٠٠ دولار أو للسجن .

التعليق : ١ – لعل أبرز مبدأ يسند هذه الإشاعة المروعة بعض الشىء هو مبدأ « الإساغة » . كان هنالك فى سجلات القوانين قانون خاص بالفتنة هو جزء من « مجموعة القوانين الفيدرالية » . وهذا القانون ، وهو يحظى بإعلان واسع النطاق فى وقت الحرب ، يعاقب بغرامة لا تتجاوز ١٠,٠٠٠ دولار أو بالسجن على نشر الأخبار التى من شأنها أن تعرقل نجاح المجهود الحربى . (ونلاحظ أن التعبير « لا تتجاوز » قد تعرض لعملية « تسوية » . وبسبب الحملة الخاصة بأمن المعلومات وبسبب الاهتمام الشديد الذى أولته عيادات الإشاعة لخطر التقولات فقد أصبح

الجمهور واعياً متنبهاً لمشكلة الإشاعة ، ومن ثم فقد اضطلع فى يسر « بإساغة » « الدردشات » البريئة نسبيًّا ، والمنتشرة فى كل مكان ، بالنسبة إلى قانون الفتنة ذاته . وواضح بطبيعة الحال أن هذا القانون لا ينطبق إلا على مروج للإشاعات من نوع خاص شديد الخطورة (يحتمل أن يكون عميلا للمحور) .

٢ — ولكن مثل هذه التمييزات القانونية كانت تتخطى أفهام الغالبية من الناس . فالموقف بالنسبة لهم شديد « الغموض » ، وذلك لأن عامة الناس يجهلون المعايير الدقيقة فى مجال التشريع .

٣ — والمسألة على جانب من الأهمية ، وذلك ليس فحسب لما نعمت به الإشاعة من انتشار ، ولما ينطوى عليه وقت الحرب من شعور عام بعدم الأمن ، ولكن أيضاً بسبب مشاعر الإثم التى كان يعانيها ولا شك كثير من المواطنين الأمريكيين المخلصين لكونهم من « حاملى التقولات » الهينة الخطرة . فإذا كان مروج الإشاعة العادى يعلم أن أحاديثه المفلوتة لم تكن لتخدم وطنه ، فقد كان من المحتمل أن يتخيل العقوبة لنفسه . وحتى فى الحالات التى لم تكن فيها الإشاعة تضطلع بالتنفيس على هذا النحو الخاص ، فقد كانت تعبر بصورة « مجازية »، عن جلال ما يستشعره الناس من ضرورة إطاعة التعليمات فى وقت الحرب . ومن الطبيعى أن « تنصهر » مشاعر الخوف والإثم والإجلال بنسب متفاوتة عند مختلف الأفراد .

مرشد فى تحليل الإشاعة :

على القارئ الآن أن يقوم بنفسه بعملية التحليل بالنسبة إلى حالات جديدة ، يختارها لو شاء من الفقرة الختامية بهذا الفصل ، أو من محصوله اليومى من الإشاعة إن كان يفضل ذلك . وفى اضطلاعه بالتحليل قد يجد فى الأسئلة المرشدة التالية ما بعينه . وكلها بلا استثناء تستند إلى المبادئ التى سبق عرضها فى الفصول السابقة . ولا حاجة إلى القول بأن جميع الأسئلة لا تنطبق على كل عينة من عينات الإشاعة . والاستخدام الذكى لهذه الأسئلة يتطلب فهماً دقيقاً ومرناً للتعريفات والمناقشات التى عرضناها من قبل . وأكثر من هذا فإن محلل الإشاعة قد يجد من الضرورى كيما يفسر

إشاعة جديدة تفسيراً ملائماً أنه يحتاج إلى تطبيق بعض المبادئ السيكولوجية أو الاجتماعية التي تتطلبها الحالة ، ولكنها ليست من الشيوع بحيث تجد مكاناً في قائمتنا .

١ — هل الإشاعة « عبارة مقدمة للتصديق » تتعلق بموضوع معين ؟

٢ — هل يفتقر الراوى والسامع إلى المعايير الدقيقة للتثبت من صحتها ؟

٣ — هل يتوفر « الغموض » وتتوفر « الأهمية » ؟ وأى العاملين أكثر بروزاً ؟

٤ — على أى نحو تنطوى الإشاعة على « سعى وراء معنى ؟ »

٥ — هل تقدم الإشاعة تفسيراً اقتصادياً ومبسطاً لموقف بيئى انفعالى أو مربك ؟

٦ — هل تعبر الإشاعة عن توتر داخلى ؟

٧ — وهل يعد هذا التوتر فى صميمه انفعالياً أو غير انفعالى ؟

٨ — هل التوتر قوامه القلق ، أم العدائية ، أم الرغبة ، أم الإثم ، أم الاستطلاع أم غير ذلك من الحالات العقلية ؟

٩ — هل تعد الإشاعة تبريراً لانفعال عند الراوى لا يستطيع أن يتقبله بصورة صريحة ؟

١٠ — ما الذى يجعل الإشاعة تتسم بالأهمية عند الراوى ؟

١١ — من أية وجهة يتيح ترديد الإشاعة تحقيق التنفيس ؟

١٢ — ما هى عناصر التبرير (التعقيل) التى تنطوى عليها الإشاعة ؟

١٣ — هل تنطوى الإشاعة على احتمالات الإسقاط ، المباشر أو المتمم ؟

١٤ — هل تشبه الإشاعة حلم يقظة ؟ وإن كان الأمر كذلك فكيف ؟

١٥ — هل تضطلع الإشاعة بوظيفة الإفلات من مشاعر الإثم ؟

١٦ — هل تنطوى الإشاعة على عدائية مزاحة ؟

١٧ — هل تكسب الإشاعة قائلها ، أثناء ترديده لها ، منزلة ممتازة ؟

١٨ — هل يحتمل أن يكون قولها من أجل إدخال السرور على صديق أو مجاملته ؟

١٩ — هل يحتمل أن تكون الإشاعة من قبيل « الدردشة » ؟

٢٠ ــ هل يمكن الكشف عن نواة الحقيقة التى يحتمل أن تكون الإشاعة قد نبعت عنها ؟

٢١ ــ هل هى إشاعة من إشاعات مركز التطلع ؟

٢٢ ــ هل يحتمل أن يكون هنالك خطأ فى الإدراك فى البداية ؟

٢٣ ــ ماذا يحتمل أن تكون مراحل التفريخ الابتداعى (الغرس الخلاق) ؟

٢٤ ــ هل يحتمل أن تنطوى الإشاعة على عملية تطوير تشكيلى ؟ وإن كان الأمر كذلك فمن أى نوع ؟

٢٥ ــ هل يحتمل أن تكون الإشاعة قد تعرضت للوى فى الأسماء ، أو التواريخ أو الأرقام أو الوقت ؟

٢٦ ــ هل تحتفظ الإشاعة فى تطورها بنفس اللافتة أو المسرح ؟

٢٧ ــ هل يرجح أن يكون قد حدث انحراف تام لموضوع الإشاعة ؟

٢٨ ــ هل تكشف الإشاعة عن عملية « مسايرة العرف » و «الوعظ الأخلاقى» ؟

٢٩ ــ ما الذى يبدو أن الإشاعة تنطوى عليه من أشكال الإساءة بالنسبة إلى الثقافة ؟

٣٠ ــ هل تحمل الإشاعة طابع الأسطورة ؟

٣١ ــ هل يمكن أن تتضمن الإشاعة قلباً للحقائق ؟

٣٢ ــ هل تنطوى الإشاعة على نزعة إلى التندر والملحة ؟

٣٣ ــ هل فى ظروف سريان الإشاعة ما يفسر خصوبتها ؟

٣٤ ــ ما الذى يحتمل أن يكون قد عانى عملية « تسوية » (من العناصر) ؟

٣٥ ــ هل تحتفظ الإشاعة فى إصرار بمستهجنات لفظية أو بأشكال تعبيرية جامدة ؟

٣٦ ــ أهنالك عملية « إبراز » فى صورة « التكثير » ؟

٣٧ ــ هل لعبت الحركة أو الحجم أو الرموز المألوفة دوراً فى عملية الإبراز ؟

٣٨ ــ هل هنالك عملية « تجسيد عيانى » ، أو « عملية تشخيص » ؟

٣٩ ــ ما الذى يمكن أن نجده من مظاهر « الميل إلى الإغلاق » ؟

٤٠ ــ هل تتعلق الإشاعة بالأحداث الجارية ؟

٤١ — هل تضطلع الإشاعة « بأقلمة زمنية » للأحداث الماضية ؟

٤٢ — هل تعبر الإشاعة بصورة أساسية عن نزعات إلى الإساغة من طبيعة عقلية غالبة ، أم من طبيعة انفعالية غالبة ؟

٤٣ — هل جميع التفصيلات تخضع للإساغة بالنسبة إلى الموضوع الرئيسى ؟

٤٤ — هل حدث تكثيف للعناصر ؟

٤٥ — هل هنالك فى الإشاعة ما يدل على الاسترسال الحسن ؟

٤٦ — على أى نحو تتجلى الإساغة بالنسبة إلى « التوقع » ؟

٤٧ — هل هنالك إساغة بالنسبة إلى العادات اللغوية ؟

٤٨ — هل هنالك إساغة بالنسبة إلى المصلحة الذاتية المهنية أو الطبقية أو الأجناسية أو ما إلى ذلك ؟

٤٩ — هل هنالك إساغة بالنسبة إلى الأحكام القبلية ؟

٥٠ — هل من المحتمل أن يستند أي جزء فى الإشاعة إلى سوء فهم لفظى ؟

٥١ — ما هى الدلالة التعبيرية (المجازية) للإشاعة ؟

٥٢ — هل يحتمل أن تمثل الإشاعة انصهاراً للوجدانات الانفعالية ومشاعر النفور ؟

٥٣ — هل من المحتمل أن الإشاعة تنتقل فى « سلسلة إشاعة » ؟ من هو جمهور الإشاعة ؟ ولمَ ؟

٥٤ — هل قابلية الإيحاء عند الناس بالنسبة إلى هذه الأقصوصة بالذات ترجع إلى أن عقولهم « عديمة المراسى » ، أو إلى أنها « جد وثيقة المراسى » ؟

٥٥ — هل يمكن تصنيف الإشاعة فى فئة الإشاعات المروعة ، أم داقة الأسافين ، أم الإشاعات الحالمة ؟ أم — من زاوية أخرى — على أنها إشاعة زاحفة (حابية) ، أم مندفعة ، أم غاطسة ؟

٥٦ — أمن المحتمل أن تكون الإشاعة جزءاً من حملة همس ؟

٥٧ — ما علاقة الإشاعة — إن كانت هناك علاقة — بالأخبار ؟ أو بالصحافة ؟

٥٨ — هل تحمل الأقصوصة لافتة الإشاعة أم الحقيقة ؟ أم تنتسب إلى مصدر مسئول ؟ وما الأثر المترتب على ذلك ؟

٥٩ ــ ماذا يمكن أن تكون خير طريقة لدحضها ؟

٦٠ ــ هل يحتمل أن الإشاعة تمثل مرحلة من المراحل الأربع فى انتشار إشاعة الأزمة (الشغب) ؟

خامات للتحليل :

الحالة (٨)

سرت إشاعة قبل أربع وعشرين ساعة من الوقت المحدد لتسريح وحدة كبيرة من رجال الأسطول ، ومؤدى الإشاعة أن القائد قد أعلن بأن تسريح هؤلاء الرجال سيتأخر أسبوعين وذلك حتّى تفرغ السفينة التى يعملون عليها من مهمتها .

الحالة (٩)

يقال أن الروس « يؤممون » نساءهم .

الحالة (١٠)

كل بضعة سنوات تعاود الظهور أقصوصة مؤداها أن ثعبان بحر قد رؤى فى لوك نيس باسكوتلندة .

الحالة (١١)

فى الأيام الباكرة للحرب انتشرت إشاعة مؤداها أن جزر الفلبين (وأيضاً قناة بنما) قد هاجمها اليابانيون طوال أسبوع كامل قبل الهجمة على بيرل هاربور ، ولكن أخبار ذلك الهجوم قد أخفيت عن الجمهور .

الحالة (١٢)

كان يحدث لكثير من الأسراب قبل الطيران في مهمة قتال أن تتفشى فيها إشاعات مؤداها أن مهمات السرب وأسلحته ليست على ما ينبغي ، وأن الهدف يكاد أن يستحيل على الإصابة ، بسبب الدفاع المضاد للطائرات ، وأن العدو قد توصل أخيراً إلى استكمال سلاح دفاعي جديد مرعب ، ويكاد يكون من المؤكد أنه سيستخدم ضد السرب .

الحالة (١٣)

اعتقد العمال في إحدى المدن الصناعية بولاية نيوانجلند ، إبان أحلك أيام الهبوط الاقتصادي عام ١٩٣٠ ، أن الأغنياء في سياراتهم الفاخرة يدهسون الأطفال الفقراء دون مبالاة ، كما اعتقدوا أيضاً أن الهبوط الاقتصادي برمته إنما هو مؤامرة دبرتها طبقة الأثرياء لتقطع أرزاق العمال . (أوردها لايتون Leighton ١٩٤٥) .

الحالة (١٤)

إبان الحرب الأهلية الأمريكية كان الرأي العام في الشمال يتشكل إلى حد بعيد باعتقاد مؤداه أن عشرات الألوف من جنود « الاتحاد » قد أعدموا عن عمد ، إما رمياً بالرصاص كما في فورت بيلو ، وإما بتجميدهم بالبرد كما في بل إيلاند ، وإما بالجوع كما في أندرسون فيل ، أو بتركهم يموتون بالمرض بملاريا المستنقعات كما في كارولينا الجنوبية . (أوردها بك Buck ١٩٣٧) .

الحالة (١٥)

في مسرحية منرو C.K. Munro وعنوانها « عند مسز بيمز » At Mrs Beams ، انتشر بين نزلاء البنسيون عدد من الإشاعات تقشعر من هولها الأبدان وتدور حول

« لاندرو » الفرنسى ذى اللحية الزرقاء . وتدور الثرثرة على النحو التالى :

يقولون إنه قد قتل عشرات وعشرات من النساء .

وأنه قد أكلهن !

كلا كلا ! فأنا لا أستطيع تصديق ذلك . إننى أشك فى ذلك . إننى أظن أنه دائماً يأكلهن .

حسناً ، على أية حال فإنه قد قتل مئات من النساء .

كلا كلا فلنكن عادلين . ينبغى أن نكون عادلين . فلم يكنّ مئات . بل كن تسعاً وثلاثين . هذا رقم أفضل . نعم نستطيع أن نتفق جميعاً فيما أظن على أن العدد كان تسعاً ثلاثين .

ملحق

معايير للهيئات المضطلعة بالوقاية
من إشاعات وقت الحرب والحد من تأثيرها

(حددت هذه المعايير ووزعتها « لجنة الأمن العام بماساشوستس » بالتعاون مع عيادة الإشاعة التابعة لصحيفة البوسطون هيرالدترافلر) .

أولا : الموظفون :

١ — ينبغي أن يكون الرئيس المسئول عن هذا العمل شخصاً يتسم بالنضج ، وقوة التمييز ، والحكم الصائب .

٢ — ينبغي أن يكون الرئيس المسئول وينبغي أن يكون العاملون معه أيضاً ملمين بسيكولوجية الإشاعة .

ثانياً : المكتب الاستشاري :

من الضروري أن تكون الهيئة الاستشارية متسمة بالكفاءة والنشاط . وينبغي أن تشتمل هذه الهيئة على ثلاثة أنواع من الأشخاص . ولما كانت معالجة الإشاعات غالباً ما تتطلب غير قليل من الأحكام المرهفة ، فمن الأهمية بمكان أن تتوفر من المستشارين ما يسمح بحماية القائم بالتنفيذ ضد مجالات « عماه » الخاص وضد عاداته الفكرية :

١ — مستشارون فنيون : تضم هذه الجماعة إخصائيين نفسيين أو أطباء عقليين . وتعد الدراية بعلم النفس الاجتماعي وبعلم النفس المرضي مدخلا ضرورياً للتأويل المكتمل لما يعرض من ظواهر الإشاعة .

٢ — مستشارون نيابيون : لما كانت هيئات مقاومة الإشاعة غالباً ما تصطدم بمشكلات على جانب من التعقد الدبلوماسي ، فإنه من الضروري الحصول على

تمثيل شامل للمنظمات الدينية والعمالية والأجناسية والثقافية . فكل مظاهر التحزب ينبغي تجنبها .

٣ — مستشارون من ذوى المكانة : هؤلاء الأشخاص يختارون لأنهم من المبرزين ومن أصحاب النفوذ فى المجتمع . إنهم يضفون على الهيئة ما هى فى مسيس الحاجة إليه من أهمية ووقار . هذا إلى أنه غالباً ما يمكن الاستعانة بهم كشخصيات مسئولة تنزل أقوالهم منزلة النصوص فى دحض الإشاعات . ومن المستحسن أن تشتمل هذه الفئة على ممثلين للقيادة المحلية للجيش أو الأسطول ، ولمكتب إدارة التسعيرة إلخ .

ثالثاً : تعاون الجمهور فى التبليغ عن الإشاعات :

ينبغى أن يعلن عن الهيئة على نطاق واسع جداً بوصفها الجهة التى يستطيع أى شخص تبليغها عن أية إشاعة ضارة . وينبغى اتخاذ التدابير حتى تصبح جميع مستويات الأمة على علم بهذه الهيئة .

١ — من الممكن تعيين أشخاص بالذات من مختلف المستويات يكلفون بأن يسجلوا كل ما يصل إلى أسماعهم من إشاعات ويبلغوا عنها . وتيسيراً لعملهم يمكن إرسال استخبار إليهم مرة كل أسبوعين . وبالإضافة إلى أن هؤلاء الأشخاص يعملون كشبكة تسمُّع ، فإنهم حين نحسن اختيارهم ، يمكن الاستعانة بهم فى فهم الرأى العام كلوحة دالة .

٢ — وينبغى تشجيع المواطنين على أن يقوموا بالتبليغ بالبريد عن جميع الإشاعات التى يسمعونها . وينبغى على الهيئة أن ترد على كل خطاب بعلم وصول ينطوى على الشكر والامتنان .

٣ — وينبغى اتخاذ جميع الاحتياطات لضمان ثقة الجمهور فى الهيئة من حيث إخلاصها ونبل مقاصدها .

٤ — ولا يجوز للهيئة بحال من الأحوال أن تضطلع بمهمة البوليس فى التبليغ عن أسماء الأشخاص أو زجرهم بتهمة نشرهم للإشاعات .

رابعاً : تمحيص ودحض الإشاعات :

دحض الإشاعات إنما ينبغى أن يتم فحسب عن طريق السلطات المسئولة . وعليه ، فمن الأهمية إلى أبعد حد أن تقيم الهيئة علاقات وثيقة بأكبر الشخصيات المسئولة فى الهيئات العامة (الجيش ، البحرية ، مكتب إدارة التسعيرة ، المكتب الفيدرالى للإعلام . إلخ) . وفى حالات خاصة يمكن الاستعانة بالقادة المسئولين فى المجتمع للقضاء على بعض الإشاعات المزعجة .

١ — ينبغى دائماً إحالة الإشاعات إلى هيئات أخرى لدحضها . ولا يجوز لأية عيادة إشاعة أن ترد على أية إشاعة من « عندياتها » .

٢ — ينبغى أن يكون الدحض منطقياً ومدعماً بالوقائع . فرد واحد ضعيف وغير مقنع قد يؤدى إلى تقويض جسيم فى ثقة الشعب بالعملية كلها .

ومستوى الكتابة فى « عيادة الإشاعة » فى صحيفة ينبغى أن يكون أعلى بكثير جداً مما هو عليه فى كتابة الصحف العادية ، وذلك لأن القراء تتفتح عندهم بصورة مسرفة روح النقد لعدم المنطقية أمام هؤلاء الذين يدعون المنطقية ، وتتفتح عندهم روح الشك أمام هؤلاء الذين يحاولون نقض بعض المعتقدات الشعبية السائدة والأحكام القبلية المغروسة .

٣ — لا تغالى إزاء الحالة . فكثير من الإشاعات تنطوى على نواة من الحقيقة . فإن ثقة الجمهور تزداد عند اتباع سياسة الصراحة التامة .

وعندما تكون الإشاعة فى صميمها صادقة وضارة على السواء فمن الخير ألا يتاح لها مزيد من الانتشار .

٤ — لا تجعل كلامك يدل على أن جميع الإشاعات مصدرها النازية .

إن المبالغة فى توكيد النازية كمصدر للإشاعات لمما يضعف الثقة فى الهيئة . ومن الأفضل إخبار الجمهور بأن بعض الإشاعات الدائرة تناظر الموضوعات التى تحملها إذاعة الموجة القصيرة للمحور ، ولتقف بالمسألة عند هذا الحد .

٥ — ضع الإشاعة فى سياق من الإنكار .

العن الإشاعة قبل سردها ، وبعد سردها العنها مرة أخرى .

٦ — لا تطبع ولا تنشر على أى نحو الإشاعات الشريرة المنطوية على شعارات ملفتة . أحطم العبارة الملفتة حتى لا تكون سهلة التذكر . والخطر يكمن فى أنه على الرغم من دحضها فإن الشعارات والأقوال المأثورة تحظى بالحفظ بسبب ما تتميز به من طابع ملفت .

وعلى سبيل المثال ، بدلا من أن تقول بأن إشاعة تفيد بأن الخدم فى الجنوب ينتظمون فى « أندية اليانور » التى شعارها : « كل امرأة بيضاء فى مطبخها عند حلول عيد الميلاد » يستحسن أن تقول : « إن الإشاعة تفيد بأن خدم المنازل فى الجنوب ينتظمون فى أندية اليانور التى تسعى إلى إرغام النساء البيض على أن يضطلعن بأنفسهن بأعمال مطبخهن » .

٧ — ينبغى أن تتاح فسحة كافية من الوقت للمكتب الاستشارى حتى يقرأ — صورة من عيادة الإشاعة قبل إرسالها للمطبعة . والأمر يتطلب من المستشارين يومين أو ثلاثة لاستقبال وقراءة أية انتقادات على النص وإرسال رأيهم بشأنها .

٨ — تكشف التجربة عن أن ١٠ ٪ فقط من الإشاعات الواردة للعيادة تستحق النشر . وينبغى على الرئيس المسئول أن يكون على استعداد للتصرف فى الإشاعات الأخرى الباقية ، بطريقة فردية : فنصفها تقريباً ينبغى أن يحال إلى هيئات أخرى (مكتب إدارة التسعيرة ، الصليب الأحمر ، سلطات الميناء) ثم يرد عليها بطريقة فردية . أما النصف الثانى فينبغى أن يرسل إلى المكتب الفيدرالى للإعلام أو يتم إخطار صاحب الرسالة عن الجهة التى تستطيع أن تمده بالإجابة . والقليل جداً من هذه الإشاعات هو الذى يستحق أن ينتهى إلى سلة المهملات . إن معالجة الإشاعات هى مسألة تستنفد الكثير من الوقت ، ولا ينبغى الاستخفاف بها .

٩ — فى حالة دحض الإشاعات الأجناسية لا ينبغى — كقاعدة عامة — إبراز ملامح الجماعة الأجناسية التى تتعرض للمهاجمة . أعرض بصورة عامة حالات كباش الفداء (من قبيل الزنوج ، اليهود ، قادة التنظيمات العمالية ، الإيرلنديون ، الكونجرس ، البريطانيون . إلخ) مبيناً كيف أن نفس الأحاديث الشريرة تدور حول كل جماعة من هذه الجماعات .

١٠ — عيادة الإشاعة لا ينبغى استخدامها لإظهار وجهة نظر رئاسة تحرير

الصحيفة . وينبغي التمسك بأعلى مستوى من الموضوعية . فاستخدام هذا الابتكار لإظهار دعاوى رئاسة التحرير سيكون من شأنه الحط من قدر المثل الصحفية .

١١ — لا ينبغي عرض الإشاعات فى سياقات تجعلها تبدو وكأنها مجرد فكاهات. فالجمهور لا ينبغي أن ينظر إلى الأمر وكأنه مجرد تسلية مرحة .

١٢ — ينبغي على برامج الإذاعة التى تعالج الإشاعات أن تلزم أقصى الحيطة حتى لا تعمل دون تنبه منها على نشر الإشاعات بدلا من دحضها .

خامساً : طرائق العمل :

يتحتم على الهيئة أن تكون معدة للاضطلاع بوظائف عديدة فى مجال خدمة المعنوية .

١ — ستعرض الكثير من المشكلات التى تتطلب الحكم الصائب ، والدراية بإمكانيات المجتمع المحلى ، والرغبة الصادقة فى بذل المعونة لرفع المعنوية فى المنطقة .

٢ — ينبغي على الهيئة أن تكون معدة لاستخدام كل أو معظم الطرائق التالية :

(ا) **لجان الفحص :** يمكن محاربة بعض الإشاعات بتعيين لجنة فحص تضطلع بتحديد الوقائع . وعندئذ ينطلق تقرير اللجنة جنباً إلى جنب مع الإشاعة .

(ب) **الملصقات والأشكال البيانية :** إن معظم الملصقات تصور الإشاعة على أنها مصدر إعلام يخدم العدو . ومن المحتمل أن يكون الأثر المحطم للمعنوية الذى تتمخض عنه الإشاعة داقة الأسافين أشد خطورة بكثير من غيره ، وهذا الخطر يمكن مواجهته فى سهولة بالإيضاحات البيانية .

(ح) **مطبوعات الدعاية :** إن النشرات والرسوم البيانية والكتيبات إلخ . حين تحظى بالدقة والصياغة الحسنة إنما تعد أداة فعالة لنقل الأنباء والتحذير من الإشاعات .

(د) **برامج الإذاعة :** نوعان من برامج الإذاعة يتسمان بالفاعلية فى محاربة الإشاعات . والنوع الأول هو برامج « الوقائع » . والمنطق الذى تستند إليه هذه الطريقة ينحصر فى أن الوقائع متى أصبحت متاحة ومكتملة فلن تجد الإشاعات مجالا لها . والنوع الثانى من البرامج يتناول الإشاعات والتقولات بصورة عامة . وهذا

النوع يكشف عن سخف وخطر الإشاعة فى وقت الحرب . وعلى أية حال ينبغى اتخاذ قدر كبير من الحيطة حتى لا تنتشر الإشاعات عن طريق إذاعتها بالراديو . تذكر أن الناس يفتحون المحطة بعد بدء البرنامج ويغلقونها قبل نهايته .

(هـ) **جماعة المتحدثين :** إن المتحدثين الذين يظهرون أمام مختلف الهيئات مفندين الإشاعات السائدة ، وموضحين خطرها ، إنما يعدون خير معين لأية حملة مضادة للإشاعات .

(و) **حراس المعنوية :** إنهم أشخاص فى المجتمع مهمتهم الأولى هى التبليغ عن الإشاعات . إنهم يؤلفون شبكة تسمع ، وهم يعينون — كلوحة دالة — على فهم الرأى العام .

(ز) **الأقاصيص ذات الدلالة :** هذا النوع من النشر يتضح فى مقال ظهر فى مجلة المختار عدد سبتمبر ١٩٤٢ ، بعنوان « بوسطون تعلن الحرب على الإشاعة » . وبوسع مقالات وقصص أخرى أن تتناول موضوع إشاعات وقت الحرب ، وعلاقة الإشاعة بالدعاية إلخ .

(ح) **الأفلام :** على الرغم من أن السينما طريقة جد فعالة فى عرض الموضوع على الجمهور ، فإنها لم تستخدم حتى اليوم إلا قليلا . ويعد فيلم « مستر بلابرماوث » مثالا بارزاً على الأفلام الممتازة التى تتناول هذا الموضوع .

سادساً : مواطن مهاجمة الإشاعة :

إن حملة الدعاية التى تهاجم الإشاعة يمكن أن تتبع الخطوط الآتية :

١ — الإشاعة غير جديرة بالثقة ، وتكاد تكون زائفة دائماً . ما من شخص عاقل يعول عليها .

٢ — الإشاعة يمكن أن تكون سلاحاً من أسلحة دعاية العدو .

٣ — الإشاعة محطمة للمعنوية : فليس من الوطنية ، بل من الخيانة نشرها .

٤ — الشخص الذى ينشر الإشاعة أحمق أو شرير أو خطر .

٥ — التداول المبتذل للإشاعة هو فى العادة نوع من اتخاذ كبش فداء ، وهو يلبس صورة لوم فريق من الأبرياء على المتاعب الخاصة بالشخص .

المراجع

ADAMS, J.T., 1932. Our whispering campaigns (Harper's Magazine, 165, 444-457).
ALLPORT, F.H., and M. LEPKIN, 1945. Wartime rumors of waste and special privilege : why some people believe them (Journal of Abnormal and Social Psychology, 40, 3-36).
ALLPORT, G.W., and J M. FADEN, 1940. The psychology of newspapers : five tentative laws (Public Opinion Quarterly, 4, 678-703).
ALLPORT, G.W., and L. POSTMAN, 1945. The basic psychology of rumor (Transactions of The New York Academy of Sciences, Series II, 8, 61-81).
BARTLETT, F.C., 1932. Remembering, Cambridge University Press.
BARTLETT, F.C., 1940. Political Propaganda, Cambridge University Press.
BINET, A., 1900. La suggestibilité, Paris : Schleicher Frères.
BORST, M., 1904. Recherches experimentales sur l'éducabilité et la fidélité du témoignage (Archives de Psychologie, 3, 203-314).
BRITT, S.H., 1941. Social Psychology of Modern Life, New York : Farrar & Rinehart, Inc.
BRUNER, J.S., 1941. The dimensions of propaganda (J. of Abnormal and Social Psychology, 36, 311-337).
BRUNER, J.S., and J. SAYRE, 1941. Shortwave listening in an Italian community (Public Opinion Quarterly, 5, 640-656).
BUCK, P.H., 1937. The Road to Reunion, Boston : Little, Brown & Co.
BYSOW, D.A., 1928. Gerüchte (Kôlner Vierteljahrsschrift für Soziologie, 7, 301-308).
CANTRIL, H., and G.W. ALLPORT, 1935. Psychology of Radio, New York : Harper & Bros.
CANTRIL, H., H. GOUDET, and H. HERZOG, 1940. The Invasion from Mars, Princeton University Press.
CARMICHAEL, L., H.P. HOGAN, and A.A. WALTER, 1932. An experimental study of the effect of language on the reproduction of visually perceived form (J. of Experimental psychology, 15, 73-86).
CHADWICK, T., 1932. The Influence of Rumour on Human Thought and Action, Manchester : Sherratt & Hughes.

CLAPAREDE, E., 1906. Expériences sur le témoignage : témoignage simple; appréciation; confrontation. (Archives de Psychologie, 5, 344-387).

DASHIELL, J.F., 1935. Experimental Studies of the influence of social situations on the behavior of individual human adults, in C. Murchison, Handbook of Social Psychology, Worcester : Clark University Press.

FRENKEL-BRUNSWIK, E., and R.N. SANFORD, 1945. Some personality factors in anti-Semitism (J. of Psychology, 20, 271-291).

FREYD, M., 1921. A test series for journalistic aptitude (J. of Applied Psychology, 5, 46-56).

GIBSON, J.J.,1929. Reproductions of visually perceived forms (J.of Experimental Psychology, 12, 1-39).

HARTGENBUSCH, H.G., 1933. Untersuchungen sur Psychologie Wiedererzahlung und des Gerüchts (Psychologische Forschung, 18, 251-285).

Harvard University, Department of Psychology, 1943. ABC's of Scapegoating, Chicago : Central Y.M.C.A. College.

IRVING, J.A., 1943. The psychological analysis of wartime rumor patterns in Canada (Bulletin of the Canadian Psychological Association, 3, 40-44).

KIRKPATRICK, C., 1932. A tentative study in experimental social psychology (American J. of Sociology, 38, 194-206).

KNAPP, R.H., 1944. A psychology of rumor (Public Opinion Quarterly, 8, 23-37).

KOFFKA, K., 1935. Principles of Gestalt Psychology, New York : Harcourt, Brace & Co. Inc.

LANGENHOVE, F. VAN, 1916. The Growth of Legend : a study based upon the German accounts of Francs-Tireurs and "atrocities" in Belgium, New York : The Knickerbocker Press.

LA PIERE, R.T., and P.R. FARNSWORTH, 1936. Social Psychology, New York : McGraw-Hill Book Co., Inc.

LAZARSFELD, P.F., B. BERELSON, and H. GOUDET, 1944. The People's Choice, New York : Duell, Sloan and Pearce, Inc.

LEE, A.M., and N.D. HUMPHREY, 1943. Race Riot, New York : Dryden Press.

LEIGHTON, A.H., 1945. The Governing of Men, Princeton University Press.

LITTELL, R., and J.J. M'CARTHY, 1936. Whispers for Sale(Harper's Magazine, 172, 364-372).

LYONS, E., 1935. Stifled laughter (Harper's Magazine, 170, 557-567).

M'Geoch, J.A., 1928. The influence of sex and age upon the ability to report (American J. of Psychology, 40, 458, 466).
M'Gregor, D., 1938. The major determinants of the prediction of social events (J. of Abnormal and Social Psychology, 33, 179-204).
M'Lean, H.V., 1946. Psychodynamic factors in racial relations (Annals of the American Academy of Political and Social Science, 244, 159-166).
Menninger, K., 1930. The Human Mind, New York : Alfred A. Knopf, Inc.
Moreno, J.L., 1934. Who Shall Survive? A new approach to the problem of interrelations, (Washington D.C. : Nervous and Mental Disease Publishing Co.
Morris, C., 1946. Signs, Language, and Behavior, New York : Prentice-Hall, Inc.
Murray, H.A., et al., 1938. Explorations in Personality, Oxford University Press.
Myrdal, G., 1944. An American Dilemma, New York : Harper & Bros.
Nevins, B., 1938. Gateway to History, New York : Appleton-Century Co., Inc.
Odum, H.W., 1943. Race and Rumors of Race : Challenge to American crisis, Chapel Hill : University of North Carolina Press.
Office of War Information, 1942. Intelligence report : Rumors in wartime.
Ponsonby, A., 1928. Falsehood in Wartime, New York : E.P. Dutton & Co., Inc.
Ruch, F.L., and K. Young, 1942. Penetration of Axis Propaganda (J. of Applied Psychology, 26, 448-455).
Soldes, G., 1935. Freedom of the Press, Indianapolis : Bobbs-Merrill Co.
Simpson, G.G., 1940. The case history of a scientific news story (Science, 92, 148-150).
Smith, G.H., 1947. The effects of fact and rumor labels (J. of Abnormal and Social Psychology, 42, 80-90).
Stefansson, V., 1928. The Standardization of Error, London : Kegan, Paul, Trubner & Co.
Stern, W., 1902. Zur Psychologie der Aussage, Berlin : J. Guttentag.
Stern, W., 1938. General Psychology from the Personalistic Standpoint, New York : The Macmillan Co.
Taylor, E., 1940. Strategy of Terror, Boston : Houghton Mifflin Co.

WECKLER, J.E. and T.E. HALL, 1944. The Police and Minority Groups, Chicago : The International City Managers' Association.
WHIPPLE, G.M., 1909. The observer as reporter : a survey of the 'psychology of testimony' (Psychological Bulletin, 6, 153-170).
WULF, F., 1922. Uber die Veränderung von Vorstellungen (Psychologische Forschung, 1, 333-373).
YOUNG, K., 1936. Social Psychology, New York : F.S. Crofts & Co.
ZERNER, E.H., 1946. Rumors in Paris Newspapers (Public Opinion Quarterly, 10, 382-391).

معجم

A

acceptance index	جدول تقبل
acculturation	مسايرة الثقافة
accusatory rumors	إشاعات اتهامية
achievements	إنجازات
addition of meaning	إسباغ معنى
additive relation	علاقة إضافة أو جمع
advisors	مستشارون
alphabetic agencies	الأقسام الألفبائية
ambiguity	الغموض (عامل فى الإشاعة)
ambiguous news	خبر غامض
ambivalence	ثنائية المشاعر (حب وكراهية معاً)
amorphous	خلو من البنية المحددة
anchorage effect	الأثر الإرسائى . أثر المراسى
anticipatory rumor	إشاعة توقعية
anti-communist	مناهض للشيوعية
anti-rumor	إشاعة مضادة
anti-rumor campaign	حملة مضادة للإشاعات
anti-Semite	مناهض للسامية (لليهود)
apathy	بلادة الإحساس
aphorisms	مأثورات . أقوال مأثورة
apperception	إدراك داخلى
appraisive - mythical (Morris)	ميثولوجى التقويم (موريس)
appraisive - poetic	شاعرى التقويم

apprehensions	مشاعر ارتياب . مخاوف
assimilation	الإساغة
— by condensation	الإساغة بالتكثيف
— to hatred	الإساغة بالنسبة إلى الكراهية
— to language habits	الإساغة بالنسبة إلى العادات اللغوية
— to local interests	الإساغة بالنسبة إلى الاهتمامات المحلية
— to prejudice	الإساغة بالنسبة إلى الحكم القبلى
assimilative change	تغير إساغى
assimilative distortion	اللوى بالإساغة
assimilative error	خطأ إساغى
associational assimilation	الإساغة الترابطية
associational processes	عمليات ترابطاتية
atom smashing	تحطيم الذرة .
atomic fission	الانقسام الذرى
atomic splitting	الانفلاق الذرى
atrocity rumors	إشاعات الفظائع
attitude scale	سلم اتجاهات
atypical	لا نمطى
audience social influence	التأثير الاجتماعى لجمهور النظارة
autocthonous brain processes	عمليات المخ الوطنية
average	متوسط . معدل

B

basic pattern : perception-retention-report	الأنموذج القاعدى : إدراك — حفظ — إدلاء
belief scale	سلم التصديق (لقياس درجة التصديق)
below-the-belt strategy	استراتيجية اللكم تحت الحزام
black propaganda	الدعاية السوداء

blitz	الحرب الخاطفة
blurring of memory	« شلفطة » الذاكرة
bogy rumors	إشاعات مروعة . إشاعات غولية
bombing attacks	غارات القاذفات
boomerang effect	تأثير عكسى (يرتد إلى صاحبه)
borderline cases (Fr. cas limites)	حالات حدودية

C

capitulate	يستسلم
careless words	كلمات « سائبة »
Cassandra rumors	إشاعات كاساندرا ؛ إشاعات الكوارث (كانت كاساندرا عرافة صادقة فى طروادة ، كتب عليها ألا يصدقها أحد)
categorise	يصنف فى فئات
censorship	الرقابة
channels of friendship	قنوات الصداقة
chronic doubters (skeptics)	شكاك مزمنون
C.I.O. (Congress Industrial Organization)	منظمة الصناعة بالكونجرس
circulation index	جدول انتشار
circumstatial details	تفصيلات موقفية . ملابسات موقفية
civilian sleuths	المخبرون المدنيون
clairvoyance	نبوءة . رجم بالغيب
closure	الإغلاق (قانون فى الجشطلت)
cognitive assimilation	الإساغة المعرفية
color line	الحاجز اللونى

commander - in - chief	القائد العام
Committee of Public Safety	لجنة الأمن العام
complementary projection	الإسقاط المتمم
component groups	جماعات مندرجة
concentration camps	معسكرات الاعتقال
condensation	التكثيف
configuration	صيغة . جشطلت
congenial	متجانس
constraining influence of the stimulus	التأثير المقيد للمثير (فى الإدراك)
constricting tendency	الميل إلى الانكماش (فى الإشاعة)
constructive character	الطابع البنائى (للذاكرة)
contemporization	الأقلمة الزمنية
convention	العرف
conventional expectation	التوقع المساير للعرف
conventionalization	مسايرة العرف (فى الإشاعة)
course of distortion	مجرى اللوى (فى الإشاعة)
course of rumor	مجرى الإشاعة
creative character	الطابع الإبداعى (للذاكرة)
creative embedding	الغرس الخلاق . التفريخ الإبداعى (للإشاعة)
credibility	سهولة التصديق
creeping rumor	الإشاعة الحابية
critical inspection	التمحيص النقدى (للأخبار)
cross-examination (cross-questioning)	استجواب
cultural assimilation	الإساغة الثقافية
cultural conventions	المتعارفات الثقافية

curiosity rumors	إشاعات الفضول. إشاعات فضولية. إشاعات استطلاعية
current folkways	أساليب شعبية شائعة
cyclotrones	السيكلوترونات

D

damaging rumors	إشاعات هدامة
daydream	حلم يقظة
debilitating complacency	الرضى المزهن للعزيمة
declarative	إيضاحى (صفة للإشاعة)
defeatism	الانهزامية . الاعتقاد فى الهزيمة
defensive forces	قوات دفاعية
deleterious rumor	إشاعة وبيلة
demoralization	تثبيط المعنوية
deterioration	تلف
digressions	استطرادات (فى رواية القصة)
direct projection	الإسقاط المباشر
directive idea	الفكرة الموجّهة (فى الإشاعة)
discharge	التسريح (من الخدمة)
displaced aggression	عدائية مزاحة
distortion	اللوى . التشويه
— beyond recognition	اللوى بدرجة يستحيل معها التعرف على الأصل
distrust	عدم ثقة . ريبة . مظنة
divide and conquer	فرق تسد
diving rumors	إشاعات غاطسة
Division of Propaganda Analysis	قسم تحليل الدعاية

divisive rumors	إشاعات مفرِّقة ، مثيرة للفرقة
dominant type	النمط الغالب
draft evasion	الهرب من الخدمة
draftee	جندى مكلف . مُجنَّد
dramatize	يضخم
dynamic change	تغير دينامى

E

easy jobs	المناصب المريحة
economizing mental effort	اقتصاد الجهد العقلى
effort after meaning	السعى وراء معنى . السعى إلى فهم الأحداث بتبسيطها
ego involvement	اندماج الذات
elaboration	التطوير التشكيلى . الإثراء . الحبك
eloquent slogans	شعارات فصيحة
embedding	غرس . ترقيد
emotional catharsis	التنفيس الانفعالى
emotional cognitive complex	وحدة انفعالية معرفية
emotional significance	الدلالة الانفعالية
emotional thinking	التفكير الانفعالى
emphasizing	التوكيد (بمعنى الإبراز)
enervating rumor	إشاعة مثيرة للأعصاب
enumerative tendency	الميل إلى التعديد
ephemerical quality	الطابع العابر (للإشاعة)
episode	حدث
equivalent group	فئة مكافئة
ethos	روح الشعب

exaggeration	المبالغة
excessive casualties	خسائر فادحة
exhaustive analysis	تحليل مستوعب
expectancy	التوقع
expectations	توقعات
eyewitness	شاهد عيان

F

factual refutation	دحض بالوقائع
faithful reproduction	استعادة أمينة
falsification	التزييف
fanciful	خيالى
favorable	محبذ
fear-inspired rumors	الإشاعات المنبعثة عن الخوف
fecundity of rumor	خصوبة الإشاعة
Federal Bureau of Investigation (FBI)	المكتب الفيدرالى للأبحاث
fictioning	صياغة خيالية
fidelity of report	صدق الإدلاء
fifth column activities	أعمال الطابور الخامس
final peace rumors	إشاعات حلول السلم
fire-side chat	حديث المدفأة (روزفلت)
first-hand report	إدلاء الطبعة الأولى . إدلاء الفم الأول
fortuneteller	عرّاف
frame of reference	إطار مرجعى
free account	السرد الطليق
frustration	الإحباط

G

gauge	يقيس
goal gradient effect	أثر جذب الهدف . الأثر المتزايد للاقتراب من الهدف
good continuation	الاسترسال الجيد (فى الإشاعة)
good Gestalten	الجشطلتات الحسنة
gossip	التقولات . الأقاويل
gossipy yarn	أقصوصة مختلقة
government officials	الشخصيات الرسمية
growing rote effect	تزايد الأثر الحرفى
guilt-evasion rumors	إشاعات الإفلات من الإثم

H

hair-raising	مثير
hair-trigger press	صحافة مثيرة لشعر الرأس
hallucinatory rumors	إشاعات هلوسية
hate and hostility rumors	إشاعات الكراهية والعدائية
hearsay	القال والقيل . التقول
heterogeneous	لا متجانس
high visibility	رؤية جد متميزة (لجماعة فى المجتمع)
high voltage discharges	إطلاق الشحنات الكهربية العالية الجهد
highly motivated	عظيم الحظ من الدوافعية (إساغة)
home-front morale	معنوية الجبهة الداخلية
home-stretch rumors	إشاعات مركز التطلع
hyperbole	المغالاة

I

identification	التطابق
ill-founded rumors	إشاعات واهية الأساس
immediate apperceptive mass or context	السياق الإدراكى المباشر . الجهاز المرجعى للإدراك
impetuous rumors	إشاعات جامحة ، سريعة الانطلاق
importance	الأهمية (عامل فى الإشاعة)
indirect attack	هجوم غير مباشر ، غير عمودى
indoor rumors	إشاعات « داخل البيت » (معملية)
inferiority	دونيه
inflammatory rumor	إشاعة ملتهبة
information	إعلام . إنباء . خبر
informative	إعلامى
innuendo	تلميح
insecurity	عدم الأمن . مشاعر عدم الأمن
insertions	إقحامات
intellectual thinking	التفكير المنطقى
Intelligence Service	إدارة المخابرات
internal disruption	التمزق الداخلى (فى الأمة)
interpersonal communications	الاتصالات البين شخصية
interventionism	نزعة تدخلية
in the know	فى الصورة . على علم ببواطن الأمور
intro-punitive	ميال إلى عقاب الذات
invention	اختلاق (فى الاستعادة)
inversion of status	انقلاب الأوضاع الاجتماعية
investigating committees	لجان الفحص (لدحض الإشاعات)

investigation	بحث
inviolable	غير قابل للانتهاك
irresponsible gossip	التقولات الجزافية

J

Jews	اليهود
journalistic apptitude	القدرة الصحفية

K

kernel of truth	نواة من الحقيقة

L

label	لافتة . عنوان
labeled rumor	إشاعة معنونة
laboratory approach	منهج معملى
laboratory rumor	إشاعة معملية
language habits	العادات اللغوية
leading questions	الأسئلة الهادفة (فى التحقيق المغرض)
legends	أساطير
leveling	التسوية
limits of leveling	حدود التسوية
listening network	شبكة تسمّع
long-haired experts	خبراء عتيقون
loose talks	أقوال فالته

M

magnification of numbers	تضخيم الأعداد
memory traces	آثار الذكريات
military security	الأمن العسكرى
minority group	جماعة أقلية
miscegenation	التهجين . تزاوج السود والبيض
misperception	إساءة إدراك . إدراك خاطئ
mnemonic reorganization	إعادة انتظام الذكريات
monstrosities	بشائع
morale	المعنوية
morale-building	تدعيم المعنوية
morale-shattering	هدّام للمعنوية
moralization	عملية الوعظ الأخلاقى (فى الإشاعة)
motivated	تحركه دوافع داخلية (ناشر الإشاعة)
motivational assimilation	الإساغة الدوافعية
motivational blends	خلطات دوافعية . مزجات من دوافع مختلفة
motivational factor	العامل الدوافعى
motivational mainsprings	الدوافع الأساسية
motivational tension	التوتر الدوافعى
motto	شعار
multiplication	تضعيف . تكثير
multiplicative relation	علاقة تضعيف
murmurs of unrest	همهمات عدم ارتياح
myths	ميثولوجيا

N

nailing a rumor	فضح الإشاعة
naming	التسمية
national morale	المعنوية القومية . معنوية الأمة
negativism	السلبية
network of relationships	شبكة العلاقات البينية
news release	مصدر الخبر
news story	قصة إنبائية
newsworthy happening	حادث جدير بالإنباء
nonemotional tension	توتر غير انفعالى
non-Jews	غير اليهود
normalizing	التسوية (بمعنى التحويل إلى العادى المألوف)
numerical sharpening	إبراز رقمى

O

obliteration	طمس . إزالة (تفاصيل الإشاعة أو ملامحها)
Office of Facts and Figures	مكتب الحقائق والأرقام
Office of Price Administration (O.P.A.)	مكتب إدارة التسعيرة
Office of Public Opinion Research	مكتب أبحاث الرأى العام (جامعة برنستون)
Office of War Information (O.W.I.)	مكتب الإعلام الحربى
official report	بلاغ رسمى
orientational fact	واقعة موجهة

outdoor rumors	إشاعات « خارج البيت » (إشاعات الحياة الواقعية)
over-credulity	السهولة المسرفة فى التصديق
oversimplification	تبسيط مسرف
overstuck	جد وثيق المراسى

P

pamphlet	نشرة . منشور
pell-mell retreat	انسحاب فى غير نظام
perception	إدراك
perceptual report	إدلاء الإدراك المباشر (للشاشة)
performance	أداء
peripheral details	تفصيلات محيطية أو هامشية
periodicity of a rumor	زمن دورة الإشاعة
perseverative wording	أشكال التعبير الجامدة
persistent	عنيد
personalizing a rumor	تشخيص إشاعة
personify	يجسد
persuit of meaning	اقتفاء المعنى
picture tests	اختبارات الصور (فى الشهادة)
"pipe-dream" rumors	الإشاعات الحالمة
pithiness	الخلاصة . الحكمة . القول المأثور (ميل فى الإشاعة)
plant a rumor	يزرع إشاعة
plants	مصانع . مؤسسات
plausible	محتمل الصدق
plotting social geography	رسم الخريطة الاجتماعية (مورينو)

pointing	السنّ (بمعنى الإبراز)
policy of plentiful news releases	سياسة إتاحة الأخبار الوفيرة
poorly structured mentality	عقلية فقيرة البنية
posters	الملصقات (على الحوائط)
potential importance	أهمية ممكنة
preconception	تصور قبلى
prediction	تنبؤ
predisposition	استعداد قبلى
pre-existing attitude	اتجاه قائم من قبل
preferential retention	حفظ انتقائى
pregnancy	الامتلاء . الاتزان (فى الجشطلت)
pre-riot rumors	إشاعات سابقة على الشغب
prestige advisor	مستشار من ذوى المكانة الممتازة (لمكافحة الإشاعة)
primacy effect	أثر الأولوية (فى التذكر)
pro-communist	مناصر للشيوعية
professional anchorage	مرسى مهنى (مثبت لعناصر الإشاعة)
progressive pregnancy	الامتلاء المطرد (جشطلت)
projection	الإسقاط (ميكانيزم)
propaganda	الدعاية
propaganda conscious	متنبه للدعاية
prophylaxis	الوقاية
propositions	دعاوى (فى الدعاية)
protagonist (of a rumor)	بطل (فى الإشاعة)
pseudo-logicality	منطقية خداعة
pseudo-news	أخبار منتحلة
psychological warfare	الحرب النفسية
public spirited	متشبع بمشاعر الجماهير

R

rabble-rousers	مهيجو الغوغاء
race conscionsness	الشعور بالتمايز الأجناسى
racial animosity	الحقد الأجناسى
racial self-interest	الاهتمام الأجناسى بالذات
racial slanders	الافتراءات الأجناسية
radioactive materials	المواد المشعة
random omission of details	الحذف العشوائى للتفاصيل
rate of dropping out (of loss)	معدل السقوط (لتفاصيل الإشاعة)
rate of leveling	معدل التسوية
rationalize	يبرر . يسبغ المعقولية
rationalized explanations	تفسيرات تبريرية (فى نقل الإشاعة)
rationing	التموين
reaction-formation	التكوين الضدى (ميكانيزم)
reality experiments	تجارب الواقع
rebuttal	تكذيب . دفع (تهمة)
recall	التذكر
recipe	وصفة
reduplication	مضاعفة
refutation	تفنيد (الإشاعة)
relief	تفريج — تخفيف
religious animosity	أحقاد دينية
report	إدلاء
reporters	مراسلون (للأخبار)
representative advisor	مستشار نيابى
repression	الكبت
reproduction	الاستعادة

reproductive function	وظيفة استعادية ، نسخية
retention	الحفظ
retention of phraseology	حفظ التعبيرات اللغوية
reversal to truth	رجعة إلى الحقيقة
riot	شغب
riotous outbursts	انفجارات تمردية
romance - hungry public	جمهور متعطش للروايات
rote effect	الأثر الحرفى
rote memory	الذاكرة الحرفية (الصماء)
rote type of persistence	النمط الحرفى للاطراد (فى الاستعادة)
round out	يسبك (القصة)
rumor	الإشاعة
— boards	لجان الإشاعة
— chains	سلاسل الإشاعة
— clinic	عيادة الإشاعة
— consciousness	التنبه للإشاعة
— defense	الدفاع ضد الإشاعة
— factory	« مصنع إشاعات »
— immunity	المناعة ضد الإشاعة
— mongering	افتحاش الإشاعة ، تداولها المبتذل
— offensives	المهاجمة بالإشاعات
— parables	مأثورات إشاعية
— planting	استنبات الإشاعة
— proneness	التهيؤ للإشاعة
— prophylaxis	الوقاية ضد الإشاعة
— reporters	مراسلو الإشاعة . المبلغون عنها
— spreaders	ناشرو الاشاعة
— rumor wardens	حراس الإشاعة
— wise (person)	متفهم للإشاعة (شخص)

rumors of fear	إشاعات الخوف
rumors of misconduct	إشاعات سوء السيرة
rumors of wishful thinking	إشاعات التفكير الراغب . إشاعات الأماني

S

sabotage	التخريب
saboteur	مخرب
salvage	المرتجعات
scapegoat	كبش فداء
scapegoating	اتخاذ كبش فداء
scurrilous witticism	نكتة بذيئة
security of information	سرية الإعلام . أمن المعلومات . عدم تسرب الأنباء
selective channels	قنوات انتقائية (للإشاعة)
selective forgetting	النسيان الانتقائى
selective perception	الإدراك الانتقائى
selective reporting	العرض الانتقائى للأخبار
selective services	الأسلحة الممتازة (المريحة)
self-active	ذاتى النشاط (صفة العقل عند ليبنتز)
self-contained	ذاتى الانضباط
self-interest	الاهتمام بالذات
serial reproduction	استعادة سلسلية
serial transmission	نقل سلسلى
sex rumor	إشاعة جنسية
sex-minded	يهيمن الجنس على فكره
sharpened version	صيغة مسنونة (عانت الإبراز)

sharpening	الإبراز
— by multiplication	الإبراز عن طريق التكثير
— of movement	إبراز الحركة
shift	تحور . انحرافة (الإشاعة)
— of theme	نقلة الموضوع
simplicity	البساطة
simplification	التبسيط
skeletonization (vs. elaboration)	الهيكلة (عكس الإثراء)
sketchiness	اقتضاب (الأخبار)
slander	افتراء
slanderous rumors	الإشاعات الافترائية
sloganization	الصياغة فى صورة الشعارات
snowballing process	عملية التزايد المطرد — ككرة الجليد (تضخم الإشاعة عبر الانتشار)
social barriers	الحواجز الاجتماعية
solidified rumor	إشاعة مجمدة (وصف للأسطورة)
sorting	الفرز
spiced version	صيغة متبلة (كثيرة التوابل)
spontaneity	تلقائية
spontaneous rumor agent	عميل تلقائى للإشاعة
spy activity	نشاط الجاسوسية
stage fright	رهبة المسرح
standard	معيار
standardization of error	تقنين الخطأ (ستيفانسون)
statement	عبارة إخبارية
stereotype	نمط جامد
stereotyped expectancy	توقع جامد النمط
stimulus situation	موقف — مثير

story	قصة . أقصوصة . رواية
strategy	أستراتيجية
stratified	منظم (دعاية)
subjectify	يذيت . يحيل إلى الذاتية
subjective emotional distortion	اللّوى الذاتى الانفعالى
subversive gossip	تقولات هدامة
suggestible	منفتح للإيحاء
superstructure	بنية فوقية
susceptibility to rumor	القابلية للإشاعة
suspiciousness	التشكك
symmetry	التناظر

T

tale-bearing	حمل الإشاعات . حمل التقولات
technical advisor	مستشار فنى
temporal criterion	المعيار الزمنى
temporal distortion	اللوى الزمنى
temporal organization	الانتظام الزمنى
temporal sharpening	إبراز الأقلمة الزمنية
tendency wit	ملحة راغبة
terminal reports	الإدلاءات الختامية
testimony	الشهادة
testing ground	أرض التجارب
Thematic Apperception Test (T.A.T.)	اختبار الإدراك الداخلى للموضوع
thematic shift	نقلات الموضوع
tidbit	مضغة (إشاعة)

topical reference	إيماءة موضعية
tough jobs	المناصب الشاقة أو المجهدة
transformation of rumor	تحور الإشاعة
transmission	انتقال (الإشاعة)
tricotomy of rumor	القسمة الثلاثية للإشاعات (كراهية — خوف — رغبة)
tripronged hatred	كراهية ثلاثية الأفرع
two-pronged hatred	كراهية ذات فرعين

U

uncritical	غير ناقد . غير واع
undercover investigations	أبحاث مستترة
unhallowed alter ego	الصور الكريهة للذات
unregimented people	شعب غير عسكرى الطابع
unstructured stimulus	مثير غير منتظم البنية (فى الاختبار الإسقاطى)
unstuck	عديم المراسى
unthinking acceptance	تقبل بغير تمحيص (فى الحكم القبلى)
unverbalized recall	تذكر فى صورة غير لفظية
Utopian rumors	إشاعات حالمة ، متفائلة

V

venomous rumors	إشاعات سامة
verbal misunderstanding	إساءة فهم اللفظ
version	صيغة
visual rumor	إشاعة بصرية

V-E Day	يوم النصر فى أوربا
V-J Day (Victory over Japan)	يوم النصر على اليابان
voluntary censorship	رقابة تطوعية

W

WAC (women's Army Corps)	فتيات البحرية . كتيبة الفتيات
War experiments	تجارب الأسلحة الحربية
wedge-drivers	داقة الأسافين (إشاعات)
whispering campaigns	حملات الهمس
wish rumors	إشاعات الرغبة
wishful thinking	التفكير الراغب
witticisms	ملح . نكات . طرائف
word-of-mouth transmission	التناقل الشفوى

محتويات الكتاب

تم طبع هذا الكتاب بالقاهرة
على مطابع دار المعارف بمصر
سنة ١٩٦٤

سيكولوجية الإشاعة

« وحين يمضى القارئ فى صفحات هذا الكتاب ، فإنه لن يستطيع أن يكتم إعجابه أمام هذا النسق الرائع من النظريات والمناهج . فالتحليل النفسى يضطلع باستجلاء الدوافع العميقة وراء "الإشاعة" ؛ ونظرية الجشطلت تتبع "الإشاعة" فى مجالى الإدراك والذاكرة ، وتستقصى شروطها الحاكمة ؛ والمنهج التجريبي من وراء هذا كله يخضع التفسيرات للموضوعية العلمية والأبحاث المعملية . كل هذا فى بساطة رائعة ، وإبراز للأثر المروع الذى يمكن أن ينطوى عليه هذا السلاح النفسى المعاصر . . . ولما كانت الأمة العربية تتعرض فى هذه الآونة من حياتها لألوان عديدة من هذا السلاح الفتاك ، فقد رأينا أن ننقل هذا الكتاب القيم إلى العربية حتى نتيح لأمتنا أن تتجنب أشراره بتبين أسراره » .

(من مقدمة الترجمة)

٦٠ قرشاً ج.ع.م.	٦٠٠ فلس فى العراق والأردن	٨٤٠ فرنكاً فى المغرب	
٤٨٠ ق . ل	٦٠٠ فلس فى الكويت	٧,٤ ريالات سعودية	
٦٠٠ ق . س	٧٢٠ مليما فى تونس	١٢ شلناً	فى البلاد الأخرى
٦٠٠ مليم فى ليبيا والسودان	٨٤٠ فرنكاً فى الجزائر	١,٣٧٤ دولاراً	